

SAUT NAINAWA WA ARAM

BIOGRAPHY OF

MAR GREGORIOS BULUS BEHNAM

METROPOLITAN OF BAGHDAD & BASRA

BY

SEVERIOS ISAAC SAKA

PUBLISHED BY

GREGORIOS YOHANNA IBRAHIM

METROPOLITAN OF ALEPPO

1988

SIDAWI PRINTING HOUSE

DAMASCUS - SYRIA



صَوْت

نینوی و آرام

ܠܠܗ ܠܠܗ

ܡܠܟܐ ܕܥܠܡ ܕܐܝܬܝܗ ܕܡܠܟܐ ܕܥܠܡ ܕܐܝܬܝܗ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܡܠܟܐ ܕܥܠܡ ܕܐܝܬܝܗ ܕܡܠܟܐ ܕܥܠܡ ܕܐܝܬܝܗ
ܕܡܠܟܐ ܕܥܠܡ ܕܐܝܬܝܗ ܕܡܠܟܐ ܕܥܠܡ ܕܐܝܬܝܗ
ܕܡܠܟܐ ܕܥܠܡ ܕܐܝܬܝܗ ܕܡܠܟܐ ܕܥܠܡ ܕܐܝܬܝܗ
ܕܡܠܟܐ ܕܥܠܡ ܕܐܝܬܝܗ ܕܡܠܟܐ ܕܥܠܡ ܕܐܝܬܝܗ
ܕܡܠܟܐ ܕܥܠܡ ܕܐܝܬܝܗ ܕܡܠܟܐ ܕܥܠܡ ܕܐܝܬܝܗ

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

SYRIAC PATRIMONY

منذ عهد بابل

التراث السرياني



3

ܡܠܟܐ

ܐܝܬܢܝܢ ܡܠܟܐ ܡܠܟܐ

صوت

نينوى وآرام

أو

المطران بولس بختنا

تأليف

المطران اسحق ساكا

«يسعدني جدا اني استطعت القيام بخدمة متواضعة للكنيسة التي كرّست حياتي لخدمتها منذ عهد الصبا وذلك بالطريقة التي هداني اليها الرب ، واتخذ من ضعفي بوقاً لاذاعة ايجاد هذه الكنيسة المحبوبة»

«المطران بولس»

حقوق الطبع والنشر محفوظة
(لدار الرها)

اسم الكتاب : صوت نينوى وآرام أو المطران بولس بهنام
تأليف : المطران اسحق ساكا
الناشر : سلسلة التراث السرياني في دار الرها للنشر .
صاحبها : المطران يوحنا ابراهيم

الطبعة الأولى

١٦٠٠ / ٩ / ١٩٨٨

مطابع ألف باء - الأديب - دمشق



للمراسلات : دار الرها للنشر

ص. ب ٤١٩٤ - حلب - سورية

تلكس : ٣٣١٨٥٠ نهرين

تلفون : ٤٤٤٤٦٦ عام

خاص ٤٤٤٤٧٨

ADDRESS : P.O.Box 4194 — Aleppo - Syria

Tlx. : 331850 NAHRIN SY

Tel. : Off. 444466

Priv. 444478



نيافة العلامة مار غريغوريوس بولس بهنام

الهدايا

الى ذلك الطائر النينوي الذي ولج الروضة الأرامية في ربيع حياته ،
ووقف على افنان السريانية في زهرة شبابه فغرد مغنيا ، واسمع السريان شدوا
جديدا ، وانشد لحنا عذبا ، لم تألفه أذنهم من قبل ولم تهتف به شفة حتى اليوم .
استهوى ابناء الكنيسة في كل مكان ، واثملهم في شدوه ولحنه وغنائه .
الى روح المثلث الرحمة المطران بولس بهنام اهدي هذا الكتاب .

«المؤلف»

1600

لقد عرفتوا واذيع ملكه وحمد الله . وسمعت
عقبا قتيلا وسمعتهم . وسمعتهم . وسمعتهم .
واذيعهم . واذيعهم . واذيعهم .
سمعتهم . وسمعتهم . وسمعتهم .
سمعتهم . وسمعتهم . وسمعتهم .
سمعتهم . وسمعتهم . وسمعتهم .
سمعتهم . وسمعتهم . وسمعتهم .
سمعتهم . وسمعتهم . وسمعتهم .
سمعتهم . وسمعتهم . وسمعتهم .

احبته واما ما كان معه فسا؟ حكيت في هـ
 احسب في هـ. حكيت في هـ لا احم. اما ما كان في هـ
 انك لا واما هـ واما هـ. حكيت في هـ واما هـ. حجة واما
 حجة واما هـ، هـ حجة واما هـ. حجة واما
 واما واما. اما ما كان في هـ اما حجة
 اما في هـ. هـ : واما هـ واما هـ.
 هـ حجة واما هـ. هـ. حجة واما هـ.
 واما حجة واما هـ. اما هـ. اما هـ.

مقدمة دار الرها

الكتب التي تتناول سير الالباء والعلماء وتراجم القديسين والمناضلين على ساحة الكنيسة تبقى صفحة مهمة من صفحات المنطقة بشكل عام ، والكنيسة المسيحية وكل ما يتعلق بها من تراث وحضارة وتاريخ وادب واحداث وتيارات بشكل خاص .

وفي مراحل تطور الكتابة التاريخية عند السريان نلاحظ بوضوح اتجاهين رئيسيين يتميز الواحد عن الآخر . الاتجاه الاول يتكون من سرد الاحداث والاحبار سواء تباعدت او تقاربت مادة تاريخية للمؤرخين ومصدرا حيا للباحثين . والاتجاه الآخر يسلط الاضواء ويميط اللثام عن جوانب هامة من سير النساك والقديسين والاحبار وبهذا تنكشف الحقائق عن دورهم الفعال في حياة الكنيسة . وفي كلا الاتجاهين تظهر الفكرة التاريخية جلية وراء هذه المصادر والمراجع وملخصها استمرار التراث المسيحي في المنطقة وابرار مكانة رجالات الكنيسة من آباء ومعلمين وباعتبارهم معلمي الايمان .

ولا نشك في ان ترجمة حياة المطران بولس بهنام هي صفحة مميزة من صفحات تاريخ السريان في القرن العشرين . فصاحب الترجمة يكتب عن نفسه بانه : «حبر خدم حق الله بمؤلفاته وكتاباته وخطبه وتعاليمه منذ مطلع شبابه والى الان . . وافنى زهرة حياته في تزييف اعداء الكنيسة السريانية الارثوذكسية ولم يزل وسيبقى الى منتهى الحياة مجاهدا في هذا السبيل»

ويؤكد في مكان آخر بان «نحلته» هي نحلة الالباء القديسين الذين حمل لواءهم عاليا من الطفولة وحتى آخر نسمة في حياته .

وصاحب هذا المؤلف الحبر الجليل المطران اسحق ساكا - وهو تلميذ لصاحب الترجمة - يعتبره واحداً من الذين «سأهموا في بناء مجد السريان العلمي والثقافي وصرح من صروح العلم والمعرفة والادب ، وصفحة مشرقة في تاريخ الادب السرياني ومن قادة النهضة الفكرية لدى بني نينوى وآرام في القرن العشرين» .

فرجل مجاهد ومعتاد بهذا المقدار يربط نفسه بالتاريخ ، ويربطه التاريخ بنفسه ، لا بد من الاشادة بذكره وفضله ، بل هو جدير ومستحق أن يكرم بهذا «الوشاح» بعد مرور عشرين سنة على رحيله ، لانه كرس ذاته لخدمة الوطن والكنيسة ، وبذل حياته في سبيل عزهما ومجدهما ، وبقي امينا على الوديعة التي تسلمها من الاباء بعطاءاته الثرة وخدماته الجليلة في زمن قل فيه العطاء ونادر عدد الرجال .

لقد استوقفتني ثلاث نقاط هامة عند مطالعتي لهذا السفر :
اولا : ان ما قصد به المؤلف الكريم هو رسم خطوط اجمالية لدور الفكر السرياني وتفاعله مع حضارة القرن العشرين في مشرقنا الحبيب . ولهذا فدراسته لحياة الملفان بولس بهنام ليست دراسة استهوائية تهدف الى جمع كل ما سبق وقاله الآخرون فيه ، وانما دراسة موضوعية علمية تعتمد الدقة والتقصي والتحليل لكل مرحلة أو موقف أو نظرية أو مقال أو كتاب له مساس من قريب أو بعيد بصاحب الترجمة . والاسلوب سهل ممتع بعيد عن التكليف والتكرار والحشو يستهدف تقديم صورة واضحة بريشة صادقة لشخصية المطران بولس وبصراحة ونزاهة كاملتين حتى وإن كانتا في بعض الاحيان جارحتين .

ثانيا : استعراضه لكل الجوانب النيرة والمظلمة من حياة المطران بولس العلمية والادارية واسترساله في الحديث عن اكثر من موضوع ساهم واشترك صاحب الترجمة في نجاحه وابرازه يلقي اضواء كاشفة على حركة الكنيسة من خلال التخطيط والتنفيذ في الادارة العامة . فالبطيركية وهي قمة السلطة الكنسية كانت تتحمل المسؤولية في اكثر من مجال ولكن هل كانت هذه المسؤولية فعلاً وقراراً ؟ واكليريكية مار افرام اللاهوتية الوريثة الشرعية لمدارس السريان اللاهوتية وقلب الكنيسة النابض التي قاد خطواتها الى الامام بايمان وطيد وثقة لا تتزعزع هل

استطاعت ان تبقى في فكر كل سرياني ، ومطمح انظار المخلصين من ابناء الكنيسة اينما وجدوا ؟ وخدمته في اكثر من ابرشية وتضحياته الجسيمة التي اقترنت بالآلام والأوجاع وقد تحملها بصبر عجيب . ومواقفه السلبية والايجابية ونجاحه أو حتى فشله هل كانت صفحات مكررة مع كل مطران سرياني ، ام أن لقوة الشخصية والارادة الصلبة دور هام في حياة رجل دين خاصة من كانت رسالة الكهنوت تقترن عنده بمنصب أو سلطة . وغيرها وغيرها من الاشارات والمواقف التي تتحمل التأويل والتفسير كلها ليست سوى اراء هادفة وليدة مواقف واحداث مختلفة عايشها صاحب هذا المؤلف يمكن أن تناقش وتبحث بروح المحبة والمسؤولية وعلى ضوء اختبارات وتجارب لكنائس وافراد لتؤدي الى تعزيز شأن الكنيسة ورفع شأنها في كل المجالات .

ثالثا : ان رأي المؤلف في «عدم غمط حق الانسان واخفاء محاسنه حسدا أو غيرة أو من باب الانانية» هو رأي صائب يقبله كل عاقل ومؤمن وصادق . ولكن صفحات هذا الكتاب تبقى حافزا لكل متبع وكاتب لاعادة كتابة تاريخ كنيستنا برجالاتها واحداثها باسلوب علمي رصين يتناسب وحضارة عصرنا . اننا اليوم بحاجة ماسة الى اعادة النظر في كل ما قدمناه عبر الاجيال للحضارة ونحن نحسب انفسنا ابناء اقدم كنيسة في المشرق . فهل سترى لغة الضاد اكثر من كتاب في اكثر من موضوع باسلوب هذا الكتاب وروحه ؟

اسئلة تجد لها اجوبة في كتاب هذا المؤلف

حلب - ١٩٨٨/٥/٣١ .

المطران يوحنا ابراهيم

متروبوليت حلب

المقدمة

عندما نترجم لرائد من رواد السريانية او نستعرض حياة عالم من اعلام الكنيسة ، نكون بذلك نتناول جانباً من جوانب حضارتنا العريقة ، ونقتحم حقل الدراسات السريانية الخصب ، ونحوم حول الفكر الآرامي الخالد . وكلما وددنا الكتابة في هذه المجالات ، ورغبنا في طرح مثل هذه النماذج من الابحاث ، فليس من شأننا ولا من هدفنا الغرور والتباهي سيّما وأنّ رئيس ايماننا يسوع المسيح يعلمنا «الوداعة والتواضع» لابل ان ثقافتنا السريانية النابعة من دم يسوع المصلوب بحد ذاتها سداها الوداعة المسيحية ، ولحمتها التواضع الانجيلي . وبالوقت نفسه لا نبغي من وراء ذلك ان نستمر اسرى الأجداد السالفة ، ولا أن نلبث متمسكين بأهداب الماضي العريق المجيد ، وجلّ ما نريده المزيد من التحرك والاجتهاد في خدمة الحق وعلان الحقيقة لمواكبة مسيرة الحضارة العالمية شرقاً وغرباً ، وإحناء الهامة أمام ما وهب الله للانسان من عبقرية وذكاء وأن لا يقال «ان السريانية توقفت عن العطاء» وهذا هو المنطلق الذي تنطلق منه الشعوب الحضارية على مرّ العصور .

ان التغني بالأجداد لا يربط بمناسبة والإشادة بمآثر الأجداد لا يحد بمكان أو زمان ، لأن مثل هذه الحالة لا تنتهي بل تلبث مستمرة عبر التاريخ ، لذلك لا نريد ان نقول اننا قمنا بإصدار هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ والمتضمن حياة الملفان مار غريغوريوس بولس بهنام المتوفى في ٢٩ شباط ١٩٦٩ بمناسبة مرور عشرين عاماً على وفاته . لأن صورة المطران بولس طبعت في ذاكرتنا ، ولم يعد بالإمكان ان تمحى شخصيته من خيالنا او ان تبتعد ملامحه عن ساحة تفكيرنا . اجل المطران بولس الذي التفت حوله قلوب السريان واحبه بنو نينوى وآرام ، وترنمت باسمه جداول الأدب ، وغرّدت له عنادل المعرفة والعرفان لا زلنا نلهج بحبه ، بذكره ،

بشعره ، بنثره ، بمؤلفاته ، بعباءاته . ان ما نريد ان تكون المناسبة تحمل معانٍ عميقة وقيمة وتتضمن حباً خالداً .

تقام لمعظم رجالات الدين والدنيا على مر العصور حفلات تكريمية وهم أحياء ، وتصدر في ذلك كراريس تحمل اخبارهم وتفاصيل مناسباتهم سواء أكانت يوبيلاً فضياً ام ذهبياً ام حمل وسام او ما أشبه ، أما المطران بولس فمات محروماً من كل ذلك لا بل مات مضطهداً مهاناً .

سئل أحدهم ماهو أرفع وسام يناله الانسان في حياته ؟ أجاب للفور : ان ارفع وسام يناله المرء في حياته هو ان يقال انه يستحق الوسام ولم يمنح له ، وكأني به يقول ان اعظم تكريم للمرء من يستحق التكريم ولا يكرم . وأذكر قولاً ظريفاً لأحدهم ، «ان الحياة للقوة وللظروف لا للعلم ولا للفهم» . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يحتفى بالمرء بعد موته فلا يكاد الأديب بتوسد الثرى ويطبق عينيه اطباقاً الأبد حتى تهب الصحافة والخطابة ، ويشمر الشعر والنثر بكل طاقاتها لحمده وورثائه والتأسف عليه ، وعلى هذه السنة جرى الأقدمون منذ عرف التاريخ الرجال الافذاذ ، اما المطران بولس فحرم من هذا ايضاً بعد موته .

اتذكر ان القيمين على تشييد ضريح له في كنيسة الرسولين بطرس وبولس في بغداد سألوا الرئاسة العليا الدينية يوم ذاك لوضع صورته على ضريحه فجاءهم الجواب سلباً تمشياً مع القوانين الكنسية التي لا تجيز ذلك ، في حين اننا نجد صوراً عديدة للمطارنة والخوانرة والقسس والشمامسة تعلو أضرحتهم في الكنائس والأديرة!! وما أكثر مثل هذه الحالات وما أشبه عندنا!! ان بناء نصب من المرمر الأبيض لا يمجّد ذكره ، وأكاليل الزهر وإيقاد المصابيح لا تعظم شأنه ، ان ذكره يتمجّد بخلود أدبه ، وشأنه مرفوع في عطائه .

مهما يكن من الامر فليس بين السريان من يجهل مكانة المطران بولس وان حاول بعضهم التعتيم عليها . ان من يحاول غمض حقوق الشخص واخفاء محاسنه حسداً او غيرة او من باب الأنانية او لأي سبب نظير ذلك ، فإنه لا يدوم طويلاً . قال السيد المسيح «لا تخفى مدينة على جبل» وقال جبران خليل جبران «جئت لأقول كلمة وسأقولها ، وإذا أرجعني الموت قبل ان ألفظها يقولها الغد . فالغد لا يترك سراً مكنوناً في كتاب اللا نهاية» ويقول ايضاً «الذي اقوله الآن بلسان واحد يقوله الغد بألسنة عديدة» .

مهما قسا الدهر ، ومهما زها في كبريائه وعجرفته ، ومهما امتدت يده الأثيمة لتعبت بحياة الانسان ، وتغيره من حال الى حال ، فانه سيبقى عاجزاً عن ان ينال من المرء ذكريات الصبا واحلام الحداثة ، تلك الذكريات الحبيبة العزيزة المستقرة في سويداء القلب بنضارتها وجمالها ، وتلك الأحلام اللذيذة الكامنة في أعماق الروح والنفس بإشرافها وفتنتها .

اجل ستبقى مجريات الحياة في اكليريكية مار افرام اللاهوتية في الموصل ١٩٤٨ - ١٩٥٢ في مخيلتنا نحن تلامذته طلاب هذا المعهد . وستبقى صدى الأحاديث الشيقة التي سمعت في باحاتها من دين وأدب وتاريخ عالقة في اذهاننا ، وستبقى الذكريات الغالية العزيزة في جميع مرافقها سحراً لعقولنا ولبساً لعواطفنا وفتنة لقلوبنا ، تنتقل معنا من عهد الى عهد ومن بلد الى بلد لا حدود تعيقها ، ولا حواجز تقف عثرة في طريقها ، ولا أجهزة تراقب حركاتها وسكناتها . ستحمل لنا في مطاويها رائحة المسيح الذكية ، ونفحات الآداب الآرامية ، وعطور حضارة العصر السريانية ، كل ذلك من خلال مديرتنا وأستاذنا المطران بولس بهنام .

في نهاية شهر حزيران عام ١٩٤٨ حصلت على نتيجة الفحص النهائي العام للدراسة الابتدائية بدرجة ناجح ومؤهل للدراسة المتوسطة . وحيث اني كنت منذ الطفولة موجهاً للانخراط في السلك الاكليريكي لذلك اخذت اتياً لهذا الامر معدا ما يلزم من الاجراءات واحضار الوثائق الرسمية ، ومراجعة المسؤولين في الكنيسة ، ومثل ذلك كان الامر لدى اخي وزميلي صليبا شمعون (المطران صليبا حالياً) حيث كنا نجلس على طاولة واحدة خلال الدراسة الابتدائية في الصفوف المنتهية في بلدتنا برطلي . وفي تموز من العام نفسه قصدت والاخ صليبا معهد مار افرام الكهنوتي في الموصل في كنيسة الطاهرة الخارجية - محلة الشفاء - فتلقانا في ترحاب بالغ الأخوة الطلاب البرطليون وأشاروا الينا ان نمثل بين يدي الاب بولس بهنام مدير المعهد الاكليريكي لغرض المقابلة والتي عليها يبنى امر قبولنا في المعهد او رفضنا . وهكذا بعد دقائق واذ بنا امام راهب كاهن ، شاب في الثلاثين من العمر ، وسيم الطلعة ، قصير القامة ، عالي الروح ، ذلك هو الاب بولس بهنام مدير المدرسة يتلقانا بابتسامة حلوة ومرحبا بالسريانية

حسنا ه حاكمدا المامه . / مطا امه محم ! وحيث اننا لم نكن

نحسن السريانية بصورة جيدة لابل لم نمارس التكلم بها ، فأجبناه بعبارة مقتضبة

« عهبة احم » ثم سالنا ثانية **مطا امه محم ! محم** وللغور

أجبت **لا هت ه لا عهبة احم** وطبعاً أردت ان

أقول **لا طرد ولا حب** فانفجر ضاحكاً ضحكته المعروفة . فتقرر قبولنا . عدنا الى برطلي وهيانا ما يلزم وبعد أيام قليلة التحقنا بالمعهد الافرامي ، هذا كان اول لقاء لي مع المطران بولس .

بعد ان اشرت الى اللقاء الاول مع المطران بولس ارى من الضروري ان اشير محدداً علاقتي الشخصية به . فباعتقادي ان العلاقة الشخصية القائمة بين المترجم والمترجم له لها دورها في هذا المجال . تقوم علاقتي به في ثلاث نقاط : اولاً كان مديري واستاذي من عام ١٩٤٨ - ١٩٥٢ ، تلقيت عنه المواد التالية : الكتاب المقدس ، الحق القانوني ، الأدب السرياني ، المنطق ، التاريخ المدني ، الشعر السرياني ، علم الوعظ ، مطالعات في الأدب العربي مع زملائي : افرام بولس (اثناسيوس افرام برصوم مطران بيروت) وصليبا شمعون (غريغوريوس صليبا مطران الموصل) وبرصوم يوسف (الخوري برصوم حلب) ثانياً : ان رجال الاكليروس ابتداءً من الشماس وصعداً نحو البطريك الذي هو القمة يشكلون هرماً للاكليروس السرياني ، وكل فرد من هذا الهرم هو زميل للآخر . ثالثاً تجمعنا اهداف مشتركة كمحبة الكنيسة ، وعشق التراث السرياني ، والخدمة الانجيلية ، غير ذلك لا علاقة اخرى لي به . وباعتقادي ان الاطار الذي وضعته لتشخيص العلاقة كاف ان يكون نقطة انطلاق للحديث عنه ، وما تسعفني الذاكرة من خلال هذه العلاقة يكفي ان اضعه في المكانة اللائقة به .

ان استحضار الذاكرة الانفعالية لدى المشتغلين بالمرح وممارسي الفنون ، يعطي للمسرحية حياة ، وصدى عميقاً ، لا بل هي المعول عليها في إجادة الاخراج والحصول على النتائج . واعتقد ان «الاففعالية» ليست وقفاً على الفن وملكاً للمسرح فحسب انما هي خير دليل للمصادقية في كل المجالات . وهناك ما يشبه ذلك في الحياة الروحية والعبادة كقول ابن العبري في كتابه الايثيقون «اذا لم تكن قراءتك لمزامير داود مقرونة بالدموع فكأنك لا تقرأ المزامير» فعندما نتحدث عن المطران بولس أو عن اي رائد من رواد السريانية فنحن «نفعل» ذلك ان محبة الكنيسة ، ومدى عشقنا للسريانية ، وعمق ارتباطنا بتراثنا وماضيها يؤثر فينا كل تأثر . وكما قلت في كتابي «السريان ايمان وحضارة» مج ٤ ص ٢٠٠ ولدى حديثي عن المطران بولس بالذات «عندما اتحدث عن رواد الثقافة السريانية في القرن العشرين ، اتحدث من القلب ، واتحدث من الأعماق فلا أجد نفسي بحاجة الى اختيار الجمل المنمقة ، ولا أفنقر اللجوء الى التعابير

التقليدية المألوفة ، لان حديث القلب ينبع عن سجية ، والكلام الصادر عن الاعماق يأتي عفواً .

اذا العلاقة المرسومة مضاف اليها «الانفعالية» مع الاستعانة بمعلومات اخرى مستقاة من خلال اثاره العلمية ، ومستمدة من بعض المقربين اليه ، هي المؤونة الكافية للحديث عنه .

لقد كان حظ المطران بولس كبيراً وحسناً لانه وضع كتاباً في حياة رجل عظيم هو المثلث الرحمة البطريك افرام الاول برصوم المتوفى عام ١٩٥٧ . وكان حظ البطريك افرام كبيراً وحسناً ايضاً ان يكون المخلد لذكراه كاتب مثل المطران بولس بهنام . وأنا بدوري أقول لي الحظ الحسن والكبير في ان اكتب حياة رجل عظيم مثل المطران بولس ، اما هو فحظه قليل جداً اذ لم يتوفر قلم على مستوى عال ليتناول حياته التي لا تستحق إلا الأقلام الرفيعة .

حدثني الأب الخوري توما صوفيا صهر المطران بولس ، وتلميذه ، واحد كهنة ابرشية بغداد ، ان سماحة العلامة الشيخ محمد حسن الطالقاني من النجف الاشرف - العراق ، بعد ان قرأ ماكتب وقيل عن المطران بولس ، قال «كان يجب ان يكتب المطران بولس عن نفسه ، لان قلمه هو الوحيد الذي يستطيع ان يعطيه حقه» ، ولا بد لي ان اشيد بجهود الاب يوسف سعيد الذي وضع كتاباً جيداً يتناول حياة المترجم له ، ضمّ اليه المقالات ، والقصائد السريانية والعربية التي نظمت في رثائه . يقع هذا الكتاب في ١٩٧ صفحة قطع ٢٤×١٧ ، طبع في بيروت عام ١٩٦٩ في مطابع ابجر ، طباعة انيقة وعلى ورق صقيل ، حوى معلومات جيدة ، ودراسات ناجحة .

ان ترجمة حياة علامتنا الكبير غريغوريوس بولس بهنام مطران بغداد والبصرة ليست احياء لذكراه فحسب ، بل طمعا بالفخر الذي سيحرزه السريان من خلال هذه الحياة الكريمة . ذلك ان الشعوب الحية اذا نبغ فيهم نابغة سعدوا بنبوغه وتفاخروا به ، واذا فقدوه عدّوا فقدوه خسارة دونها كل خسارة . فمن اراد ان يثبت ان في السريان علم وعلماء ، فابراز حياة المطران بولس من خير الادلة واسطع البراهين .

مما لاشك فيه ان القرن العشرين هو ازهر عصور السريان تألقا فكريا وثقافيا شبيها بعهد يعقوب الرهاوي ٧٠٨+ وموسى بن كيفا ٩٠٣+ وابن العبري ١٢٨٦+ اذ برز فيه طائفة جليلة

من علماء عديدين وكبار المؤلفين استأثر بالاجماع نخبة متميزة منهم امثال القس يعقوب ساكا ١٩٣١+ والشماس نعيم فائق ١٩٣٠+ والارخدياقون نعمة الله دنو ١٩٥١+ والبطريك افرام الاول برصوم ١٩٥٧+ باعث النهضة العلمية في القرن العشرين وزعيمها . والمطران فيلكسينوس يوحنا دولباني ١٩٦٩+ والبطريك يعقوب الثالث ١٩٨٠+ المؤرخ السرياني اللامع الفذ . وعلى مستواهم تماما المطران بولس بهنام ١٩٦٩+ . فهؤلاء جميعا يشار اليهم بالبنان . فهم المرجع وعليهم المعول ، فانعقدت لهم الامانة في المعرفة السريانية . ولا تزال هذه الحركة الفكرية مستمرة بشموخ وعنفوان اليوم متسلما قيادتها سيدنا العلامة البطريك زكا الاول .

اذن المطران بولس واحد من اولئك الاعلام الذين تغنوا بمآثر كنيستهم ، وساهموا في بناء مجد السريان العلمي والثقافي . وهو صرح من صروح العلم والمعرفة والادب ، وصفحة مشرقة في تاريخ الادب السرياني ، ومن قادة النهضة الفكرية لدى بني نينوى وآرام في القرن العشرين ، بزغ كوكبه في سماء كنيسة مار افرام السرياني فبهر الابصار بضوئه الوقاد ، مضيفا الى تاريخ هذه الكنيسة سطورا اخرى مشعة بالعبقريّة . وما اتوخاه من وراء ذلك خدمة الكنيسة السريانية ام العلم والعلماء ، التي انجبت العلامة المطران بولس بهنام .

فالى هذه الحياة الجليلة التي تطفح حبا ونبلا وثقافة وايمانا . وما اجدر هذا الرائد السرياني بالتخليد والتمجيد .

دمشق ٢١ نيسان ١٩٨٨

المطران اسحق ساكا



القسم الأول

حياة المطران بولس بهنام

١٩١٦ - ١٩٦٩

«إن الزهرة البعيدة عن قصف الرعود ووميض البروق ، هي بحق بعيدة عن حياة الزهور الحقيقية ، فبقدر ما تشاهد هذه البروق وتلك الرعود بقدر ذلك تنال فتنة وجمالاً ، وأرجأ منعشاً ، كذلك النفس البشرية البعيدة عن رعود هذه الحياة وبروقها ، هي بحق بعيدة عن معنى الحياة الحقيقية»

المطران بولس

قره قوش (باخديدا)^(١)

مسقط رأسه

قره قوش بلدة عريقة تقع جنوب شرقي مدينة الموصل شمالي العراق عن بعد ٢٨ كم ، اصبحت مركز قضاء يسمى «قضاء الحمدانية» بعد عام ١٩٧٠ .

قره قوش لفظة تركمانية تعني الطائر الاسود ، عرفت بهذه التسمية في القرون المتأخرة . اما اسمها التاريخي «باخديدا» او «بيت خديدا» وتلفظ بين سكانها والقرى المجاورة «بغديدي» وهي لفظة فارسية معناها «بيت الالهة» . وسبب تسميتها بهذا الاسم انها كانت بلدة مجوسية ، وكان فيها معابد كثيرة للنار والاوثنان . وكما قلنا هي بلدة عريقة موعلة في القدم . ينحدر سكانها من العنصر الآرامي القديم سكان حدياب «اربيل» الاصليين . قدم اليها في القرنين الحادي عشر والثاني عشر عدد كبير من السريان التكرارة حتى عرفت بـ «تكريت الثانية»

لا نعلم بالضبط متى دخلت المسيحية الى هذه البلدة ، انما ما يستدل عليه من بعض المؤشرات التاريخية ان يوحنا الديلمي^(٢) في القرن السابع قدم اليها ورآها تعج بمعابد الاصنام ، فطفق يبشر سكانها وهدم المعابد المجوسية ، وكسر الاشجار المعبودة واقام كنيسة على اسم سرجيس وباكوس ، وقد شيد له ديرا بجوارها في موضع يدعى «ناقورتايا» . اما منذ القرن الثاني عشر وصاعدا ، فالتاريخ يطلعنا

(١) نقتطف ما يكتفي به عن تاريخ هذه البلدة من كتاب : اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشهيد لمؤلفه الخوري افرام عبدال ١٩٥١ ص ٢١٣ - ٢٣٦ وكذلك مجلة لسان المشرق الموصلية اخذا عن تاريخ المفارنة لابن العبري . وكتاب تاريخ الكنيسة الهندية : اغناطيوس يعقوب الثالث البطريك الانطاكي ، والمجلة البطريركية دمشق مج ٢٦ السنة ١٩٨٨ العددان ٧٢ و ٧٣ ص ٦٩ - ٧٠

(٢) هو غير يوحنا الديلمي النسطوري

على حقائق عديدة ثابتة متنوعة نكتفي بالاشارة الى ما يتعلق بالاحداث الكنسية :
منها

اولا : اضحى لها مركزا هاما في كنيسة المشرق السريانية ، فقد جرت العادة في كنيسة المشرق انه حين اقتبال المفريان الجديد الرتبة ، يصعد به اولا الى دير مار متى ثم ينزل به الى قرية بادانيال ثم يذهب به الى باخوديدا فبرطلي .

ثانيا : اقام فيها بعض المفارنة بعد القرن الثاني عشر ، وتوفي فيها ثلاثة منهم وهم : يوحنا الرابع ١١٨٩ + ديوسقوروس بهنام شتي الاربوي ١٤١٧ + باسيليوس عزيز ١٤٨٧ .

ثالثا : لها مواقف مشرفة من ذلك : ان كلا من المفريان ديونيسيوس موسى ١١٦٢ - ١١٣٢ والمفريان اغناطيوس الثالث ١٢٥٨ + قصد سكان هذه البلدة فجمع مبلغا من المال لأغراض المصلحة العامة . وعندما هاجم الاكراد دير مار متى سنة ١١٧١ اسهم الخديديون في تفريق شمل المعتدين وازاحتهم عن الدير . واشادوا قلالية في دير مار متى عام ١٣٠٨ تعرف بقلالية ابن العبري نقرها في الصخر نقرأ عجيبا الراهب منصور الباخديدي . اما آثار دير مار بهنام فخير دليل على مآثرهم .

رابعا : انجبت قره قوش نخبة من العلماء والاحبار والاكليروس نذكر منهم ايوانيس يوحنا مطران بانوهديرا (دهوك) سنة ١٢٨٤ والمطران ايوانيس يوحنا عبد المسيح نائب كرسي دير مار بهنام سنة ١٦٢٥ والمفريان باسيليوس يلدا الذي جدد دير مار متى ، ورحل الى ملبار قاصدا رسوليا لتعزيز الكنيسة في الهند ، وتوفي فيها عام ١٦٨٥ ودفن في مذبح بيعة مار توما في كوطامنكلم التي لا تزال تحتفل بذكراه السنوية باكرام جزيل ، حيث يتقاطر اليها المؤمنون وغيرهم للاشتراك في مراسيم الاحتفال ، وللتبرك من ضريحه الطاهر ولا سيما المرضى واصحاب العاهات اذ اظهر الله بشفاعته كثيرا من الكرامات . ونظرا لهذه المكانة التي يحتلها في كنيستنا في الهند ، فقد اصدر قداسة سيدنا البطريرك المعظم مار اغناطيوس زكا الاول الجالس سعيدا ، منشورا بطريركيا في ١٩٨٧/١٠/٢٠ نشر في المجلة البطريركية في العدد ٧٢ - ٧٣ عام ١٩٨٨ ، وبناء على طلب رفعه الى قداسته المجمع

المقدس المحلي لكنيسة الهند المنعقد في ٢٢ آب ١٩٨٧ ، فقد اذن قداسته في منشوره الرسولي بضم وذكر اسم المفريان مار باسيليوس يلدا في التذكار (الشمالية) الخامس عند اقامة القداس الالهي . والاسقف هداية الله شمو : الذي رسمه المفريان يلدا اسقفا باسم ايوانيس ليعاونه في ادارة الكنيسة السريانية في الهند ثم رقاها الى رتبة المتروبوليت . وبعد وفاة مار باسيليوس يلدا تولى امر الكنيسة في الهند المتروبوليت هداية الله وقد اظهر همة عالية ، ولعب دورا متميزاً خطيراً في قيادة الكنيسة الهندية متحملاً صعاباً لا توصف . توفي في عام ١٦٩٤ ودفن في مذبح بيعة مار توما في بلدة مولنطورتى حيث يحتفل بذكراه السنوية بما يليق من الاكرام . والمفريان ايوانيس كاراس ١٧٤٧+ تميز بحسن الادارة والحكمة ، وكان رجل عمل وعمران ، جدّد معظم كنائس قره قوش . وغيرهم كثيرون خامسا : حوت قره قوش مكتبة عامرة ضمت مؤلفات نفيسة ، غير ان ايدي الحدّثان تلاعبت بها فذهب معظمها اما ضياعا او اختلاسا او تلفا ومنها ما كان ضحية جهل اهل القرية مثلما عملوا عام ١٧٨٠ حيث طرحوا في بئر كنيسة الطاهرة بالموصل مجلدات كثيرة من كتب السريان ولم يسلم منها إلا مجلدات معدودة . كما نجد بعض اثارها في خزائن الكتب العالمية الكبرى .

سادسا : في قره قوش كنائس قديمة العهد ، عديدة من جملتها كنيسة الشهيد سرجيس وباخوس ، وهي اول كنيسة بنيت في قره قوش وطّد دعائمها يوحنا الديلمي في القرن السابع للميلاد ، ودمّرها طهماسب سنة ١٧٤٢ ثم تجددت بعد مدة يسيرة ، وفي عام ١٩٨٦ تجددت بشكل عام بهمة الحكومة العراقية ، وهي تستخدم اليوم للصلاة والعبادة . وكنيسة القديسة شموني المقابية وهي قديمة جدا ، يرتقي تاريخها ربما الى القرن السابع للميلاد ، تقع في الجنوب الغربي للقرية ، جددت عام ١٧٦٩ ، وكان سويريوس زكا عيواص مطران ابرشية الموصل ١٩٦٣ - ١٩٦٩ ادخل عليها بعض الترميمات وشيّد سورا حول التل المحيط بها .

ومما يجدر ذكره ان اعجوبة تظهر في هذه الكنيسة كل سنة في يوم عيدها الواقع ١٥ تشرين الاول ، ويؤمها كثيرون من الزائرين من مختلف انحاء العراق ،

ذلك ان القديسة شموني تظهر مع بنيتها السبعة ومعلمهم لعازر الكاهن بشبه اطياف تحيطهم هالات من نور متوهج ذهابا وايابا على احد الجدران . ونحن لا نقرأ في التاريخ شيئا عن هذه الاعجوبة وربما لم ينتبه اليها . وكان المرحوم القس عبد الاحد احد قسوس قره قوش المتوفى عام ١٩١١ اول من احس بها فاذاع الخبر .

عاشت قره قوش حتى اواسط القرن الثامن عشر سريانية ارثوذكسية . وفي عام ١٧٦١ اخذت تظهر فيها الكتلكة وتنتشر وتمتد ، وما حلّ عام ١٧٩٣ حتى شملت معظم سكان هذه البلدة ما عدا اسرة واحدة ظلت متمسكة بمعتقداتها القديم ، هي اسرة كولان التي منها ينحدر غريغوريوس بولس بهنام . وقد ظهر من هذه الاسرة عدد من الكهنة في النصف الثاني من هذا القرن هم : المرحوم الخوري افرام جرجس الخوري يلدا ١٩٨٥+ احد كهنة ابرشية بغداد وخال المطران بولس . والخوري يوسف كرومي كاهن كنيسة الشهيدن سركيس وباكوس في قره قوش حاليا . والقس جرجس خضر كاهن كنيسة مار افرام في كركوك - العراق ، والمرحوم القس برصوم يشوع الذي توفي عام ١٩٨٨ كاهن كنيسة العذراء في سنجار .

واليوم قره قوش تابعة لابرشية الموصل يقطنها اكثر من عشرين عائلة سريانية ارثوذكسية .



نشأته

وحياته الأولى

(قره قوش)
١٩١٦ - ١٩٢٩

هذا يكون عظيما

ولد المطران بولس في بلدة قره قوش عام ١٩١٦ منحدرًا من اسرة كولان العريقة في سريانيته وارثوذكسيته ، ومن ابوين تقيين هما بهنام بولس كولان ، ونجمة جرجس الخوري يلدا . وسمي بالمعمودية «سركيس» . عاش طفولته في حضن والديه يرعيانه بالحب والحنان راضعا منها لبان التقوى والخلق الرفيع سيما وان والده كان شماسا ، وكان له رفد هو خاله المرحوم الخوري افرام الخوري يلدا كان بيتهم مبنيًا من الحجارة والجص وارضيته مرصوفة بالطين ، وهكذا كانت معظم بيوت البلدة فهو والحالة هذه متواضع النشأة ، واصحاب العزائم لا يجعلون من تواضع نشأتهم مبررا لتعويقهم من السير قدما ، ولا معطلا عن العمل والطموح . اذكر في عام ١٩٥٠ وفي يوم من ايام الربيع قامت المدرسة الاكليريكية في الموصل بنزهة الى نمرود ودير مار بهنام وعلى راسها مديرها الاب

بولس بهنام ، وتوقفنا ساعة في قره قوش وتناولنا طعام الفطور في دار المطران بولس ، فقال لنا بكل اعتزاز «بيتنا صغير وبسيط»^(٣) .

استهل دراسته الاولى المتضمنة مبادئ اللغة السريانية والطقوس البيعية في قريته على كاهن الكنيسة وبعض الشمامسة .

التعليم وقتئذ في القرى والارياف كان ينهج اسلوباً تقليدياً ، فلم يكن هناك مدارس نظامية ، لان المدارس النظامية كانت محصورة في المدن الكبرى . كان الطالب يقصد الكنيسة قبل بزوغ الشمس ليؤدي صلاة الصبح مع رفقاءه ثم يعود الى داره لتناول طعام الفطور . وبعد ذلك ، كانت مدرسة الكنيسة بانتظارهم حيث يزدحم الفناء والاروقة بعدد كبير من الطلاب . وكل يحمل كتابه . وقد يكون هذا الكتاب احد اسفار العهدين وعلى الاغلب سفر المزامير من العهد القديم ، والانجيل من العهد الجديد ، وكانوا يحافظون على هذا الكتاب كل المحافظة لئلا يصاب بتلف او اذى . وإلى جانبه كتاب آخر للطقوس البيعية .

كان القسيس او الشماس يجمع الطلاب في احدى الغرف في فصل الشتاء ، او في احد الاروقة في فصل الصيف ، او في الفناء خلال فصلي الربيع والخريف . يتلو الطالب درسه امام معلمه مستهلاً بعبارة تتضمن تمجيد اسم السيد المسيح **صباحك مجدك ومجده لا** ، وإذا اخطأ احدهم كان يصحح لهم الخطأ والعصا في يده يضرب بشدة الكسالى والمهملين والمتغيبين .

كان الطالب يحفظ الطقوس على ظهر القلب ، ويستطيع ان يردد ما يتلقنه بيتا بيتا او فقرة فقرة دون ان يدرك معناها ومراميها ، ولكنه يحس في أعماق نفسه انه يتلقى شيئاً جميلاً جداً . يتلقاه ببالغ الخشوع وبكل احترام ، ويكنّ لاستاذه كل تقدير واجلال ويؤدي له الطاعة الكاملة .

(٣) البطريك يعقوب الثالث في احدى سني ذكرى جلوسه القى كلمة قيمة ، جاء فيها عبارة لا تزال عالقة في ذهني قال «اشكر الرب الذي يرفع البائس من المذلة ويجلسه مع رؤساء الشعب» . طبعاً القول مأخوذ من العهد القديم .

اتّخيل سرّكيس صبيا صغيرا يعدو مع رفاقه في اروقة الكنيسة وفنائها لاعبا
لاهيا ثم يستوقفه صوت الجرس فيهرع الى المحل المخصص للتعليم ، يتلو
دروسه خاشعا ، ثم تأخذ اذناه ترتشفان درسا آخر فيمتزج ما يسمعه بروحه ،
ليطلع على الكنيسة يوما من الايام «رجل الله» وحبرا من مشاهير احبارها .

فالكنيسة والحالة هذه كانت الاستاذ الاول له حيث سكبت قطرات النور
الاولى في عينيه ، يقضي في مذبحتها وهيكلها المقدسين الاوقات المخصصة للعبادة
والصلاة ، وبصرف ساعات عديدة في اروقتها وفنائها يتعلم ويلعب مع رفاقه .

نشأ سرّكيس في بيته وكنيسته وبلدته ، ذكيا ، مهذبا ، كان والداه يعدانه
لينخرط في سلك الكهنوت ، والاهل والاقارب يمدّون الفكرة بالتأييد والتشجيع ،
فتوسّم فيه الكل خيرا ، وكأنّ العناية الالهية كانت تهيم له مهمة تاريخية كبرى ،
وليكون في الكنيسة رجلا عظيما .



قال البلبل الفيلسوف : «تباً لكم أيها الغربان ، إنكم لاتفكرون إلا بجرائمكم وجيفكم
وبطونكم ، أما نحن معشر البلابل فلا نفكر إلا بالزهور والزنايق والرياض ، نظير هنا
وهناك ، ونلقي في كل روضة أنشودة من أناشيدنا البريئة ، ونسمع كل جدول رقراق قصيدة
من قصائدنا المنعشة التي علمنا إياها الخالق العظيم منذ الفجر الأزلي . نحن لا نريد قتل
الأبرياء ، ولا نظير فوق جيف هذه الحياة ، بل نفر إلى حيث الهواء الطلق ، والنسيم المنعش ،
فأمكثوا أيها الغربان بين جيفكم ، وأتركونا بين زنايقنا» .

المطران بولس

دير مار متى^(٤)

الطالب سر كيس

«الراهب بولس»

١٩٢٩ - ١٩٣٨

تطلعات وطموح

في يوم زاهٍ من ايام الربيع الجميلة، كان الفتى سر كيس وهو في الثالثة عشرة من عمره يتوكل مع ابيه شعاف جبل مقلوب، في طريق بين مرتفعين مرصوف بالحجارة، يتلوى ويتمعج يمينه ويسرة يطلق عليه اسم «طبكي»^(٥).

(٤) تأسس دير مار متى في اواخر القرن الرابع الميلادي بمساعي القديس مار متى احد اقطاب النسك والزهد في بلاد ما بين النهرين . وبعضد سنجاريب ملك اثور الذي اتحد من تروود عاصمة ملكه . واشتهر الدير في القرن الخامس حيث صار كرسيا مطرانيا ولا يزال كذلك حتى اليوم . ذاق الأمرين من الفرس الذين دمروا ابنته واضرموا النيران في مكتبته وقضوا على حضارته . ثم اخذ الدير من جديد ينتعش ويعيش عهدا ذهبيا سعيدا على العهد العربي الاسلامي ما بين القرن السابع والثالث عشر للميلاد حيث اشتهر برهبنته، ومعهدة الديني والعلمي، ومكتبته ومركزه الكنسي المرموق في كنيسة المشرق . ثم انتابته كوارث ومأس وانتهى به الامر الى الخراب والدمار على اثر الغارات الوحشية من قبل الحكام الطفلة وبخاصة تيمور لك . ثم اعيد تجديده في اواخر القرن السادس عشر وما بعد . واليوم هو كرمي مطران . (راجع كتاب دققات الطيب للطربرك يعقوب الثالث طبع ١٩٦١ . ومجلة اسناد المشرق لمحررها المطران بولس سهام . وتاريخ دير مار متى للمطران اسحق ساكا طبع ١٩٧٥)

(٥) كلمة سريانية تعني المرقى .

وكأنني به شرع يتوقل ذرى المجد في تلك اللحظات التاريخية . ونظراته الطفولية البريئة تتطلع الى قمم هذا الجبل الضاربة في الفضاء وكأنه يتطلع الى امجاد امه الكنيسة السريانية السامقة .

اجل ناداته النعمة الالهية ، فالتحق بمدرسة دير مار متى ^(٦) الدينية وهو في الثالثة عشرة من عمره . واخذ يقبل على تحصيل العلوم الدينية والطقسية برغبة قوية ، ودرس اللغتين السريانية والعربية ، وآلم بالانكليزية ومن زملائه في هذه المدرسة والذين استمروا في الحياة الاكليريكية وانخرطوا في سلك الكهنوت ، شابا (عبدو) توما ماري البرطلي (المثلث الرحمات البطريرك يعقوب الثالث) ^(٧) ١٩٨٠+ . الربان نوح شابا البرطلي عمل في ديوان البطريركية بحمص ، ثم كاهنا لكنيسة حماه في سورية ، وكنيسة كركوك في العراق ثم لكنيسة رأس العين في سورية . وتعين لفترة طويلة نائبا بطريركيا في مصر ، وحاليا هو كاهن كنيسة رأس العين . الربان داود سليم الاسفسي ١٩٨٠+ خدم في الدير وابرشيته ، والقدس ، وطرابلس ودير بك . الربان عبد المسيح شيرو الموصل : خدم في الدير

(٦) سعى بانشاء هذه المدرسة قليميس يوحنا عبا جي مطران الدير يومئذ عام ١٩٢٣ واحرزت نجاحا ملحوظا . ولما نقل المطران الى حلب عام ١٩٢٦ تأخرت امورها وتبدد قسم كبير من طلابها . ولما اسندت رئاسة الدير الى الخوري سليمان القس يوسف البهزاني ١٩٢٦ - ١٩٢٨ استأنف اعمالها بحيوية ونشاط أكثر تعاونه لجنة الاحسان في الموصل ، وممن تولى التعليم فيها في هذه الفترة الشماس يعقوب ساكا البرطلي (القس يعقوب بعدئذ) الشاعر السرياني المعروف . واشرفت عليها لجنة كفاءة مؤلفة من بعض الغيارى منهم الارخدياقون نعمة الله دنو الموصل والاديب السرياني الكبير . وفي نهاية عام ١٩٢٨ عادت القهقري لظروف ما . ولما اسندت رئاسة الدير الى الربان يعقوب سليمان الموصل (المطران بعدئذ) عام ١٩٢٩ استأنف اعمالها ، ثم اعتزل رئاسة الدير وتفرغ لادارة المدرسة ومن جملة من تصدر للتعليم فيها في هذه الفترة الاستاذ عيسى عنتر ، والافودياقون بشير الموصل . وكان عدد الطلاب يتراوح ما بين ١٤ - ١٦ ، وكان «سركيس بهنام» احدهم . وبعد عام ١٩٣٤ اخذت امور المدرسة تتدهور الى ان آذنت شمسها بالمغيب . (راجع دفقات الطيب في تاريخ دير مار متى للبطريرك يعقوب الثالث ص ١٦٩ - ١٧٠)

(٧) راجع تاريخ كتاب دفقات الطيب : لاغناطيوس يعقوب الثالث ص ٢٠٨ - ٢١١ وص ٢٢٤ - ٢٢٥ ، والسريان ايمان وحضارة مج ٤ للمؤلف ص ٢٣٣ - ٢٥١ وكنيسة السريانية للمؤلف ص ١٨١ - ١٨٢ . ارى من الضروري اصدار كتاب موسّع يتضمن تاريخ حياته ، ومآثره العمرانية والكنسية ، ودراسة مستفيضة عن مؤلفاته العديدة . وحدثني نياقة المطران يوحنا ابراهيم انه ينوي القيام بهذا العمل الفكري ، وفقه الله .

وكنائس ابرشيتي الدير والموصل ، حاليا احد رهبان دير مار مرقس بالقدس .
الراهب الياس بهنام البعشيقي ١٩٤١+ تلقى بعض الدروس في مدرسة مار افرام
الاكليريكية في زحلة ، نقل الى العربية قصة القديس مار متى . الخوري سليمان
داود البحزاني خدم في كنائس البصرة والموصل ، حاليا احد كهنة ابرشية بغداد .
اصدر عام ١٩٥١ مجلة دينية ادبية شهرية سماها «السلام» دامت سنتين تقريبا .
القس افرام جونا البرطلي كاهن كنيسة القديسة شمووني في برطلي وسبق ان خدم
الكنيسة في سنجار . الخوري يوسف كرومي كاهن الكنيسة في قره قوش ، وهو
خطاط .

ولما اسندت رئاسة الدير الى الخوري الياس اشعيا البرطلي استأنف المدرسة
في الدير عام ١٩٤٢ - ١٩٤٦ وفي هذه الفترة تخرج منها القس يوسف سعيد كاهن
كنيسة ماشطا في السويد حاليا ، وسبق ان خدم كنائس كركوك في العراق
وبירות ، وهو اديب ، وكاتب . الخوري اسحق منصور : خدم اولا في كنيسة
راس العين ، حاليا هو احد كهنة ابرشية الموصل . القس برصوم يشوع توفي عام
١٩٨٨ كان كاهنا لكنيسة سنجار .

انصرف الراهب بولس الى المطالعة الشخصية ، وبذل الجهود الفردية في
سبيل العلم والمعرفة . وانعكف على قراءة كتب الآباء السريان بشغف شديد وعبّ
من هذه الينابيع الثرة ما استطاع لا بل استمد من هذا الجو الروحي كل ما كانت
نفسه تطمح اليه من عظمة الماضي وسمو التراث التليد ، مستصفا اطيها واعذبها
والصقها بروحه وقلبه وسرعان ما اشتد ساعده ونضج فكره فاخذت التجربة
الادبية تحرك الوتر الغض من موهبته ، واخذ يتمرن على الكتابة والتأليف وكان له
بعض محاولات اولية وممارسة في ذلك . وكان وبعض زملائه يعتزون جدا
بشخصية مار سويريوس يعقوب البرطلي مطران دير مار متى ١٢٤١+^(٨) واتخذوا
كتابه الموسوم بالكنوز خير مرشد الى العقيدة والطقس ، وكثيرا ما نقلوا بعض
فصوله الى العربية . وكان اسم ابن العبري^(٩) يبههم جميعا ويملاهم اعتزازا

(٨) راجع تاريخ حياته كتاب اللؤلؤ المنشور ص ٤٠٤ - ٤٠٧ طبعة ٥ حلب ١٩٨٧

(٩) راجع تاريخ حياته كتاب اللؤلؤ المنشور ص ٤١١ - ٤٣٠ طبعة ٥ حلب ١٩٨٧

وكبرياء بماضي كنيستهم واخذ ومن معه يحسون بسعادة فائقة لانهم ينتمون الى كنيسة ابن العبري ، وكانت كتبه رفيقهم ومرجعهم . لقد حفظوا عدداً كبيراً من اشعاره على ظهر قلب كما حفظوا قصائد اخرى لما افرام والسروجي وغيرهم وغرست محفوظاتهم هذه حب اللغة السريانية في اعماق نفوسهم واصبحوا يقدسون لغتهم . وكان اسم اخر يشرفهم ويزيدهم فخرا ذلك هو البطريرك افرام الاول برصوم ١٩٥٧+^(١٠) وكانوا مؤمنين بانهم قادرون على استعادة الماضي المجيد وانهم ابناء اولئك الاماجد . وكان الراهب بولس ينفرد عن زملائه بتطلعات مستقبلية متميزة ، وطموحات نحو العلى . ففي الدير ازدادت محبة الكنيسة في قلبه اضطراما ، وزاد عشقه للتراث السرياني واشتد اعتزازه بالآباء والاجداد .

ويمكننا أن نحصر أعمال الراهب بولس في حقل العلم بما يلي :

- اولا : انعكافه على قراءة ومطالعة كتب الآباء السريانيين .
- ثانيا : نساخة بعض الكتب الطقسية واللاهوتية ، وتجد في مكتبة الدير كتاب الاشعة لابن العبري منسوخاً بخط يده عام ١٩٣٦ .
- ثالثا : نقل بعض المواضيع اللاهوتية من السريانية الى العربية .
- رابعا : جمع منتخبات دينية ولاهوتية وتاريخية من كتب الالباء السريانيين ومن مؤلفات الاقباط وغيرها ويكون منها مجموعة تسمى بـ «الكناش» او المجاميع .
- خامسا : التمرن على الكتابة والتأليف .

اضف الى ذلك كله ان في دير مار متى كانت الطبيعة رفيقة له وكانت مناظرها الساحرة تغذيه بالجمال والفتنة فكان الجبل الأشم يبسط امام ناظريه قممه الساحرة ، ووديانه الجميلة ، وذراه الشاخحة ليدرك عظمة الله من خلخته وتكوينه للعالم . . . والفجر الصامت الممتد كالبحر الذي يرتعش بأغنيات الطيور ، وبالنسيم العليل الذي ترك رطوبته في جبينه ، ونور الصباح الجميل الذي غسل عيونه . . . والليل المهيب حيث يسود الصمت الحالم ، ويخيم الجلال على ربوع

(١٠) راجع تاريخ حياته السريان ايمان وحضارة للمؤلف مج ٤ ص ١٨٠ - ١٩٩ و السريان ايمان وحضارة للمؤلف

مج ٢ ص ١٩٦

الدير القدسية على عكس النهار حيث الضجيج الصاخب تتعالى اصداؤه في جميع جوانب الدير ولا تهدأ له ضجة ، ولا ينقطع سيل زائريه والوافدين عليه من مختلف الانحاء والجهات كان يستسلم لوحده التي احبها من كل قلبه ، وفي رهبة الصمت الذي كان يخيم على الدير فجراً وليلاً ، تنفتح مواهبه ، وتنمو قابلياته . حدثنا مرة انه كان يتطلع من نافذة صومعته في سكون ليلة مقمرة ويتأمل في الطبيعة ، فيرتسم في مخيلته ما يترقرق في الجبل والسهل والوديان من صور شتى واستمسكت ذاكرته الغضة بتلك الصور الرائعة واذا بيوم من الايام تتناولها ريشته الملهمه فتخطها شعرا ونثرا . ومن جملتها : مقالة تحت عنوان «سبع ساعات في جبل الالوف»^(١١) يأتي على وصف الطبيعة وصفا ممتعاً شيقاً تخلله بضعة ابيات من الشعر مطلعها

مهبط الالهام قبل الحقب حنّ قلبي لثراك الطيب
ثم يقول

مهبط الالهام هل من مخبر عن نفوس مثل نفح العنبر

ولدى وصوله الى قلاية ابن العبري يقول «تشعر بنشوة روحية تختلج في اعماق قلبك ، وتحس برهبة وخشوع يخيمان على آفاق نفسك ، لما يوحيه هذا الاسم الخالد من هبة وجلال ، ولما يحيطه من هالات النور والطهر والقداسة ، هو حبيب النفوس ، ودرة الاجيال و«اعجوبة من عجائب الله» الذي تبوأ عرش الخلود في بيعة المشرق السريانية وحمل مشعل النور بكلتا يديه في ظلمات الليالي الحالكة»

ثم يختم هذه المقالة بتحية الوداع للدير قائلاً «سقيا لك ياتراث الآباء الميامين ونفحات الجدود الخالدين ، يا مرعى غزلان المسيح ، ومسرح حملانه» ويستطرد «سلام لك ايها الينبوع العذب ، فقد ارويت غليلنا بعد الظمأ ، والى سلام لك ايتها الاشجار ، فقد فيأتنا بظلالك الوارفة» .

(١١) لسان المشرق : مج ١ : السنة ١٩٤٩ العددان ٨ و ٩ ص ١ - ١٤

ونظم قصيدة من الشعر المثور تحت عنوان من وحي الصومعة «صومعة ابن
العبري ١٧ آب ١٩٤٩»^(١٢) سماها اناشيد جاء فيها :

ايها البلبل يا صديقي القديم
وقع اغاريد المجد على قيثاره الازل
ولا تنتظر مني إلا انينا يشبه انين المدنفين
ولا تنتظر بعد ذلك إلا الصمت الرهيب
ففي صمتي شوق وحنين الى مسارح النور ومآتي الظلام
في صمتي شوق وحنين الى شيء يسمونه «المجد» .

وفي باقي اجزاء القصيدة يتغنى بالامجاد السالفة ، والماضي التليد ، ويعبر
عن اللذة التي يستمدّها من «وحدته» و«صمته» .

ونظم قصيدة اخرى في ٢٣ بيتا بنفس الموضوع^(١٣) عنوانها

من وحي الصومعة

صومعة ابن العبري ١٩ آب ١٩٤٩

ذكريات

متّع الطرف بهاتيك القمم	واستعد ذكرى لأيام القدم
واشهد الغزلان في روحاتها	واتبع الغدران في اثر الغنم
هوذا الراعي على قيثاره	يطلع الارواح من سجن الألم
هوذا الغريد في الحانه	يمزج السحر باعطاف النسم
هدأة كالخلد إلا انها	متعة الروح لارباب السأم

(١٢) مجلة لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٤٩ العدد ١ ص ٢٨ - ٢٩

(١٣) لسان المشرق : مجلد ٢ السنة ١٩٤٩ العدد ٢ ص ٧٢ - ٧٣

وانشرون في الكون هاتيك القيم
كانوا نورا وضياء للأمم
في حشاك القاسي عينا لم تنم
يستقون الوحي من فيض النعم
يوم شالوا العلم في رأس العلم
كم رأيت الطهر في لحم ودم

يا محيط العلم يا رب القلم
من رحيق العلم من بحر الحكم
جئت ظمآنًا الى ذاك النغم
فاملأن كأسي بهاتيك الرهم
انت للعلم سراج في الظلم
من سنائك الهادي يا عالي الهمم
انت ثغر الخلد في الارض ابتسم
اي لحن في ثناياك انسجم؟
مستهام الروح اظناني السقم
تسمع التحنان من روح وفم؟
فوقها اثار ذياك العظم
في ثناياها نسيات الشمم

ايها الفريد خلد ذكرهم
وابعث النجوى لأرواح الألى
أيها الصخر ألم تبصر لهم
في ذرى الالهام راقبتهم
كم رنت عيناك في اسفارهم
كم رأيت النور في اجفانهم

يا جمال الدين^(١٤) يا خدن العلى
انت استاذي وكم ارويتني
هات اسمعني نشيدا اني
هذا ثغري جف من طول الظما
يا ابا العلياء يا بحر النهى
اشرق الانوار في ارواحنا
يا ابا التاريخ يا كهف التقى
انت بوق الشعر قيثار الهدى
دع اناجيك بقلبي اني
في ظلام الليل ادعوك فهل
يا حبيب الروح هذي صخرة
يا عظيم القلب هذه جنة

وله قصيدة اخرى مسجلة في سجل الدير يتغنى بالدير هذا نصها :

هات حدث عن جدودي الخالدين
مثل نور في قلوب الزاهدين
باسما فوق ثغور الناسكين
نسيات الوحي كالنغم الامين

يا مهبط الوحي ودار الصالحين
يوم كان المجد حيًا مشرقا
يوم كان الزهر في هذي الربى
يوم كان الفصن ميادا على

(١٤) لقب ابن العبري

روضة العلم الا من مخبر
كيف شادوا الصرح للعلم على
كم سقوا الازهار بالدمع وكم
قدموا الارواح للرب كما
قدموا للرب قربان الرضى
وازدروا الدهر وخاضوا معمعا
للملا اخبار قوم غابرين
هذه الاطواد بالدر الثمين
عبقوا الدهر بعطر الياسمين
قدموا الاعناق بالحب المتين
من قلوب ملؤها نور اليقين
من دماء يالقوم ظافرين

الراهب بولس بهنام

وبعد ان انتهى امر اكليريكية دير مار متى عام ١٩٣٥ ، وترك معظم الطلاب ديرهم ، لبث الطالب سركيس مستمرا في السلك الاكليريكي دون ان يغادر الدير لانه جاء الى الدير حاملا رسالة روحية ادبية لذلك فقد عزم على ان يكرس نفسه للرب المسيح ، وان يحمل صليب الناصري المتألم على اكتافه ، ويتجند للانجيل في كل جوارحه وان يضع خدمة امه الكنيسة نصب عينيه ، فرأى ان تكون «الرهبنة» هي القاعدة التي منها ينطلق ليخوض هذه الاجواء كلها . وهكذا كنت تسمعه في مساء ١٥ آب عام ١٩٣٥ وفي كنيسة مار متى في دير مار متى يرتفع صوته من اعماق قلبه «انا اردت ان اقدم نفسي للرب» . اجل في تلك اللحظة الحاسمة من تاريخ حياته وشّحه ديونيسيوس يوحنا السادس المنصوراتي مطران الدير^(١٥) بالاسكيم الرهباني وسماه «بولس» ومنذئذ اخذ يعرف في الكنيسة باسم الراهب بولس بهنام .

نحن لا ندعي بان الرهبنة في المسيحية هي طريق الخلاص ، فالخلاص ليس بالزهد والنسك . انما الطريق الى ذلك هو الحياة المسيحية الانجيلية وليس طريقا آخر سوى هذا .

(١٥) راجع تاريخ حياته في كتاب دفقات الطيب ص ١٤٦

المسيحية لا تدعو الانسان ان يفرغ خمره كاسه المنعشة المشعشة ، ولا ان يغلق ابواب الحواس تمنع عنها اللذائذ والاطياب التي خلقها الله لاجل متعة الانسان .

المسيحية لا تهدف الى اغلاق ابواب القلب ، وايجاد منافذ العواطف ، لان القلب المغلق عن الحياة هو القلب الخالي من المحبة والحنان ، ومن اوصد منافذ عواطفه ، فقد انحرف عن الحقيقة .

فالراهب الحقيقي الذي يريده المسيح ، ان يحمل قلبا مفعما بالمحبة ورحيق الحياة المنعش ، وان يقدم هذا القلب للمسيح بكل ما يحويه من المحبة ورحيق الحياة كما قال احدهم «ان الزهرة تفعم الجو باريحها الشذي ، بيد ان قصارى جهدها هو ان تمنحك نفسها» .

ان من يجند نفسه للمسيح ، ويصبح راهبا ، فقد محا اسمه من سجل عائلته ، وانتسب الى عائلة اخرى .

ان العائلة التي تعطي واحدا من ابنائها للكنيسة تغني ولا تفقر ، وان انضم شخص واحد الى العائلة الكنسية العامة لا يفقر العائلة الصغيرة .



«أقبل الناس إلى الهيكل للعبادة زرافات ووحدا ، غير أنني لم أر شخصاً واحداً قد جلب قلبه معه إلى ذلك المحل المقدس ، فإني نظرت إلى صدورهم فرأيتها فارغة من القلوب ، ولا أدري كيف فقد البشر قلوبهم عند مثولهم أمام ربهم» .

المطران بولس

زحلة - لبنان

الاب بولس بهنام

تلميذ ومعلم

١٩٣٨ - ١٩٤٥

اول القطوف

على عتبة الشهرة

في سنة ١٩٣٨ التحق بمدرسة مار افرام الاكليريكية^(١٦) في زحلة - لبنان واكمل فيها دروسه العربية والفلسفية، واتفق اللغتين العربية والسريانية وتعلم اللغتين الانكليزية والافرنسية ومن جملة من تلقى الدروس في هذا المعهد الكهنوتي مع الراهب بولس وتتلמד له ايضا نخبة جيدة وهم الراهب جرجس بهنام، عمل كاتباً عند البطريرك افرام الاول بحمص، ثم رسم مطرانا لبرشية حلب واليوم

(١٦) ان فكرة انشاء الاكليريكية كانت حلماً في رؤوس ابائنا، عاشت في خيالهم اعواماً طويلة، حتى طلع على الكنيسة المثلث الرحمات البطريرك افرام الاول برصوم ١٩٥٧+ فجسد الفكرة واخرجها الى النور عام ١٩٣٨، ضمت عدداً من الطلاب كان الراهب بولس في مقدمتهم. وفي عام ١٩٤٦ انتقلت الى الموصل - العراق ثم اعيدت الى زحلة ثانية عام ١٩٦١. ثم نقلت الى العطشانة - بكفيا عام ١٩٦٨. وقد انجبت الاكليريكية في مراحلها هذه من عام ١٩٣٩ - ١٩٦٨ العديد من الخريجين بينهم بطريرك واحد هو قداسة سيدنا زكا الاول الجالس سعيديا، وتسعة مطارنة، وعدداً كبيراً من الكهنة. استقرت الاكليريكية في العطشانة حتى عام ١٩٧٦ تسير بشكل طبيعي وبعد هذا العام تضعضعت امورها واغلقت اكثر من مرتين ابوابها، وتبعثر طلابها كل ذلك نتيجة للمآسي في لبنان ولبثت على هذه الحالة حتى عام ١٩٨٤ وفي العام ١٩٨٣ قرّر المجمع المقدس برئاسة قداسة سيدنا البطريرك ان تستأنف في دمشق، وفي العام الدراسي ١٩٨٤ - ١٩٨٥ فتحت الاكليريكية ابوابها ولا تزال تسير بخطى حثيثة. (راجع ذلك مفصلاً كتاب السريان ايمان وحضارة مج ٤ للمؤلف ص ٢٩١ - ٣٥١).

متقاعد في دار البطريركية بدمشق الابدياقن جرجس القس يوسف اتم دراسته في الاكليريكية بالموصل ، وتعين فيها معلما ورسم كاهنا باسم «برنابا» ثم عين كاتباً للبطريك افرام الاول بحمص ثم رسم مطرانا نائبا بطريركيا لابرشية حمص ، فمطرانا للابرشية باسم «مار ملاطيوس برنابا» له نتاج ديني وادبي^(١٧) الاب الربان نوح شابا : احد تلامذة اكليريكية دير مار متى ، التحق بمدرسة زحلة وقد مرت اخباره . الخوري شكر الله نصر الله احد كهنتنا في الحسكة ، الشماس عبود حداد عضو مجلس الشعب في القطر العربي السوري . وهذان الاخيران لهما نشاطات ادبية ودينية . الراهب الياس بهنام البعشيقي ، قضى في زحلة فترة وجيزة ثم عاد الى دير مار متى بسبب مرض الم به ، نقل قصة مار متى من السريانية الى العربية .

تعين الراهب بولس استاذاً للغة السريانية في مدرسة مار افرام بزحلة ، فكان بدء عمله في الكنيسة في ميدان التربية والتعليم ، فتتلمذ عليه عدد من طلاب العلم .

وهكذا عاش في هذه الفترة طالبا ومعلما ، باذلا جهدا كبيرا في سبيل اقتناء العلم ، منكباً على المطالعة والدراسة . باحثاً ومنقبا في الكتب . جاء في الكلمة التأبينية التي كتبها المطران برنابا «لا يكاد الكتاب يفارقه ولا يفارق القلم انامله . وعندما كانت تزعجه الغارات الجوية ابان الحرب العالمية الثانية ، كان يتأبط كتابه ويأخذ له كسرة من الخبز ويتجه الى احد الجبال المحيطة بزحلة ويختار ظل شجرة ما ويجلس تحتها يقرأ بنهم ولذة ، ويظل كذلك حتى تميل الشمس نحو المغيب ويعود في المساء» . اصف الى ذلك المناظر الخلابة في زحلة حيث عبت عينيه الظامتين الى كل جميل وفاتن . واشتدت اواصر الالفة والانسجام بينه وبين الطبيعة الساحرة ، في زحلة . توسع افق مداركه ، ونمت قابلياته الادبية وتفتحت قريحته ، فاخذ يغازل الكلمة ويداعب الشعر وزنا وقافية ، واخذت التجربة هنا تحركه ليطلق النغم المبدع ويبعث بنسيجات الشعر الجاثمة في اغوار روحه الحساسة ، ويروض قلمه في انشاء مقالات وابحاث في الدين والادب السرياني ، والتاريخ ، واللغة ،

(١٧) السريان ايمان وحضارة للمؤلف مج ٤ ص ٣٠٠

والفلسفة . وقد نشر مختارات منها في بعض المجلات كالنشرة السريانية ، والضاد الصادرين في حلب . وفي مجلة الاديب اللبنانية وغيرها . وقد تلقفت الاوساط الادبية قطوفه الفكرية الاولى ، وبواكير انتاجه الادبي بالتشجيع والثناء ، وظفر باعجاب كبار الادباء وهم بعد لم يروا له وجهها ولم يسمعو له صوتا لكنهم سمعوا خفق خطا ادبه وفكره . فتوسم فيه البطريق افرام برصوم املا باسمه ، وكان المجد بانتظاره .

كما اصدر كتابا مدرسيا بالسريانية سماه «المرشد» املحق به قصيدتين كما سيأتي شرح ذلك . وهكذا برز عالما في الكنيسة السريانية التي رأت فيه من خلال حياته وسيرته بسمة الاشراق ، واتساع الآمال الكبيرة ، واخذت بوادى الشهرة تلتصق به بوضوح . من خلال بعض القصائد التي نظمها في زحلة ونشرها في بعض المجلات يبدو كراهب شاب مرّ بتجارب عاطفية حركت فيه اوتار قلبه فاطلق بعض النغمات الوجدانية بقوالب شعرية بديعة سنشير اليها لدى دراستنا ادبه شعرا ونثرا .

عاش في هذه الفترة هادئا ، مرتاحا ، بعيدا عن عالم الاحزان ولم يذق مرارة الألم خلا وحشة الغربة القاسية التي لا بدّ ان تؤثر فيه وهو الانسان العاطفي . يظهر ذلك من خلال بضعة ابيات من الشعر بعث بها الى خاله الخوري افرام في بغداد في ٣ تموز ١٩٣٩^(١٨) وهي :

بلغن يا طيف شوقي للذي حُبّه بين الضلوع نائر
واذكرن عهد وصال غابر ان شجا اللحن وغنى الطائر
وانشدن لحن الوداد عاليا كلما هبّ نسيم عاطر



(١٨) وردت هذه الابيات في كتاب حياة المطران بولس للاب يوسف سعيد ص ٣١

في ابرشية الموصل

(١)

مدير مدرسة مار افرام الاكليريكية

الاب بولس بهنام

١٩٤٥ - ١٩٥٢

العصر الذهبي
قمة الشهرة

في عام ١٩٤٥ انتقلت مدرسة مار افرام الاكليريكية الى الموصل الحذباء بامر المثلث الرحمات البطريك افرام الاول برصوم رئيس المدرسة الاعلى الذي اختار لها من يطمئن اليه ، ويثق فيه ويرى فيه الاهلية للقيام بهذه المهمة المقدسة ، ذلك هو الاب بولس بهنام فعينه مديرا لها واستاذاً . وتعد خدمته هذه في ادارة المعهد الاكليريكي اول عمل اداري في الكنيسة يُسند اليه واول مدير للمعهد بعد انتقاله الى الموصل ، وابرز مدير له في عمره المديد انشاء الله بهمة قداسة سيدنا البطريك المعظم .

اذا كانت قريحة الراهب بولس قد تفتحت في زحلة ونمت قابلياته الادبية في عروس البقاع ، ففي الموصل تفجرت طاقاته الخلافة واخذ يكشف عن مواهبه بجلاء . وموصل محط الادباء ، ومن مراكز مجالس العلم ، تزخر بشخصيات علمية فذة ، وتنتشر فيها الاندية الثقافية ، وتعجّ باهل الفكر ، وترتفع من منابرها الاصوات الحرة ، والمثل السرياني يقول «الصوت في الرها والخط في ديار بكر ، والعلم في الموصل» .



الراهب بولس بهنام
دير مار متى - زحلة



الأب بولس بهنام
مدير مدرسة مار أفرام الأكليريكية
بالموصل



الأب الربان بولس بهنام
النائب البطريركي في أبرشية الموصل

انصبت اهتمامات الاب بولس في النشاطات الثقافية في الموصل خلال هذه الفترة ، فكان دؤوبا على البحث والمطالعة والكتابة وتنحصر تلك النشاطات في الامور التالية :

١ - اصدر في سنة ١٩٤٦ مجلة دينية ادبية تاريخية اجتماعية باسم «المشرق» دُبج فيها مقالات رائعة في مختلف اضرب المعرفة والعلم . ولما احتجبت في اواسط عام ١٩٤٧ اصدر مجلة اخرى باسم «لسان المشرق» استمرت حتى نهاية عام ١٩٥١ .

٢ - الشعب السرياني الموصيلي لا يحلو له امر في اداء العبادة مثل الموعظة البناء المشوقة . ولا يروي غليله الروحي شيء مثل كلمة الله التي تنبع من ينابيع الاسفار الالهية المقدسة ولا تتغذى نفسه وتنتعش إلا بالتعاليم الانجيلية ، وان الشخصية المحببة الى قلبه هو «يسوع» وحده ، ولا يمكن ان يعمل مظلة لغيره لا لموسى ولا لايلىا إلا له وحده فقط^(١٩) . ولا يزال بعض الشيوخ يتحدثون نقلا عن غيرهم ، عن مواعظ المفريان بهنام الرابع ١٨٥٢ - ١٨٥٩ التي نقحها ونشرها بالطبع عام ١٩٧٤ المرحوم الخوري موسى الشماني ، بتوجيه من سويريوس زكا عيواص مطران الموصل (قداسة البطريك حاليا) .

لذلك فقد وجدت ابرشية الموصل في الاب بولس بهنام ضالتها المنشودة «في الليلة الظلماء يفتقد البدر» . فراح يرتجل المواعظ الرائعة الرنانة في كنائس الموصل بشكل مستمر ومنتظم على مدار السنة ، سيما في آحاد الصوم الاربعيني صباحا ومساءً واسبوع الآلام ، والجمعة العظيمة ، وغيرها من المناسبات . وسوف نتحدث بعد صفحات عن اسلوب وعظه ومحتوياته .

(١٩) في ابرشية الموصل اليوم ، تعقد ندوة دينية محضة مساء كل خميس من الاسبوع ، يشهدها جمع كبير من المؤمنين وعلى مختلف المستويات سنا وثقافة . تتلى فيها فصول من العهدين ، والتركيز غالبا على الانجيل واسفار العهد الجديد . ثم تفسر روحيا وثقافيا . وتلقى في الوقت نفسه الكلمات الروحية البناءة ، يتخلل ذلك كله تراويل روحية منعشة مصحوبة بعزف على الارغن . وكثيرا ما يكون الى جانب ذلك برامج ترفيهية تهدف الى الروحيات . يرئس هذه الندوة غريغوريوس صليبا مطران الابرشية ويعززها بعلومه الدينية وتوجيهاته . يتولى سيرها ونشاطاتها نخبة متميزة من الشباب والشابات .

وفي الفترة نفسها حلّ في مدينة الموصل ، الربان عبد الاحد توما (البطريك يعقوب الثالث) قادماً من الهند ، فانبرى يلقي المواعظ الدينية المتضمنة شروحا تفسيرية ولاهوتية ، في كنائس الموصل ايضا ، وهكذا عاشت ابرشية الموصل جوا روحيا محضاً ، بوجود هذين «النيرين العظيمين» وقد جمعها عمل مشترك وهدف موحد ، وعقد الود بينهما .

٣ - له مواقف متميزة كمحاضر وكخطيب ، في آذار سنة ١٩٥٢ القى محاضرة قيمة بعنوان «ابن سينا في الآداب السريانية» في المهرجان الالفى لابن سينا في بغداد ، وذلك بتكليف من لجنة المهرجان ، فاجاد وافاد . ومن خطبه الكلمة التأبينية التي لفظها مؤبنا المرحوم الدكتور عبد الاحد عبد النور عميد الطائفة السريانية في العراق يومئذ . والتي افتتحها باية من العهد القديم «ان عظيماً وكبيراً قد سقط اليوم من بني يعقوب»

٤ - اصدر في هذه الفترة ايضا مؤلفات عديدة هي : ١ - مبادئ الايمان لكنيسة السريان ٢ - البنفسجة الذكية ، وكلاهما تضمنا دروساً في التعليم المسيحي ٣ - خمائل الريحان او ارثوذكسية مار يعقوب السروجي الملفان ٤ - الحق حق رضي الناس ام غضبوا ، وكلاهما تضمنا رداً على الخوري اسحق رحلة في كتابه عن الملفان مار يعقوب السروجي ٥ - المدرسة الاكليريكية الافرامية ٦ - ابن العبري الشاعر ملحق فيه تعريب قصيدته الحكمة الالهية ٧ - الفيلسوف اللاهوتي سويريوس موسى بن كيفا ، والبحث اطروحة في علم النفس لدى الملفان قدّمها المترجم الى البطريك افرام الاول عام ١٩٥١ فاحرز بها على رتبة «ملفان» في الفلسفة واللاهوت . وسنأتي على شرح هذه المؤلفات وتحليل محتوياتها في الصفحات القادمة انشاء الله .

المدرسة الاكليريكية الافرامية : كما ان النشاط الثقافي كان جزءاً مشعاً في حياة الاب بولس بهنام ، كذلك كانت الاكليريكية هي الاخرى الجزء المشع الآخر من حياته . لذلك لا يجوز ان نغفل الاشارة الى فكرة موجزة عن تاريخها في هذه الفترة وعن مجرى الحياة فيها . اتخذت الاكليريكية مركزاً لها ، المبنى الذي كان يعرف «بدار القنصل» والواقع في محلة الشفاء غربي الموصل ، والملاصق لكنيسة

الطاهرة الخارجية . وضمت بين جدرانها عددا من الطلاب القادمين من مختلف
الابرشيات السريانية يتراوح عددهم ما بين ٢٥ - ٣٠ طالبا ، واعمارهم ما بين
١٣ - ١٧ سنة .

لقد سرّ ابناء الكنيسة بالموصل بوجود الاكليريكية في ابرشيتهم ودعموها
بكل مالديهم من طاقات ، وبذلوا كل ما في وسعهم لرفع شأنها بهمة سريانية
ارثوذكسية عالية ، وايمان مسيحي حي ، وسخاء اريحي ، واخذوا يتسابقون
لتقديم الخدمات لها كل بحسب اختصاصه وقابلياته ، فهناك لجنة قوامها اربعة
اشخاص تتولى تصريف امورها المالية والادارة الخارجية ، وهناك اطباء يقومون
بمعاينة ومعالجة الطلاب مجانا . ويضيق بي المجال لأحدث عن العديد من المعلمين
والاساتذة والمدرسين الذين تطوعوا للتعليم بدون مقابل . والتبرعات العينية
والمادية تنهال كالغيث . وان انسى لا انسى العضد الذي كان يقدمه المرحوم
الدكتور عبد الاحد عبد النور عميد الطائفة في العراق يومئذ .

وكان قد اعدّ لها منهجا دراسيا على مستوى عال جدا ، ووضع لها نظام
يتناول جميع مرافق الحياة الاكليريكية روحيا وعلميا واجتماعيا ومن ابرز الاساتذة
الكهنة والاكليريكين الذين توالوا التدريس فيها الربان عبد الاحد توما (البطريك
يعقوب الثالث بعدئذ) كان يلقي الدروس في التاريخ الكنسي ، واللغة
السريانية ، وبعض العلوم الدينية والالخان البيعية . وبالوقت نفسه كان مرشدا
روحيا للطلاب واب اعترف لهم . كما قام ايضا باستماع اعتراف الطلاب الالباء
الكهنة : الخوري سليمان القس متى ، والقس سليمان زعيم ، والقس بشارة
نعمان .

كان الاب بولس بهنام الى جانب الادارة يقوم بتعليم الكتاب المقدس
بعهديه القديم والجديد شرحا وتفسيرا والدروس الدينية العالية ، والمنطق ،
والفلسفة ، والادب السرياني والحق القانوني ، والشعر السرياني ، والوعظ ، كان
يتفاعل مع مادتي المنطق والفلسفة بشكل جدي وبعشق وكان ناجحا جدا في ايصال
الحقائق المنطقية والفلسفية الى الاذهان . وهكذا كان الامر في تدريسه الحق
القانوني وفي صياغة الشعر السرياني ، والوعظ اما في الادب السرياني فلم يتعد

تاريخ الادب دون ان يتطرق الى دراسات ادبية تحليلية ، ويبدو ان قابلياته في الدراسات الادبية السريانية كانت محصورة في قلمه لا في لسانه او احاديثه . واما في دراسات الكتاب المقدس فلم يكن إلا واسطة بين الطالب والكتاب .

لنتقل الى الحديث عن الحياة في الاكليريكية فنقول :

يستيقظ الطلاب عند منبثق الفجر وفي ساعة معينة على صوت الجرس ، فيهرع كل الى الحمام ، وبعد ان ينسق الطلاب فرشهم ، ويرتدون ثيابهم ، يقرع الجرس ثانية مؤذنا بوقت صلاة الصباح فيسرع كل الطلاب الى الباحة حيث ينتظمون في صفين متوازيين وبعد سماع كلمة « **الح** » من الاب المدير ينطلقون الى الكنيسة لاداء صلاة الصباح بكل خشوع واحترام ، مراعين الانظمة الخاصة باداء الصلوات . وبعد الانتهاء من الصلاة ينتظمون كالسابق ويلوذ كل منهم بمكان قرب سريره للتأمل الروحي وقراءة فصل من الكتاب المقدس لمدة ربع ساعة ، وبعدها يقبلون على تناول الفطور في الغرفة المخصصة لذلك ومعهم مديريهم واساتذتهم ، تتلى الصلاة قبل الطعام وبعده ، ثم بعد هذا الى الدراسة . في الساعة الثانية عشرة تنتهي فترة الدراسة الصباحية يعقبا صلاة الظهر فطعام الغذاء بنفس الاسلوب والنظام السابقين ، يضاف الى ذلك ان الطلاب عند طعام الغذاء يستمعون الى احد زملائهم يقرأ موضوعا في الحياة الرهبانية او السيرة المسيحية المثالية . وبعد ذلك يتناولون قسطا من الراحة ثم يبتدىء دوام الدراسة بعد الظهر . وفي المساء يتناولون طعام العشاء بنفس الطريقة المتخذة في طعام الغذاء ويعكفون بعد العشاء على المطالعة وتهيئة دروس اليوم التالي في قاعة مخصصة لذلك . وفي الساعة العاشرة وبعد اداء صلاة ما قبل النوم يأوى الجميع كل الى فراشه وتطفأ المصابيح الكهربائية ، ويخلد الجميع الى النوم .

هذا هو النظام اليومي على العموم ، يضاف الى ذلك نشاطات اخرى في مناسبات معينة فتحت قلوبهم على محبة الكنيسة واللغة السريانية ، واجاد السريان السالفة ، ونضجت شخصياتهم العلمية ، ونمت قابلياتهم الفكرية ، ومن تلك النشاطات اولا : استخدام اللغة السريانية في التكلم والحديث فيما بعضهم من جهة ، ومع المدير والاساتذة الاكليريكيين من جهة اخرى . ومن تحدث بغير

السريانية كان يعطى له « **بما** » اي علامة هي قطعة من الخشب او اي شيء آخر ، اوجدتها ادارة المدرسة توضع في جيب من قصر في اداء هذه اللغة والتحدث بها وكانت تتحرك من جيب طالب الى آخر حتى تحط الرحال في منتصف النهار في جيب طالب ما وعندها يحاسب على فعلته اذ كان يمنع من تناول طعام الغذاء ، كما تنتهي عند طالب اخر في المساء وكان هذا الآخر يمنع عن تناول طعام العشاء عقابا له . ثانيا : في مساء كل ليلة احد من الاسبوع ، كان يعقد اجتماع روحي يرئسه الاب المدير ، ويحضره الاساتذة الاكليريكيون والطلاب كافة ، يتخلله قراءة الكتاب المقدس وتفسيره من قبل الاب المدير على الاغلب ، ثم اداء تراتيل دينية باللغتين ايضا ثم تطورت هذه الحالة الروحية ، فقد تشكلت بين صفوف الطلبة ثلاث جمعيات ، الواحدة باسم «الكتاب المقدس» والثانية باسم «المحبة» والثالثة باسم «مار انطونيوس ابي الرهبان» وكان لكل جمعية هيئة مشرفة قيادية مؤلفة من رئيس وسكرتير واعضاء ، لها سجلاتها الخاصة ، ونشيدها الخاص . وشعارها . وكانت هذه الجمعيات الثلاث تتناوب في ادارة وتسيير دفعة الاجتماع الروحي ، وكثيرا ما كان الاب المدير يترك الطلاب لوحدهم لاداء محتويات هذا الاجتماع ، وذلك ترويضاً لهم . كما اصدرت جمعية الكتاب المقدس مجلة الحائط سميتها «النهضة» واصدرت جمعية المحبة هي الاخرى مجلة الحائط ايضا سميتها «المحبة» ثالثا : ترويض الطلاب على الوعظ وتمارينهم على الخطابة ، وذلك بترددهم الى كنائس الموصل في احاد الصيام وغيرها من المناسبات لالقاء المواعظ ، كما كان الاب المدير يعطي درسا جماعيا للطلاب بين حين وآخر لتدريبهم على ذلك . رابعا : كانت الادارة بين حين وآخر تهىء بعض العلماء والاساتذة لزيارة المدرسة والاجتماع الى الطلاب بغية القاء المحاضرات ، من ذلك اذكر ان العلامة الكبير ، والاديب السرياني المعروف الارخدياقون نعمة الله دنو زار الاكليريكية مرارا والقي ثلاث محاضرات الاولى في موضوع قواعد اللغة السريانية سيما ما يخص بالتركيب والتقسية ، والثانية في دحض معتقد السبئية ، والثالثة في علم الوعظ . كما اذكر ان الاستاذ ابراهيم الخوري كان يحضر بعض الاساتذة الجامعيين من العراق وخارجه لالقاء بعض المحاضرات في اللغة العربية . خامسا : قامت الاكليريكية بتأدية تمثيلتين الاولى في موضوع ميلاد السيد

المسيح ، والثانية تاريخية بعنوان ثاودورة الملكة السريانية الرهاوية . سادسا : كانت الادارة تنظم بعض السفرات والرحلات خلال ايام العطل للترفيه عن النفس ، وعلى الاغلب كانت تركز هذه الرحلات الى الاماكن التاريخية الاثارية ، كدير المعلق في أسكي موصل - سنجار ، ودير مار دانيال في جبل عين الصفراء - برطلي ، ودير مار بهنام الشهيد في قره قوش وديرمار متى المعروف ، وذلك لتعميق محبة التراث في نفس الطلاب وتذكيرهم بحياة التقوى والقداسة التي كان يحياها ساكنو تلك الاديرة .

الى جانب ذلك كانت الادارة تروض الطلبة على القيام ببعض الاعمال واداء بعض الخدمات داخل المدرسة ، كالعمل في الحديقة ، والبستان ، وتنظيف الغرف ، والكنيسة . لم يكن للاب المدير من يقوم بخدمته الخاصة ، فكان عندما يحتاج الى شيء ما يقرع جرسا ، فيهرع اليه احد الطلبة ليقدم له الخدمة المطلوبة .

كانت المدرسة تعطل ايام الاحاد والاعياد ، واشهر الصيف ، ويقضي الطلبة العراقيون عطلة عيدي الميلاد والقيامة عند ذويهم وكذلك العطلة الصيفية . بقي ان نقول ان الطلاب كافة كانوا يرتدون زيا موحدًا هو الثوب الاسود .

هذه جولة عامة حولة النشاطات الثقافية والروحية في الاكليريكية ، وبامكاننا ان نطلق على هذه الفترة الواقعة ما بين ١٩٤٥ - ١٩٥٢ عصرا ذهبيا للاكليريكية ، وهو عهد الاب بولس بهنام .

هكذا عاش الاب بولس هذه الفترة كاتبا ، اديبا ، صحفيا ، واعظا ، خطيبا ، مديرا ، معلما ، مربيا ، وأخذت شهرته تمتد وتتوسع باستمرار وبدون توقف حتى طبقت الأوساط السريانية في العالم كافة ، فلا من يضاهيه ولا من يبرّه لا في الحذباء ولا في أي مكان آخر . فقد أضحى نجم السريان المتألق لا بل منارة من منائر السريان تبعث الأنوار هنا وهناك . وأضحت شخصيته سحرا ينفذ إلى القلوب ويملأ المشاعر والاحاسيس حبا خالدا وهو برتبة راهب كاهن لم يتسلم بعد مركز الزعامة في الكنيسة ولم يتول فيها موقع القيادة . تعلقت به قلوب السريان تعلقاً شديداً ، فكان اسمه على كل شفة ولسان ، وهذه الفترة كانت قمة الشهرة له .



الأكليزيكية بالموصل عام ١٩٥٤

الطبيب الذكر المطران بولس بهنام يتوسط الهيئة التعليمية والطلاب

عن يمينه الأب سويريوس حاوا (المطران حاليا) ثم الشماس اسحق ساكا (المطران حاليا)

وعن يساره الراهب زكا عيواص (قداسة البطريرك اليوم) ثم الراهب صليباً شمعون (المطران حاليا)

تلامذته : قداسة البطريك زكا الأول عيواص

- ۱ - مار ملاطيوس برنابا مطران حمص وحماه وتوابعهما . ۲ -
- مار ديونيسيوس بهنام ججاوي النائب البطريكي في القدس . ۳ - مار
- ديوسقورس لوقا شعيا مطران دير مار متى . ۴ - مار اثناسيوس افرام برصوم
- مطران بيروت . ۵ - مار طيمثاوس افرام عبودي النائب البطريكي في المملكة
- المتحدة . ۶ - غريغوريوس صليبيا شمعون مطران الموصل . ۷ - سويريوس
- حاوا مطران بغداد والبصرة . ۸ - فيلكسينوس متى شمعون مطران المؤسسات
- البطريكية - لبنان ۹ - سويريوس اسحق ساكا المعاون البطريكي بدمشق .
- ۱۰ - كريسوستوموس موسى سلامة مطران الكرازة في البرازيل . ۱۱ - الخوري
- بطرس الشماس توما - عمان . ۱۲ - الخوري برصوم الشماس يوسف - حلب .
- ۱۳ - الخوري روفائيل توما - زحلة . ۱۴ - الخوري اسحق منصور - الموصل .
- ۱۵ - الخوري توما صوفيا - بغداد . ۱۶ - القس يعقوب يوسف - بيت لحم .
- ۱۷ - القس يوسف سعيد - السويد . ۱۸ - القس يعقوب عبد - السويد . ۱۹ -
- القس بهنام اسحق - الحسكة . ۲۰ - القس حنا الياس - برطلة .

كلمة لا بد منها : ان الذين عنوا بتراجم علمائنا السريان وآبائنا لم يتطرقوا الى كافة مرافق حياتهم ، بل اكتفوا بسرد الحياة التقليدية والاشارة الى الآثار العلمية والادبية ، والاشادة بالاعمال العمرانية الادارية ، دون الاحاطة الكافية بجوانب حياته الخاصة .

والفنا ايضا ان ندرج حياتهم مقتصرين على الايجابيات دون التعرض لشيء من السلبيات ، والانكى ان شعبنا اعتاد ان يطلق على بعضهم صفات مثالية كالقداسة والفضيلة ، والتقوى ، والورع الخ وقد يكونون بعيدين عن كل هذه الصفات بعدا شاسعا ، ذلك ان هذا الشعب له مقايسة التقليدية والعاطفية ، ويبني احكامه على المظاهر الخارجية «الفريسية» .

ان ما يرفع من قيمة الانسان ليس مدحه فقط - هذا اذا كان المدح عن صدق وحق لا عن مجاملة ونفاق - بل النقد النزيه ايضا ، وفي ضوء المدح والنقد

تتضح قيمة الرجال وقيمة اعمالهم ، والمؤرخ الناجح هو الذي يؤسس احكامه على هذين الأمرين ، وهو الذي يملك بجرأة ابداء الرأي ، فمن كان كذلك لا يمكن ان تخطيء فراسته ولا يخيب تقديره .

ان تقديم الصفات المشرقة للمرء ، وتجنب السلبيات ، والتغاضي عن هفواته يكون ذلك نقصا في التاريخ . لان التاريخ الصحيح الكامل لا يقوم على الصفحات المشرقة وحدها بل على الصفحات القائمة ايضا .

نحن تحدثنا عن الاب بولس بهنام من نواح عديدة ، وسوف نتحدث عنه في الصفحات القادمة غير اننا لا بدّ لنا ان نقول انه لم يكن موفقاً في حياته الادارية ، لانه لم يخلق «للادارة» ولم يعدّ ذاته ليكون رجل ادارة ، فلم يكن له خبرة كافية في تصريف الامور ، ولا معرفة عميقة بمثل هذه الشؤون . انما خلق ليكون «عالماً» وعالماً فقط .

مرة حضر الى مكتبه في بغداد امرأتان اختلفتا على حدود مقبرة في بغداد الجديدة ، وطلبتا اليه الفصل بينهما ، فلم يستطع ان يزيل الخلاف ، ولا ان يستوعب الموضوع بدقة ، فحوّل امرهما الى احد الكهنة ، واتذكر وجه اليهما نصحا قائما على الفكر لانه من رجال الفكر ، فقال لهما «اختي ان الناس يختلفون على البساتين والزهور لا على المقابر والقبور» فلم تستوعب الامرأتان ذلك . فاجابت احدهن قائلة «لا نفهم ماذا تقول» .

في أبرشية الموصل^(٢٠)

(٢)

غريغوريوس بولس بهنام مطران الموصل

١٩٥٢ - ١٩٥٩

امتداد الشهرة

في عام ١٩٥١ انتقل المرحوم اثناسيوس توما قصير مطران أبرشية الموصل^(٢١) الى جوار ربه ، بعد ان خدم الرتبة الاسقفية ثلاثا واربعين سنة بجد وحيوية ونشاط ، وبذلك شغل كرسي الابرشية . فتوجهت انظار ابناء الابرشية الى الاب بولس بهنام ليكون مطرانا لابرشيتهم ، ورفعوا التماسا الى المثلث الرحمة البطريك افرام الاول برصوم مطالبين اياه ليرسم لهم الاب بولس مطرانا للابرشية ، فلبى البطريك طلبهم ، فعينه اولا في عام ١٩٥١ نائبا بطريركيا في الابرشية وقلده الصليب المقدس . وفي ٦ نيسان ١٩٥٢ رسمه مطرانا في كاتدرائية ام الزنار بحمص في حفلة رائعة جدا وسماه «غريغوريوس» ، وجرى له استقبال حافل لدى عودته الى أبرشيته .

صرف غريغوريوس بولس بهنام سبع سنوات من ٩٥٢ - ٩٥٩ في أبرشيته ، هادئا مطمئنا ، يقوم بخدماته الاسقفية بشكل تقليدي . وحيث انه «لم يخلق للإدارة» فقد جابه بعض المشاكل المالية والكنسية ، وهذا امر بديهي ، فلكل مطران في أبرشيته مشاكله وهمومه .

(٢٠) عن تاريخ هذه الابرشية راجع كتاب أبرشية الموصل السريانية للمطران صليبا مطران أبرشية الموصل ، مطبعة شفيق - بغداد ١٩٨٤ ، يقع في ٢٥٤ صفحة .

(٢١) انظر تاريخ حياته : مجلة لسان المشرق مج ٤ السنة ١٩٥١ العدد ١ - ص ٣٣ - ٣٤ .

رسامته مطراناً لأبرشية الموصل ٢ نيسان ١٩٥٢ - حمص



في الفترة الواقعة ما بين ١٩٤٦ - ١٩٥٢ كان المطران بولس مديرا للمدرسة الاكليريكية برتبة أب كاهن كما اسلفنا . اتذكر ان حدثا جرى في تلك الآونة ، جديرا بالتسجيل للتاريخ وللفادة : في احد الايام قرع جرس المدرسة في وقت غير اعتيادي ، ولما دار السؤال بين الطلبة عن السبب قال لهم الناظر : الاب المدير امر ان نجتمع في القاعة . فاجتمع الطلبة ، وقدم الاب بولس من مكتبه يرافقه الربان عبد الاحد توما . وكان الاب المدير منفعلا جدا ، ومتأثرا كثيرا ، فقال لنا «اليوم كنا ونيافة المطران توما قصير ، والارخدياقون نعمة الله دنو وبعض افراد الطائفة في دار السيد يونان برصوم شقيق سيدنا البطريك افرام الاول ، وطلب الارخدياقون من المطران ان يحتفل الراهب عبد الاحد في الاحد القادم باقامة القداس الالهى في كنيسة مار توما بالموصل ، فاجاب نيافة المطران لا يستطيع ان ابت في الامر الآن ، لانه دور القس الفلاني فاذا وافق القس فلا مانع من ذلك» واستطرد الاب المدير قائلاً ومنفعلاً بصورة اشد من قبل «اذا اصبحتم في المستقبل مطارنة وظهر عندكم قسس لا يطيعون اوامرهم ، انزعوا (الفير)^(٢٢) من رؤوسهم»، مرت أيام واعوام واذا بالاب بولس يصبح مطرانا لابرشية الموصل وهنا نلاقي حدثا آخر يرتبط بالاول ، اتذكر جيدا ، كان المطران بولس صباح الاحد يستعدّ لاقامة القداس في كنيسة مار توما بالموصل ، فناداني وقال لي : اذهب وقل للقس الفلاني وهو نفس القس الذي سبق ذكره ، اذا لا تعانق الشماس الفلاني المتواجد الآن في المذبح وتصالحه ، لا يحق لك ان ترقى درجة المذبح وتقدس . فذهبت وابلغت اليه الامر ، غير ان القس انفعل جدا ، ورفع صوته في المذبح على مسمع من المطران قائلاً بلهجة غير منتظمة «لا أتصالح معه» وسوف اقدس مهما كلف الامر . هذا الحادث ذكرته لسببين ، اولا : ان الامور في كنيستنا هكذا تجري ، لا نظام يربطنا ولا قانون نسترشد به . ثانيا : الفارق الشاسع ما بين الشيء النظري ، والشيء العملي ، ما بين مطران شيخ بلغ الواحدة والثمانين من العمر صرف منها نصف قرن كامل في الحياة الكهنوتية ، مشبعا بالخبرة والتجارب ، وراهب شاب في الثلاثين من عمره اوغل في الفكر الفلسفي بعمق ،

(٢٢) الفير هو ما يضعه القس على رأسه لدى خدمته القداس وسائر الاسرار الكنسية .



فريغوريوس بولس بهنام مطران الموصل

واحاط بمختلف اضرب المعرفة ، وتميّز بالذكاء الخارق ، بيد انه لم يتلق الحروف الهجائية في «الادارة» بعد .

لا اريد ان استرسل في طرح وقائع ونماذج مثل هذه وهي كثيرة ، كما لا ابغي ان اتطرق الى ما عانى في ابرشيته من امور هي «طبيعية» بالنسبة لكل مطران كما قلت سابقا . اكتفي ان اشير الى امر واحد فقط وهو : انه كان شديد الانفعال جدا عندما كان يصطدم بمشكل او يجابه امرا مزعجا ، ولئن كان ذلك بسيطا وتافها لقد كانت «حوصلة ضيقة» لا يملك قوة المجابهة ، ولا القدرة على المصارعة ، اما «السفاهة» فلم ترد في معجمه ، فكان في مثل هذه الحالة يستسلم للوحدة ، ويلجأ الى الخلوة ، ويغرق في بحر التأملات ، والسيكارة لا تفارقه ابدا ففيها كان يجد منفذاً ليفرج عن همومه ، ويزيح كابوس الألم من صدره . وبالرغم من هذا كله لقد كان بينه وبين رعيته رابطة وثيقة ، قوية العرى ، متينة الاواصر ، احبها من كل قلبه ، واحبته حبا خالدا . يوم كان يرتجل مواعظه الاخاذة كان المؤمنون يتزاحمون في الكنائس للاستماع اليه ، فكان في قلب كل فرد من ابناء رعيته ، وعلى شفتي كل من يحب كنيسته ، كما لم يخل من كان يرحمه وهم قلة «الويل لكم اذا قال فيكم جميع الناس حسنا» اذكر مرة : ان المطران بولس كان يجري مراسيم حفلة تغسيل ارجل التلاميذ في كنيسة القلعة بالموصل وفي يوم خميس الاسرار ، وكانت الكنيسة مكتظة بالمؤمنين القى خلالها كلمة رائعة شيقة كعادته وكاسلوبه تحت عنوان «انتم كلكم انقياء ولكن ليس كلكم» ولدى الانتهاء من الاحتفال والصلاة ، خرج الى باحة الكنيسة فصافحه الاستاذ توفيق عسكر وقال له «انظر كل هؤلاء الناس هم ملتفون حولك ويحبونك ، لا تقلق كلنا معك» صرف غريغوريوس بولس سبع سنوات في خدمة ابرشيته هادئا ، مطمئنا ، بالرغم من كل ذلك ، يقوم بخدماته الاسقفية بشكل تقليدي . ومن اجل اعماله انه جدّد مبنى دار مطرانية الموصل واهتم بانشاء عمارة المدرسة الاكليريكية الملاصقة لكنيسة الطاهرة الخارجية وسجّل بالطابو ارض وقف الطاهرة الخارجية بعد ان حصل على قرار من محكمة التمييز العراقية ، يعاونه في ذلك المرحوم الاستاذ جرجيس سرسم المحامي . كما اهتم ببناء كنيسة مار افرام في كركوك .

اما في حقل الفكر ، وميدان الثقافة ، لم ينفك يواصل اعماله الفكرية الثقافية حتى بلغ الاوج ، وهو الذي خلق للفكر والعلم . فأصدر مجموعة من المؤلفات نذكرها الآن ، ثم نأتي الى تحليل محتوياتها في الصفحات القادمة .

١ - تحقيقات تاريخية لغوية في حقل اللغات السامية ردا على الاب مرمرجي حول كتابه «معجميات عربية سامية» . ٢ - رواية ثاودورة . ٣ - الفلسفة المشائية . ٤ - العلاقات الجوهرية بين اللغتين السريانية والعربية . ٥ - نفحات الخزام او حياة البطريك افرام . ٦ - ادب الرسالة عند السريان .

وبحثا عن المزيد من العلم ، وسعيا وراء الفكر ، فقد سافر الى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٥٩ ، حيث صرف في السميناري المتحد في نيويورك سنة دراسية ، اطلع خلالها على الفكر اللاهوتي لدى الغربيين ، ونفى قابلياته باللغة الانكليزية . وفي عودته الى مقر ابرشيته في الموصل عرج على بعض البلاد الغربية حيث امضى ثلاثة اشهر بين المكتبات والمؤسسات الدينية .

ويبدو انه جنى فوائد جمة من دراسته في نيويورك واطلاعه على المكتبات في الغرب ، ذلك انه كان في الماضي يعتمد على مصادر سريانية وعربية فقط في ابحاثه . اما بعد عودته من اميركا والغرب ، فاخذ يعتمد على مصادر اجنبية كما يظهر ذلك من كتابيه الايثيقون ، واحيقار . كما ان رحلته الثانية الى الغرب في حزيران ١٩٦٥ كان لها الاثر البالغ في تطلعاته الفكرية كما سنقف عليه .



السنوات العشر الأخيرة
المطران المنتدب في القدس
١٩٦٠ - ١٩٦٢

مطران أبرشية بغداد والبصرة
١٩٦٢ - ١٩٦٩

«رجل آلام وأوجاع»

كان العقد الخامس من حياة نابغة السريان حياة نغص وغصص ، وكانت سنوه الاخيرة مليئة بالمآسي والمزعجات فقد عصر عناقيد افراحه في الماضي فملاً كؤوساً من خمرة الألم ، واختلست الأيام النوم من عينيه ، سببها اناس نضبت نفوسهم من الرأفة ، وخلت من خشية الله ، اخذوا يدورون في الظلام لينتزعوا ابتساماته ، ويختلسوا سعادته ، وينهبوا مآلديه من مسرات الحياة ، ليشبعوا بها نهم شهواتهم ، ويتمموا بها نقصهم . لا بل كان «رجل آلام وأوجاع» سيّما الفترة الواقعة ما بين ١٩٥٩ - ١٩٦٢ . اما هو فقد عاقب اولئك بصمته وآلامه (وكشاة تساق الى الذبح لم يفتح فاه)

ونحن لا نستطيع ان نسترسل في الحديث عن هذه الناحية دون تشخيص مصادر آلامه واوجاعه ، لذلك لا بدّ من تسجيل مايلي للحقيقة والتاريخ .

في ١٤ تموز عام ١٩٥٨ تغيّر نظام الحكم في العراق من ملكي الى جمهوري ، وللفور ظهر على الساحة السياسية أحزاب عديدة متباينة الاهداف . واخذ كل حزب يبذل كل مافي وسعه لاستقطاب المواطنين الى اعتناق مبادئه وتبني شعاراته ، وجربوا ان يطبقوا هذا على رجال الدين ايضا ككسب سياسي او كدعاية

على الأقل . وحدث ان مجموعة من «انصار السلام» او فئة من «الحزب الشيوعي» طلبت الى المطران بولس القاء كلمة في جامع النبي شيت في الموصل ، مستغلين مركزه كرجل دين بارز في المدينة وكخطيب بليغ يسحر الناس سحرا ، فلبى طلبهم سواء بارادته ام بغير ارادته ، والقى كلمة توجيهية ركّز فيها على وجوب تمتين اواصر الاخوة الاسلامية المسيحية ، وحثّ على التمسك بالوحدة الوطنية بين كافة ابناء الشعب ، ختمها بالصلاة الى الله عزّ وجل ، لينشر السلام بين العباد ، ويوفر الأمن والاستقرار في البلاد .

من هذا الخطاب ومن مواقف اخرى شبيهة به ، استغل بعض المغرضين الفرصة للايقاع به ، ونسبوا اليه زورا وافكا عقيدة سياسية وهي «اعتناقه مبادئ الحزب الشيوعي» .

كان المطران بولس بعيدا عن السياسة بعد السماء عن الارض ، ادخل قفص الاتهام ، وهو بريء براءة الذئب من دم يوسف ، فهو لم يعتنق اية عقيدة سياسية ، ولم ينتم الى اي حزب من الاحزاب . ويطبق عليه ماجاء في رسالة وجهها العلامة احمد تيمور باشا الى محمد عبده عام ١٩٢٣ جاء فيها «يعلم سيدي الاخ اني لا أعرف من السياسة إلا مادة ساس يسوس التي اراها في المعاجم فاذا ذكرت الحكومة بخير او بشر فانما اذكرها من الوجهة العلمية فقط» .

هكذا كان المطران بولس ، وهكذا كان آباؤنا السريان ، وهكذا يجب ان يكون كل رجل دين في الكنيسة السريانية .

وقد كتب المطران بولس مقالا في مجلة الجامعة السريانية الصادرة في بوينس آيرس في الارجنتين رافعا رأسه عاليا بشموخ واباء ، وبكبرياء متواضعة ، ناقضا ما الصق به من الاتهام نشره للحقيقة والتاريخ .

هل اعتنق مطران الحذباء المذهب الشيوعي ؟ كلا !

عزيزنا الروحي فريد الياس نرها . . . بعد الدعاء والسلام بالرب :



↑
مع بعض مطارنة
الأقباط في القدس
١٩٦٢

حفلة سبت النور
لعام ١٩٦٢
القدس

أمامي الآن «ملحق ثان» «تموز - كانون الاول سنة ١٩٦٠ لمجلة الجامعة السريانية» استغربتُ جداً بما ورد في الصفحة الاخيرة من هذا الـ «ملحق» من تساؤل غريب رهيب «هل اعتنق مطران الحديباء . . . ؟» وزاد استغرابي قولكم : «هذا مانمي الينا من مصادر موثوقة» وكنت ارغب الترفع عن الاجابة على تخرّص تلك المصادر ولكن تنويراً للرأي العام ودفعاً للشكوك أقول آملاً نشر كلمتي هذه في اول عدد يصدر من الجامعة السريانية ولكم الشكر الجزيل .

عجيبة هي حقاً تلك «المصادر الموثوقة» لا «الموثوق بها» فاين ضمير مصدريها واين الوجدان الانساني عند اصحاب تلك المصادر الموبوءة القدرة ؟ انني أتحداهم بشدة واستنكر كل ما تخرّصوا به كل الاستنكار وأطالبهم امام الله - اذا كانوا يعتقدون بوجود الله - وامام الناس جميعاً اذا كان لهم حياء ويحجلون من الناس وامام التاريخ ان كانوا يفهمون معنى التاريخ . نعم أطالبهم ان يوردوا ولو كلمة واحدة او جملة واحدة في كل ما كتبت ونشرت وخطبت وعلمت منذ دخلت معترك الجهاد والى هذه اللحظة مما يدل ولو من طرفٍ خفي الى مابه يتخرصون او يشير ولو اشارة بسيطة الى ما به يأفكون والا كانوا من الكذبة المجرمين الذين لا يستحقون الاعتبار وجل مايمكن ان يُقال فيهم : «كُلُّ إناءٍ بما فيه ينضح» .

اذا مات ضمير الانسان فانه قادر ان يتخرص بما شاء . واعظم برهان على موت ضمير اصحاب تلك المصادر أن يرموا حبراً مثلي خدم حق الله بمؤلفاته وكتابات وخطبه وتعاليمه منذ مطلع شبابه والى الآن وأفنى زهرة حياته في تزييف اعداء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ولم يزل وسيبقى الى منتهى الحياة مجاهداً في هذا السبيل . ألا بئس ما به يأفكون وسحقاً لما به يتخرصون . انهم عميان الى الحق لا ينظرون . انهم يكذبون ويُرجفون ويرغبون الاساءة الى شخصٍ لم يُبدِ الاساءة الى اي بشر في الكون . ومثلهم لا يُقال لهم الا ماأعلنه النبي إرميا : «ويل للذين يقولون للخير شراً وللشر خيراً للنور ظلاماً وللظلام نوراً» .

ان «نحلتى» أيها العزيز هي نحلة الالباء القديسين الذي حملت لواءهم عالياً منذ الطفولة والى هذه اللحظة وسأبقى حاملاً هذا اللواء بمعونة الله ولم احد ولن

احيد قيد شعرة عما شربته من ينابيعهم المقدسة النقية . واني اسأل الله ان يعطي في العمر فسحة لتظهر غداً وفي القريب العاجل إن شاء الله «دائرة المعارف السريانية» من قلبي وحدي لتكون خاتمة المطاف لجهادي في سبيل الكنيسة السريانية والعقيدة الأرثوذكسية .

أنا اعلم ان مثل هذه الأعمال تقض مضاجعهم لأنهم لا يريدون خير الأمة والكنيسة بل يحاولون ان يُطفئوا النور بافواههم القدرة . ولكن ساء فألمهم فان «النور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه» . انهم يختلقون الأكاذيب ويبتكرون الافتراءات الفارغة التي لا تقوم على برهان والتي لا حقيقة لها خارجاً عن أدمغتهم المعفنة وقلوبهم المريضة المليئة بالحسد الأسود والحقد المظلم ألا يس ما يفعلون .

انصحوا اصحاب تلك المصادر ان يثوبوا الى رشدهم فيكفيهم خزيًا وعاراً أنهم من الكذب لا يخجلون . انصحوهم ان يعودوا الى اوكارهم المظلمة ويكفوا الناس الابرياء شر طواياهم وخبث نواياهم وإلا كانوا هم المسؤولين عن شرهم . وليعلموا ان «مطران الحذباء» ليس عديم الحجة أو قاصر التعبير ولكنه يربأ بنفسه من نشر المخازي بل يربأ بقلمه النقي ان يكون هذا شأنه فانه خلق لكتابة ما يُفيد فقط . قولوا لهم ألا يتعبوا نفوسهم بالصاق التهم الباطلة بالأبرياء . انصحوهم ألا يحاولوا اطفاء نور أوقده الله . انهم ضالون ومضللون . فكل ظلمات العالم لا تقوى على إطفاء شمعة واحدة صغيرة . قولوا لهم هاتوا براهينكم ان كنتم صادقين والا اخرجوا اسكتوا سدوا أفواهكم القدرة والا سددها بالحجارة والطين واذا قلنا فعلنا .

قولوا لتلك الخفافيش امكثي في جحورك المظلمة ولا تحاولي الخروج الى النور . وطوطي في غياهب الظلام ما شئت ان توطوطي . فان أبناء النور أسمى من أن يأبهوا لتلك الوطوطات .

قولوا لتلك الضفادع الحقيرة امكثي في مستنقعاتك القدرة ولا تخرجي فان بلابل الجداول الصافية والينابيع العذبة أرفع من ان تهتم بنقيق الضفادع .

ان الذي يرمي المؤمنين الأبرياء بالإلحاد هو شر الملحدين . والذي يتهم الروحانيين بالمادية هو شر الكفرة المارقين . والذي يرسل الكلام الفارغ على عواهنه بدون دليل هو اخبث طويّة من الكتبة والفريسيين .

اني متأكد ان اصحاب تلك «المصادر» الكاذبة ليسوا من الغرباء وان كانوا غرباء عن الحق وليسوا من البعيدين وان كانوا بعيدين عن روح المسيح بعيدين عن الضمير والانسانية .

قولوا لهم - ان كانوا من لابسِي ثياب الحملان - ألا اخلعوا هذه الثياب لأنها ليست لكم ولستم لها . ويحكم دنستموها بأقذاركم . اخلعوها واذهبوا الى الغابات . ولكني متأكد ان الوحوش ستطردكم لأنها اكثر منكم ذمة وأعمق وجداناً واطهر ذيلاً . وأما اذا كانوا من الذئاب المتوحشة فقولوا لهم مكانكم !! هناك العصا تهشم اسنانكم وتكسر أضراسكم وتحطم رؤوسكم بما فيها من الاوهام والاقذار . والويل ثم الويل لكم .

لا اعتقدي ألام على هذه اللهجة وان كان قلبي لم يجربها من قبل . فإن
ملفاننا العظيم مار افرام علّمنا قائلاً :

وَقَدْ كَانَ مِنْكُمْ مَنْ يَخْلُفُكُمْ
وَقَدْ كَانَ مِنْكُمْ مَنْ يَخْلُفُكُمْ

واختتم هذه الكلمة هاتفاً مع الرسول بولس («مع المسيح صُلبتُ لأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ») و«من يستطيع ان يفصلني عن محبة المسيح أشدَّة أم ضيق أم اضطهاد أم ضرب أم موت ؟ . . . إني واثق ان لا شدة ولا ضيق ولا اضطهاد ولا عري فاضح ولا جوع قاتل ولا خليقة حاضرة او مقبلة ولا علو ولا عُُمق يستطيع ان يفصلني عن محبة الله بيسوع المسيح» .

بغداد ۳۰ - ۳ - ۱۹۶۱

المتأسف جداً

المطران غريغوريوس بولس بهنام

أعود فأقول : ان الدين المسيحي يفرض على من ينخرط في سلك الكهنوت ويصبح رجل دين ، ان يكون مواطنا صالحا ، ومن الصفات الدينية والاخلاقية التي يجب ان تلازم الرجل الدين «الوطنية الصادقة العملية» . ونحن نفرق ما بين السياسة والوطنية ، ففي عرف المسيحية لا يجوز لرجل الدين ان ينتمي الى حزب سياسي معين ، ولا يحمل عقيدة سياسية خاصة ، قد يحق له ان يؤيد عقيدة سياسية ولكن دون ان ينتمي . بل يبقى منصرفا الى واجباته الدينية فقط . ومن واجباته الدينية خدمة بلده والاخلاص لوطنه ، والدعاء والصلاة من اجل حفظه بامن وسلام ، والعمل على توفر الوحدة الوطنية ، ونشر المحبة بين المواطنين كافة على اختلاف اديانهم ومذاهبهم .

كان قديما يكتب على واجهة جامعات الاندلس لدى العرب : دعائم الدنيا اربع ١ - علم الحكماء ٢ - عدالة العظماء ٣ - صلوات الابرار ٤ - اقدام الشجعان . اي العلم ، والدين والسياسة ، والشجاعة .

ان الوقائع والاحداث سياسية كانت ام اجتماعية ام حضارية تشغل الناس جميعا من كل الاصناف وعلى المستويات كافة فلا يستطيع الانسان ان يعيش عنها بمئأى ، او ان يكون منها في عزلة . ولكن لكل موقفه المناسب وما ينسجم ومكانته . وان رجل الدين لا يجوز ان يقف موقف المتفرج بل ان يسهم ويتفاعل مع الاحداث في البلد متمشيا وما يتلاءم وخطه الديني وشعاره الروحي اعني مركزا على محبة الوطن بصدق وبشكل عملي .

وفي تاريخ كنيسة السريانية الارثوذكسية اروع الامثلة على ذلك : منها
اولا : اطلق السريان على الخليفة الثاني عمر لفظة «فاروق» وان كلمة «فاروق» في
العرف المسيحي ومفهوم الانجيل هو السيد المسيح المخلص الفادي . وفاروق
لفظة سريانية تعني منقذ او محرّر . جاء في مصحف الناموس للروم في فصل
«حقوق الله» «هكذا يقول سيدنا المسيح ووسيطنا وفاروقنا» وقال البيروني
«وكالفاروقه وتفسيرها النجاة» (البيروني ص ٣١١) والكلمة سريانية
وهي اسم فاعل من
فعل الذي يعني فصل ، خلص ، وبهذا جاء الفاروق في

عرفنا . اما فعل فرق العربي فلا يتناول معنى خلص ونجا . والمصدر من **فَرَقَ : فَرَقَ** ومعناها خلاص ونجاة . وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم في سورة الانفال «ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا» فشرحه ابن السعيد بقوله الفرقان : النصر على الاعداء ، وكذلك شرح ابن دريد قول القرآن «يوم الفرقان» يوم النصر اخذا عن السريانية (اغناطيوس افرام برصوم : الالفاظ السريانية ص ١٣٠ - ١٣١

اما المناسبة التي دعت السريان ان يطلقوا على عمر هذه الصفة هو التدليل على وطنيتهم ، ذلك ان السريان في بلاد سوريا والعراق وغيرهما من البلدان كانوا قد ذاقوا الأمرين من الروم البيزنطيين لمخالفتهم اياهم بالمعتقد الديني المسيحي . فنفوا اساقفتهم ، وطرحوا مطارنتهم في السجون ، واضطهدوا رؤساءهم الروحيين ، وراح من الشعب آلاف الضحايا ، فلما قدم العرب المسلمون بقيادة عمر وقضوا على الروم والفرس بنصر مبین ، تهلل السريان واستبشروا خيرا بمقدم العرب واطلقوا على عمر لفظة «فاروق» اي محرر ومخلص لانه انقذهم من الروم وحررهم من نير الفرس .

ثانيا : من الثابت ان التغالبة عرب مسيحيون من اتباع الكنيسة السريانية ، ويحدثنا الطبري وغيره من مؤرخي المسلمين عن انضمام العرب التغالبة الى الجيوش العربية الفاتحة تحت امرة المثنى بن حارثة ، وقال التغالبة وغيرهم من القبائل العربية النصرانية حين نزول العرب بالعجم «نقاتل مع قومنا»^(٢٥) ثم يسترسل الطبري بالحديث عن سير المعركة الفاصلة بين العرب والفرس ، وعن دور التغالبة المسيحيين الارثوذكسيين الى ان يقول «وقتل غلام من التغلبين نصراني مهران القائد الفارسي واستوى على فرسه فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله»^(٢٦) قتل الغلام التغلبي مهران المرزبان وجاء ينشد

انا الفتى التغلبي انا قتلت المرزبان

(٢٥) الطبري : تاريخ الامم والملوك مج ٣ ص ٧ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٣٩ ، ومج ٢ ص ٦٤٨

(٢٦) نفس المصدر مج ٢ ص ٦٤٩

ثالثا : كان البطارقة والاساقفة دوما في خدمة السلطات العربية ، فالتاريخ يحدثنا ان الخليفة العباسي المأمون انتدب البطريك ديونيسيوس التلمحري ٨١٨ - ٨٤٥ الى مهمة وطنية في مصر ، فنهض بها بنجاح . كما نخبرنا التاريخ ايضا ان جمال الدين وزير الموصل اوفد المفريان اغناطيوس الثاني لعازر ١١٤٣ - ١١٦٤ الى جورجى ملك الكرج عام ١١٦١ م ليطلب منه الافراج عن الاسرى العرب المسلمين ، وقد رافق المفريان وفد من الاسلام . ونفذ ملك الكرجيين رغبة المفريان واطلق الاسرى .

رابعا : واما عن مواقف البطريك افرام برصوم فحدث ولا حرج ، فقد كان قطبا من اقطاب الحركة الوطنية في سورية ومن رواد العروبة ، وكان متعصبا للشرق العربي واللغة العربية والفكر العربي ، فاذا زاره احد المستشرقين واشتم منه رائحة من غرور او كبرياء او قلة انصاف هبّ يدافع عن بني قومه يقول «اذا كان لكم فضل التنقيب والكشف بحكم ما تملكون من ثروات فهذا لا يعني انكم صرتم اساتذتنا نحن أدري بأسرار لغتنا وادبنا وتاريخنا وستظل روحانية الشرق العريقة منهلكم النмир الذي تنشده نفوسكم الجافة الظمأى .^(٢٧)

وفي عام ١٩١٩ عندما انتدبه البطريك الياس لحضور مؤتمر السلام في باريس القى كلمة اكد فيها ان العرب عرب سواء كانوا مسلمين او مسيحيين واشاد بمآثر العرب الابطال المجاهدين ، وذكرهم ان للعرب حقا مقدسا في الحرية والاستقلال وفي حياة الكرامة لكونهم امة عظيمة لها تاريخها الخالد ، وما انهى كلامه حتى هتف زملاؤه العرب المسلمون قائلين «انك يا سيدي لمطران العروبة»

لقد ظهر البطريك افرام على مسرح التاريخ لا كرجل دين فقط بل كرجل وطنية لما وقعت كارثة فلسطين واهينت كرامة الوطن العربي في الصميم كان البطريك افرام في طليعة الثائرين ضد ذلك التدبير الاستعماري الذي شوّه تاريخ هذه المنطقة العربية .^(٢٨)

(٢٧) نفحات الخزام ص ٩ المقدمة لنظير زيتون

(٢٨) نفحات الخزام ص ٢٧ وص ١ - ٢ راجع ايضا من ص ١٩٢ - ٢٠٢

وطنية المطران بولس : كما قلنا سابقا لم يكن المطران بولس من رجال السياسة بل كان الرجل الوطني الذي احبّ امته العربية حبا كبيرا وخدم اللغة العربية بقلمه ولسانه كما سيأتي تفصيل ذلك ، ومن مواقفه الوطنية : استبساله في تأييد عروبة فلسطين ، كان قد وضع رسالة تاريخية ضافية آيد فيها بالدليل القاطع عروبة فلسطين منذ فجر تاريخها ورفعها الى البطريك افرام ليقول كلمته فيها قبل نشرها . وبعد ان قرأها البطريك افرام قال له انك يا بني تضرب على حديد بارد لان المستعمرين لا يفهمون لغة التاريخ ، ولا يلتفتون الى صرخات الحق ، والقوم ماضون في باطلهم وضلالهم . فاذا كنت تملك جيشا ومدفعا تقدم الى فلسطين لانقاذها»^(٢٩) .

وكان المطران بولس رحمه الله قبل وفاته بمدة وجيزة وجه خطابا وطنيا جريئا من اذاعة بغداد تحت عنوان «فدائي» جاء فيه «دخلت اروقة الامم المتحدة في نيويورك فرأيت الحق الفلسطيني العربي محمولا على النعش» واستغرق الخطاب اكثر من نصف ساعة ويسرني ان اسجل بعض ما جاء فيه نقلا عن الخطاب التآبيني الذي وضعه نيافة مار ملاطيوس برنابا مطران حمص وحماه «كيف تريد ان يكون الفدائي ذلك الرجل الذي يجد بيته وقد اصبح انقاضا مبعثرة هنا وهناك؟! وزوجته واولاده يقفون في العراء حفاة عراة يأوون الى خيام تلعب فيها الرياح؟! كيف تريده ان يكون؟ اتريده ان يقف مكتوف اليدين؟ لا والف لا ، لكنه يلتهب نارا وينقض على العدو الصهيوني ليعيد بلاده الى اهله وابناء وطنه» .

قد نخيل للقارئ اننا خرجنا عن الموضوع ، وابتعدنا كثيرا عن البحث ، ولكن الامر هو العكس فنحن في قلب الموضوع ، لا بل من هنا ننطلق لنخوض هذا البحث .

بعد كل هذا ، سافر المطران بولس الى نيويورك - امريكا في عام ١٩٥٩ بعد ان حصل على منحة دراسية من السميناري المتحد في نيويورك كما اسلفنا ، وفي

(٢٩) نفحات الخزام ص ١ - ٢

فترة غيابه عن الوطن ، اضطربت الحالة السياسية في العراق ، وفقد الامن ، وعمّت الفوضى في سائر ارجائه ، وبات الناس في ذعر وهلع . لاسباب ليست من صلب موضوعنا ولا علاقة لنا بها

عاد من اميركا وقلبه يضطرم شوقا للالتقاء بابناء ابرشيته واحبائه واصدقائه ، حاملا بين جوارحه تحولا جديدا في مسيرة المعرفة ، وفي قلبه آمال عراض في ميدان الفكر والكلمة .

ماوطئت قدمه ارض الحذباء إلا وداهمته امور مؤسفة في فترات متتابعة متقاربة ، خلقت في نفسه جروحا عميقة كادت تهده لولا تحليه بالايمان والصبر . فقد فوجيء بالوضع السيء فصعق سيما لما احسّ انه قد دخل قفص الاتهام بالعقيدة السياسية التي سبق الحديث عنها ، وهو بريء منها كل البراءة . قضى فترة وجيزة في دار المطرانية بالموصل ثم غادرها الى بغداد اذ لم يستطع ان يستمر لسوء الظروف . وبعد فترة وجيزة اشير اليه بالعودة الى ابرشيته .

عاد عن طريق كركوك ، واتذكر جيدا استقباله عند جسر الزاب الربان سويريوس حاوا (المطران اليوم) والراهب اسحق ساكا (المطران اليوم) واثنان من ابناء الطائفة لا أتذكر اسماءهما . واخذنا نشجعه ، وندخل الطمأنينة الى قلبه ، وصلنا الى الموصل وتوجهنا فورا الى كنيسة مار توما حيث الاحتفال بحفلة النهرية ، وكانت الكنيسة مكتظة بالمصلين . لا يمكن ان انسى خطابه الذي القاه في كنيسة مار توما في حفلة النهرية مفتحا اياه بـ «يا رب يا رب افتح لنا» استهل حديثه قائلا «انها صرخة من الاعماق ، صرخة من يطلب النجدة من الغرق» ثم اخذ يعطي من قلبه واحاسيسه كل مافيها من فيض الحب والألم ، ضاربا على الاوتار حتى باتت مشاعر المستمعين في ذروتها .

كان كلما التقى مع شعبه وابناء ابرشيته يمتلىء قلبه الراجف بشعاع الحب ، ويعود اليه وعيه وكيانه . تعود تجري في عروقه الدماء الحارة . كما ان قلوب ابناء رعيته كانت فياضة بمحبة راعيهم ممتلئة بالعاطفة القوية التي تربطه بهم وتشده اليهم . كانوا محبين حقيقيين مخلصين يفتخرون براعيهم الموهوب . وكان في

داخلهم حرقه مكتومة ، والتجاع مكبوت ، ووجع يدمي القلوب كان موقفهم شبيها بعض الشيء بموقف بطرس الرسول يوم تبع سيده الى المحكمة ليرى النهاية .

في كنيستنا لا حاجز بين رجل الدين والشعب اذكر قول طاغور «ان الطفل الذي يرتدي ثوب الامارة ، ويضع حول عنقه الاطواق ، يفقد لذته كلها في اللعب ، فان ثوبه يعيق كل خطوة يخطوها . . . انه لينتبد مكانا بعيدا لا يجرؤ ان يريم ، خشية ان يبلى ثوبه وان يعلو حليه الغبار . . . امه . . . يجدر به ان يكون حبيس هذا الترف ، بمنأى عن غبار الارض النافع ؟ افما تحرمينه هكذا من حق مشاركته في العيد العظيم من الحياة الانسانية المشتركة ؟»

اقام في الموصل وفي المدرسة الاكليريكية بضعة اشهر والامور في البلد تسير الى الاسوأ ، والمطران بولس في وضع نفسي مضطرب ، لقد حلّ عليه العذاب بدون سبب ، وحاصرته الايام ، وقد ذبلت الافراح في قلبه ، وسلب الزمان من عينيه رحيق الحياة السعيدة .

كان معتصما بحبل الصمت والصبر ، منتظرا الموقف المجهول . ومهما حاول اخفاء امره ، فكان لا ينجح لان وجهه اصبح مسرحا للكآبة والاحزان . وكان احيانا يظهر استياءه في لهجة ممزوجة بالحدة والانفعال .

اذكر مرة جاء لزيارته شخصيتان من الطائفة ومن رعايا كنيسة مار توما احدهما طبيب والثاني صيدلي ، واختليا معه لمدة اكثر من ساعة واحدة . وبعد مغادرتهم الاكليريكية لاحظت المطران بولس في اسوأ حال ولم اعلم ما حدث له ، كل ما استنتجته انه سمع اخبارا محزنة . في اليوم التالي وبحسب برنامجهم قام بزيارة الى دير مار متى يرافقه الربان سويريوس (المطران حاليا) والراهب اسحق ساكا ، (المطران حاليا) وامضى سهرة سيئة جدا مع مار طيمثاوس يعقوب مطران الدير حيث جرى بين المطرانين احاديث غير طبيعية اتّسمت بطابع الجفاء وموضوع ذلك كان تصرفات الرئاسة العليا تجاه المطران بولس . وبعد ان انتهت تلك السهرة المزعجة جدا ، علمت ان امورا جديدة قد لاحت في افق حياة المطران بولس وان

الشخصين اللذين زاراه امس في المدرسة الاكليريكية ابلغاه بان الرئاسة العليا في الكنيسة تنسب اليه الانتفاء الى حزب سياسي امام مسمع مسؤولين رسميين في الدولة . ومنذ تلك اللحظة وحتى الآن لم تنم له عين وهو غارق في بحر من القلق والاضطراب .

وفي اليوم التالي وبعد ان قدّم الذبيحة الالهية على مذبح القديس مار متى عدنا الى الموصل الى الاكليريكية .

اود ان اسجل بعض ما سمعته منه في تلك الآونة الحرجة : مرة قال «لو كان لنا دير منتظم لا عزلت الخدمة ، وجعلت من ذلك الدير محلا لاقامتي حتى موتي» وعلمت من مصادر اخرى انه كان يبحث له على الساحة الكنسية محلا يلجأ اليه لقضاء ما تبقى من حياته حتى انه خطر على باله ان يستقر في اميركا ليعخدم كقسيس بسيط فلم يتوفق علما انه كان ملتصقا بمحبة وطنه ، وهو عاطفي يحن الى بلده اذا غاب عنه شهرا ، وكانت كل رغبته ان يعيش الى جانب ذويه وابناء كنيسة في العراق .

ولما كنا نحاول ان نعزيه وندخل الطمأنينة الى قلبه قال لنا اتعرفون ماهو عزائي ؟! قال ان جبران خليل جبران في قصة مرتا البانية حيث تجلّت عاطفته نحو المرأة المظلومة يخاطبها بعبارات عديدة منها : «تعزي يا مرتا بكونك زهرة مسحوقة ولست قدماً ساحقة» .

ولما طلبت اليه مرة ان نهى طلاب الاكليريكية للاحتفال بعيد الرسولين بطرس وبولس اجاب : في عام ١٨٨٤ اراد اصدقاء فكتور هوجو شاعر فرنسا الاكبر ان يحتفلوا بعيد ميلاده فقال لهم : دعوكم من هذا ايها الاصدقاء ان مافي حياتي من الاحزان الكثيرة لم يدع فيها مكانا للاعياد . قلت له سيدي لست انت وحدك في تاريخ الكنيسة تعاني وتقاسي ، انت عالم كبير ، ومؤرخ تستوعب كل مجريات تاريخنا الكنسي : ان العلامة ابن العبري عندما يتحدث عن حياة ابائنا البطارقة يختم الحديث عنهم بعبارة «**رحمة الله عليهم**» .

اجل هذا كان مصدر آلامه ، يضاف الى ذلك وضعه البيتي ، اذ يجد امام عينيه والدين شيخين وقد شحّ نظرهما ، ويتحمل امرهما في العناية والرعاية . وكان ايضا بالاضافة الى ذلك كله يشكو من مرض في معدته وصدره ، فكان يكثر من استعمال وتناول العقاقير والادوية .

ادركه الشيب المبكر وحقّ له ان يقول مع جبران

شاخت الروح بجسمي وغدت لا ترى غير خيالات السنين
وإذا الأميال في صدري فشت فبعكاز اصطباري استعين
والتوت مني الأماني وانحت قبل أن أبلغ حد الأربعين

واني لأعجب كيف انه لم يدع ان تتسلّل هذه الظروف الى شعره او نثره فيخرج لنا بعض القصائد الشعرية او المقالات النثرية !

واخيرا ، ونظرا لهذه الظروف فقد ترك ابرشية الموصل وانتدب مطرانا لابرشية القدس عام ١٩٦٠ ، وهكذا في عام واحد تقريبا اخذ يتنقل من امريكا الى الموصل ثم الى بغداد ثم الى الموصل ، ثم الى القدس ، واخيرا الى بغداد كما سنرى ، ولا غرو في ذلك فقد كان يستخدم الآية الانجيلية «لثعالب اوجرة ولطيور السماء اوكار واما ابن الانسان فليس له ان يسند رأسه» كان يستخدم هذا القول في معظم مقالاته واحاديثه .

امضى في القدس اكثر من سنة ، باذلا كل مافي وسعه في خدمة الابرشية ، فقد فتح في دير مار مرقس معهدا اكليريكا ضم بضعة طلاب ، واذاع القداس الالهي والخطب الدينية من محطة عمان في بعض المناسبات ، والقى محاضرات قيمة في الاندية العلمية والمحافل الكنسية ، واصدر كراسا يحوي نظرات خاطفة من تاريخ مار مرقس للسريان سماه «بيت مرقس في اورشليم» عام ١٩٦٢

في عام ١٩٦٢ انهى خدماته الاسقفية في القدس ، وتعين مطرانا شرعيا لابرشية بغداد والبصرة بعد ان قدّم استقالته عن ابرشية الموصل .

كانت بغداد في الماضي كما هي اليوم ابرشية عامرة دامت خمسة قرون ابتداء من القرن التاسع وحتى اواخر القرن الثالث عشر ، وبعد ذلك ونتيجة للمآسي التي حلت بالبلاد زالت ابرشية بغداد من خارطة الكنيسة . وفي اواسط القرن العشرين تعينت نيابة بطريركية ، ثم ابرشية مستقلة عام ١٩٦٢ حيث جلس على كرسيها غريغوريوس بولس بهنام وهو اول مطران لهذه الابرشية بعد استئنافها من جديد . (٣٠)

ولاتزال هذه الابرشية حتى اليوم تسير بخطى حثيثة ، نحو الامام بهمة راعيها المطران مار سويريوس حاوا .

من اجل اعمال المطران بولس في بغداد ، تشييد مدرسة طائفية ، كما بنيت في عهده كنيسة الرسولين بطرس وبولس على نفقة المرحوم مجيد زيونة . كما سعى ايضا وصمم ان يقوم ببناء مستشفى خاص بالكنيسة السريانية الارثوذكسية في بغداد ، وفعلنا قطع شوطا كبيرا في هذا المشروع (٣١) ، غير ان المنية عاجلته ، وكان المثلث الرحمات البطريرك يعقوب الثالث ، في كلمته التأسيسية للمطران بولس ، قد اقترح تسمية المستشفى اذا ما تم انجازه ، باسم «مستشفى غريغوريوس بولس بهنام» .

اما عن وضعه النفسي في هذه الفترة الاخيرة من حياته وهو مطران بغداد والبصرة فيقول الاب يوسف سعيد «كانت تبدو على قسماات جبينه امواج من احزان تمر لتعقبها احزان اخرى . فكانت قسماات وجهه اشبه بمسرح او شاشة ، تعبر فيها الصور الى الجهة الثانية للتوارى ، وتحيطه كآبة خرساء . ولا اكنم سرا انني شعرت بان الحزن لديه اصيل الجذر ، وليست احزانه كآبة عابرة او «نرفزة» طارئة تمر مع الوقت توارت كليا ابتسامته العريضة ، واختفت تقريبا ملحه وقصصه وكأن الاضحوكة مسح يخلقها عن وجنتيه بتثاقل وكره . . .

(٣٠) انظر كنيسة السريانية للمؤلف ص ٢٨٧ - ٢٩١

(٣١) كان قد زار مجلس الكنائس العالمي في جنيف عام ١٩٦٥ بهذا الخصوص ، وعرض عليه الموضوع مشفوعا بالختم الرسولي السامي من قبل قداسة البطريرك

شعرت انه قد وصل قمة هرم الحياة وبدا ينحدر الى وهاد تؤدي الى جلبة الآلام وهي مملوءة بحفر الاحزان والاصاب»^(٣٢)

بقي ان نقول لا حاجة ان نشير الى ما عاناه من بعض الجهات ابتداء منذ عام ١٩٥٨ وحتى رقاذه الاخير . وقد تكون عبارة «جرحت في بيت احبائي» معبرة عن ذلك .

نشاطاته الفكرية في هذه الفترة : حاولت الايام ان تحمد في المطران بولس مشاعل الفكر النيرة ، وتعمل لتموت فيه الحيوية العلمية ، وتشل الابداع الثقافي ، غير ان قسوة تلك الايام لم تستطع ان تثبط عزمه ولم تشنه عن مواصلة المسيرة في العمل الادبي والعلمي . كيف لا وهو المؤمن بقول احد الآباء «النحلة حيث حطت فالشهد نتاجها ، ورجل الله حيث حلّ فعلى شفّيته كلمة الله»^(٣٣)

بعد عودته من اميركا عام ١٩٥٩ وهو في قمة آلامه ، وفي ذروة محنته كان قد ابتداء بتهيئته «دائرة المعارف السريانية» باللغة الانكليزية . فكنت تجده في دار مطرانية الموصل يواصل سواد الليل ببياض النهار في سبيل انجاز ذلك العمل الجبار . ولا اعلم ماذا حدث من ذلك المشروع الثقافي الخطير ، كل ما علمه انه كان قد قطع في ذلك شوطا كبيرا .

ولدى تعيينه على ابرشية بغداد ، واخذت الحياة بتسم له الى حد ما ، اخذ يسارع في اخذ مكانته على الساحة الفكرية ، ومهما يكن من الامر ، فانتاجه كان ضئيلا جدا اذا ما قيس وقورن في نشاطاته السابقة . فقد اصدر في هذه الفترة الاخيرة من حياته ، ثلاثة كتب هامة قيمة سدّت فراغا كبيرا في المكتبة العربية والسريانية ، فقد نقل كتاب الايثيقون (فلسفة الحياة الخلقية) للعلامة ابن العبري من السريانية الى العربية ، مصدرا اياه بمقدمة رائعة عن فلسفة التصوف . ووضع كتابا في دراسة حكمة احيقار ، وكتابا ثالثا عنوانه «ديوسقوروس» . وسنأتي على الحديث عنها لدى دراستنا شخصيته العلمية ، وكنا قد اشرنا الى النبذة الموجزة التي

(٣٢) الاب يوسف سعيد : حياة الملفان المطران بولس بهنام ص ١١٨ - ١١٩

(٣٣) بهذه العبارة استهل مقاله التاريخي الموسوم - «رحلة الى الغرب» المجلة البطريركية - دمشق مع ٥ السنة

١٩٦٦ عدد ٤٤ ص ٢٠٢

وضعها عام ١٩٦٢ عن دير مار مرقس للسريان بالقدس . هذا بالاضافة الى المحاضرات التي القاها في المحافل العلمية في بعض المناسبات ، كالمحاضرة التي القاها في مهرجان الكندي ، بغداد ، الذي اقيم في بغداد عام ١٩٦٢ والتي كان عنوانها «بغداد في المصادر السريانية» . كما انه نقل الى العربية من السريانية كتاب تاريخ طور عبيد تآليف البطريك افرام برصوم .

المجامع الكنسية التي حضرها :

امضى المطران بولس في خدمة الرتبة الاسقفية سبعة عشرة سنة من ١٩٥٢ - ١٩٦٩ كمطران شرعي للموصل ثم لبغداد كما علمنا ، وهو بحكم الواقع وبحسب القوانين الكنسية عضو في السيندوس «المجمع المقدس» للكنيسة السريانية الارثوذكسية الانطاكية .

في عهده عقدت المجامع الكنسية التالية :

١ - مجمع حمص الرابع الذي عقد في ١٥ تشرين الثاني ١٩٥٤ وقد حضره ممثلا ابرشية الموصل . عقد المجمع برئاسة البطريك افرام الاول وبحث موضوع حساب عيد الميلاد وتقرر فيه : ان يعيد عيد الميلاد في الخامس والعشرين من شهر كانون الاول غربي ، ومن ثم يكون سير الاعياد كلها على هذا الحساب ، ويكون الحساب الشرقي لاغيا . اما حساب الصيام الاربعيني وعيد الفصح فيبقى على حسابه القديم .

اتخذ هذا القرار بالاكثريّة وامتنع عن التوقيع عليه مطران دير مار متى مار طيمثاوس يعقوب ، ومطران الموصل غريغوريوس بولس بهنام . غير ان الكنيسة سارت بأراء الاكثريّة بحسب الاصول المرعية في المجامع الكنسية .

٢ - مجمع حمص الخامس : على اثر انتقال البطريك افرام الاول الى الخدور العلوية في ٢٣ حزيران ١٩٥٧ عقد السيندوس من ٢٥ حزيران الى ٢ تموز جلسات متعددة متقاطعة في حمص لانتخاب القائم مقام البطريك ، وللبحث في انتخاب بطريك خلفا للبطريك الراحل ، ولبحث شؤون اخرى وقد اشترك صاحب الترجمة في هذه الجلسات الجمعية ، كما اشترك في الجلسة التي عقدها



هذه الصورة
من المراسم

هذه الصورة
من المراسم

هذه الصورة
من المراسم

هذه الصورة
من المراسم

هذه الصورة
من المراسم

هذه الصورة
من المراسم

هذه الصورة
من المراسم

هذه الصورة
من المراسم

هذه الصورة
من المراسم

Th Alti
11045

حفلة تنصيب البطريك يعقوب الثالث ٢٧ تشرين الأول ١٩٥٨ - حمص

المجمع في ٣ تشرين الاول ١٩٥٧ لانتخاب البطريرك ، برئاسة القائم مقام البطريركي .

٣ - مجمع حمص السادس : لاسباب موجبة تغيب عن حضور المجمع الذي عقد في حمص في دار البطريركية من ١ - ١٠ حزيران ١٩٥٩ برئاسة البطريرك يعقوب الثالث ، وفيه تمّ تعديل كبير في القوانين الكنسية بشكل عام .

٤ - مجمع حمص السابع : تغيب عن الحضور ايضا لاسباب موجبة الى مجمع حمص السابع الذي عقد في حمص في ٨ تشرين الاول ١٩٥٩ برئاسة البطريرك يعقوب الثالث . وكان المجمع قد قرّر تثبيت النائب البطريركي مطرانا شرعيا لحمص وحماه على اثر نقل الكرسي البطريركي من حمص الى دمشق ، كما بحث امورا كنسية اخرى .

٥ - حضر المجمع الذي عقد في دمشق بتاريخ ٢٠ - ١١ - ١٩٦٣ برئاسة البطريرك يعقوب الثالث ، والذي تمّ البحث فيه انتخاب نائب بطريركي للقلاية البطريركية ، ووضع الكنيسة في الهند ، وابرشية لبنان .

٦ - حضر جلسة مجمعية استثنائية في دير الزعفران بتاريخ ١٢ - ٨ - ١٩٦٥ برئاسة البطريرك يعقوب الثالث ، وذلك لبحث وضع ابرشيتي ماردين ومديات ، وتمّ ذلك بمناسبة الزيارة الرسولية التي قام بها البطريرك للابرشيات في تركيا .

٧ - حضر المجمع الذي عقد في دمشق بتاريخ ٥ تشرين الثاني ١٩٦٥ ، برئاسة البطريرك يعقوب الثالث واتخذ فيه قراراتين ، القرار الاول في الزواج من ابنة العم ، حيث سمح الزواج بابنة العم عند الضرورة القصوى على ان يرجع فيه الى تفسيح البطريرك . والقرار الثاني قضى بممارسة الصيام الاربعيني في الاسبوع الاول وفي الاسبوع الاخير منه فقط مع الحفاظ على صيام يومي الاربعاء والجمعة .

رحلاته الكنسية والعلمية وغيرها : من الواضح ان الرحلات والسفر والتنقل تفسح آفاق المرء العلمية والاجتماعية . وان المطران بولس لم يتسن له القيام برحلات علمية واسعة النطاق ، كما لم يتوفر له الحظ بتنظيم سفرات وتنقلات اخرى ، كل ما توصل اليه قيامه برحلتين علميتين الى امريكا واوروبا ، وبرحلة



قداسة البطريرك يعقوب الثالث يتوسط فريق من المطارنة
وأعضاء المجلس الملي العام بدمشق ١٩٦٥ من بينهم صاحب الترجمة



في دير الزعفران ٦ آب ١٩٦٥

واحدة الى رودس لحضور مؤتمر ارثوذكسي وكان يبذر خلالها بذور الانسانية المثلى التي تتجسد في الكنيسة السريانية ، وكان يقابل حيثما حل بترحاب بالغ ووقار . كما انه رافق البطريرك يعقوب الثالث في زيارته الرسولية لكل من الهند وتركيا

١ - الرحلة الاولى : في سنة ١٩٥٩ حصل على منحة دراسية من السميناري المتحد في نيويورك ، فصرف فيه سنة دراسية وفي المناسبة ، زار الكنائس السريانية المنتشرة في الولايات المتحدة الامريكية ، يعظ ، ويحاضر ، وفي عودته من الولايات المتحدة عرج على بعض البلاد الغربية حيث امضى ثلاثة اشهر بين المكتبات والمؤسسات الدينية والعلمية ، يستزيد من المعلومات التاريخية والحضارية المحفوظة في المخطوطات السريانية والعربية وباللغات الاجنبية^(٣٤) .

٢ - الرحلة الثانية :^(٣٥) بدعوة من رئيس اساقفة اليونان . تألف وفد برئاسة المطران بولس بهنام وعضوية كل من ملاطيوس برنابا مطران حمص وحماه ، والسكرتير البطريركي الربان صليباً شمعون (مطران الموصل اليوم) والاستاذ توما الخوري من لبنان ، لحضور مؤتمر رودس الارثوذكسي ، وذلك خلال تشرين الاول من عام ١٩٦١ ، وفي حفلة الافتتاح ، القى المطران بولس كلمة باللغة الانكليزية كان لها وقع جميل جدا لدى الوفود التي حضرت ذلك المؤتمر وعلى اثرها احيط باحترام بالغ ومما قاله في كلمته بعد ان توجه بالشكر لاصحاب الدعوة : اليوم يفتح باب الحوار بين الاخوة من اجل التوصل الى الوحدة المسيحية ، وما علينا إلا ان ندخله بشجاعة وايمان . وفي اجتماعات ثانوية على هامش المؤتمر ، كان يطلع العديد من اعضاء المؤتمر على تاريخ الكنيسة السريانية وتراثها الخالد ، وعن استعداد واتجاه هذه الكنيسة نحو التعاون والتفاهم من اجل تعزيز المسيحية .

٣ - الرحلة الثالثة : في ١٥ ايار عام ١٩٦٤ قام قداسة البطريرك يعقوب الثالث بزيارة رسولية للكنيسة السريانية الهندية استغرقت حتى ٣٠ حزيران . وكان المطران بولس من جملة اصحاب النيافة الذين رافقوا البطريرك بهذه الزيارة . وفي

(٣٤) يا حبذا لو سجّل رحلته هذه مفصلاً كالرحلة التي سجّلها عام ١٩٦٥ ، لكنه لم يفعل .

(٣٥) نسجلها بحسب ما كتبها لنا الاخ غريغوريوس صليباً مطران الموصل .

٢٢ ايار ١٩٦٤ اشترك برسامة المطران طيمثاوس اوجين ، جاثليقا للمشرق والهند باسم باسيلوس اوجين الاول ، ولاسباب خاصة غادر الهند في ٢٩ ايار عائدا الى ابرشيته .

٤ - الرحلة الرابعة : في عام ١٩٦٥ رافق قداسة البطريرك يعقوب الثالث في زيارته الرسولية الى ابرشيتي مديات وماردين في تركيا ، وحضر الجلسة الاستثنائية التي عقدها المجمع المقدس في دير الزعفران في ١٢ - ٨ - ١٩٦٥ كما اشرنا الى ذلك .

٥ - الرحلة الخامسة : في صيف عام ١٩٦٥ قام برحلة الى اوربا لحضور بعض المؤتمرات وكانت ابعده رحلاته اثرا سجلها في المجلة البطريركية في دمشق تحت عنوان «رحلة الى الغرب» مج ٥ السنة ١٩٦٦ العدد ٤٤ ص ٢٠٢ - ٢٠٨ يشير فيه الى الداعي للقيام بهذه الرحلة حيث يقول «في ٢٧ من حزيران الماضي تلقيت رسالة من السيد مارشال الجو البريطاني ب - ١ متلند ، بها يوجه الى دعوة لحضور مؤتمر التسليح الخلقي في نقطة كو في سويسرا ثم في بريطانيا وذلك من ١٥ تموز ١٩٦٦ ولغاية ايلول» . وبناء على ذلك غادر بغداد في ١١ تموز وفي ٢٧ منه وصل الى نقطة كو التي تبعد مسافة ٧ كم عن مدينة موننترو - سويسرا بعد ان مرّ بدمشق وبيروت وروما عن طريق البر والبحر .

جاء في هذا المقال «الى الآن لم اكن اعلم ماذا سيدور في هذا المؤتمر من البحوث . اذ المعروف ان المؤتمرات العالمية الكبرى لها نظامها وجدول اعمالها ، وكل عضو من الاعضاء الذين يحضرونها في حقيته ما يجب ان يقوله في ذلك المؤتمر ، الا ان هذا المؤتمر كما اتضح لي لا يسير على نمط تلك المؤتمرات ، لان اهدافه تتناول التأخي الانساني عامة . فليست لديه مواضيع محددة ولا جدول اعمال معين . يتناوله المدعوون اليه مقدما . وعلى هذا الاساس كنت خالي الوفاض من كل شيء . ولم اكن افكر فيما يجب ان اقول . وكيف يمكن ان اظهر وجودي كمطران شرقي في تلك الاوساط الانسانية الراقية . وكانت ايتي الذهبية في هذا المضمار «روح ابيكم يتكلم فيكم» . ثم يتابع قوله «في اليوم الثاني من وصولي منطقة كو حضرت اول اجتماع للمؤتمر وكان يضم اعضاء من سائر انحاء

العالم بينهم بعض علماء اللاهوت من مختلف الكنائس ، وعلمت ان هناك مبادئ اساسية يعد الملثثمون العدة لنشرها في العالم وهي الامانة ، النقاء ، اللانانية ، المحبة . وكانت هذه المبادئ الاربعة ادوات صالحة لما كنت ارغب الكلام فيه وقد شعرت بسعادة روحية تغمر كياني ، لان الله قيض لي هذه الفرصة الثمينة لاعلان مجده والتحدث في المبادئ الروحية للكنيسة السريانية في هاتيكا الاوساط الغربية التي لم تطلع على نشاط هذه الكنيسة المجيدة ، واذا اطلع البعض منها فعن طريق ما كتبه خصومها في مختلف الاجيال التاريخية . وعلى هذا الاساس كنت ارغب الكلام في هذه المبادئ الاربعة كلا بمفرده طمعا في التطرق الى ما قدمته الكنيسة السريانية للعالم من علم وادب وتفكير .

ويقول ان اول خطاب كان عن «الامانة» وركز على امانة الكنيسة السريانية في تأديتها رسالتها الروحية الى العالم منذ صدر النصرانية . وقد اعجب الحضور بمحتويات هذه المحاضرة . وفي اول شهر اب انهى المؤتمر اعماله . اما المترجم فقد مكث بضعة ايام في سويسرا خلالها شهد بعض المناطق الاثرية والتاريخية كما زار مجلس الكنائس العالمي في جنيف .

في ٤ اب غادر سويسرا الى لندن لحضور مؤتمر التسليح الخلقي ومكث مدة في لندن حضر خلالها عدة اجتماعات والقى عدة مواضيع ، ثم غادر لندن مع بعض اعضاء المؤتمر الى «ترلي» في الشمال الغربي من بريطانيا حيث تجمع مئات من الشبيبة في رياضة دينية روحية تخللها لقاء الخطب ، والقيام بفعاليات روحية ، وارتجل هو ايضا خطبا موفقة جدا ، ويقول «وفي كل مرة كان احد المواضيع الكنسية الكبرى محور الكلام مطبقا على احد المبادئ الاساسية الاربعة ، ففي موضوع الطهر مثلا تحدثت في الرهبانية القديمة في الكنيسة السريانية ، وفي موضوع اللانانية . بحثت تضحيات الكنيسة والضحايا الثمينة التي قدمتها على مذبح الايمان منذ فجر المسيحية وهكذا الى النهاية» .

وبعد ان مكث خمسة ايام في ترلي عاد الى لندن ، وفي طريق عودته زار بعض الكاتدرائيات والكنائس التاريخية ، وقد اثارت اعجابه كاتدرائية كوفنتري

يقول «وقبل مغادرتي الكاتدرائية طلب الي احد القسس ان اسجل اسمي ولقبني الكنسي في سجل الكنيسة المعد لمثل هذه الغاية ، وطبعاً سجلت اسمي بالسريانية والانكليزية ، وماكان من القس الفاضل إلا ان انحنى امام السجل وقال : ان هذا السجل تقدس الآن بلغة السيد المسيح وسيبقى اثنى اثر في هذه الكاتدرائية»

في ١٢ آب اقام قداساً في كنيسة القديس جورج في لندن بحسب الطقس السرياني ، ثم غادرها الى بعض الاقطار الاوربية عن طريق البر لاجراء الفحوصات الطبية وفي ٣٠ آب وصل الى بيروت .

شخصيته : «كان ربع القامة ، ارقش الوجه ، صغير العينين في بؤبؤيه دكنة خفيفة ، ابيض اللون ، مليح الطلعة ، له انف عريض يتهالك على وجنتيه ، قوي الجسم ، مفتول الساعدين . . . كانت حنجرته كبكرة رفيعة والنعمة تدور معها كالزوبعة المكانية ، في صوته جاذبية ونعومة وحلاوة من حنين واشواق»^(٣٦)

وكان رأسه ينثال على كتفيه لقصر رقبته ، كث اللحية ، اشتعلت شيباً ، وامتلاً رأسه بياضاً فادرسته الشيخوخة المبكرة وهو لا يزال بعد في العقد الخامس من عمره .

وكان مهيباً ، وقوراً ، وكانت عيناه الصغيرتان السوداوان الوديعتان تبدوان احياناً تسكبان العطف والحنان بهدوء وانسجام ، وحياناً كأنها تقصان الف حديث صامت . وفي صمته الطويل العميق تتحرك في تينك العينين احداث تاريخنا السرياني بشموخ وعنفوان .

من تطلع اليه وتأمل في عينيه وصمته ، فحينذاك يكون ميسوراً جداً للنظرات ان تستشفا كل ما يزخر به قلب هذا المطران الوديع من محبة الكنيسة وعشق تراثها .

احاطت لحيته البيضاء في ايامه الاخيرة لكنه بوجهه كاطار من الغيوم البيضاء لتستمد من همومه واحزانه طاقات جديدة ليتضاعف بياضها .

(٣٦) انسنا ان نستمد هذه الاوصاف التي جاد بها قلم الاب يوسف سعيد في كتابه عن حياة صاحب الترجمة ص

صفاته : ومن صفات المطران بولس واطباعه

١ - النسك :

كان يحيا حياة النسك والزهد ، في مسكنه ، ومأكله ، ولباسه ، في الجنوب الشرقي من كنيسة العذراء في البتاويين مبنى صغير لا تتجاوز مساحته خمسين مترا مربعا ، مؤلف من طابقين ، يسمى عند العراقيين «مشمّل» . في الطابق الارضي غرفة صغيرة جدا ٣×٤ م جعلت غرفة للطعام وبلصقتها مطبخ ومرافق في غاية البساطة . وفي الطابق الثاني غرفة ٣×٤ متداخلة فيها غرفة ثانية بنفس المساحة كان ينام فيها المطران بولس ، ويظهر ان هذا المشتمل اعدّ ليكون سكنا لخدام الكنيسة ، وشاءت الظروف ان يكون سكنا للمطران بولس مطران ابرشية بغداد والبصرة التي تعتبر اهم الابشيات السريانية ماديا ومعنويا واجتماعيا .

مرة كنت والمرحوم القس حنا رحمانى للسريان الكاثوليك في زيارة له ، وبعد ان انتهينا من الزيارة وخرجت مع القس رحمانى لاودعه قال لي : «هذا المكان غير لائق ان يسكن فيه المطران ، وعيب ، لكم طائفة كبيرة وغنية» .

اما عيشه فكان عيش دون الطبقة الوسطى ، بعيدا عن البذخ ، عزوفا عن الابهة ، زاهدا في الشهرة ولئن كانت الشهرة تتبعه بالضرورة . وكان لا يتأق في لباسه بل كان عاديا جدا : مرة قال لنا «ثقوا ان «قمبازي» الذي انا ارتديه الآن عمره اثنا عشرة سنة . ومن صفاته ايضا كان لا يحب الظهور . ان كثيرين يحاولون ان يظهروا انفسهم ، ولكنهم مهما حاولوا الظهور فهم لا يظهرون لان ليس لديهم ما يظهرونهم إلا رغبة الظهور فقط . اما هو فقد تخلّى عن الابهة ومزق كل مظاهر الظهور ومع ذلك فلا يمكن ان تخفى مدينة على جبل ، ولا يوقد مصباح ويوضع تحت المكيال .

٢ - العزلة ، والصمت :

كان الغالب عليه حب العزلة او الوحدة ، وكانت من الوسائل المحببة اليه يستغلها للمطالعة في راحة وهدوء بال ، والابتعاد عن القيل والقال . محبا للصمت ، وكأن الوحدة والصمت من اعز اصدقائه . اذا ما طالعت قصيدته

النثرية «اناشيد» لسان المشرق مج ٢ العدد ١ ص ٢٨ - ٢٩ فتراه يتغنى بالوحدة والصمت وقد سبق الاشارة اليها .

كثيرا ما أمضينا معه ساعات طوالا ، وهو يبدو غائضا في اعماق الصمت مستغرقا في تأملاته المبهمة احيانا ، لا يفضي بما يجول في فكره وخاطره ، وكان بين الحين والآخر ينتفض من احلامه وتأملاته ، ويرسل ضحكة او قهقهة مصطنعة . كان يكره الضوضاء مهما كان لونها ومصدرها سيما عندما يكون غارقا في المطالعة والكتابة ، يلتذ بالهدوء وينعم بالسكينة . حدثني مرة الأب الربان سليمان غريز حدث ان زقزقة العصافير ملأت جنبات غرفته وهو منهمك في الكتابة ، فانزعج وخرج يصفق في يديه يكشف العصافير من الشجرة . من هذه وحدته وصمته يتفرع امران آخران ، احدهما انه لم يكن محدثا واسع الرواية وطويل النفس ، ثانيهما انه كان مسالما لا يقوى على مجابهة من يخاصمه في امر ما .

٣ - الانسان المؤدب :

كان خلقا مثاليا نبيل ، لا يغتاب احدا ، ولا يحب الرياء والتصنع والمجاملة المتطرفة يبتعد عن كل ما لا يتلاءم مع حياة النبل . دأب احدهم على المجاملة في اقصى حدودها حتى بلغت حد النفاق في احاديثه وفي رسائله ، فسمعته مرة يقول انا لا ارتاح ان اقرأ رسائل الاخ الفلاني لكثرة النعوت والادواف التي يخلعها علي المرسل . ياليت من ينبهه الى هذه الناحية .

٤ - الكتان : كان كتوما جدا يحتفظ لنفسه بسر قلبه ، وقد يفضي بعضه الى المقربين اليه جدا ، ويحتفظ . محافظا على عدم اذاعة من يأتمنه على سر . حدث مرة ان انهى خدمات احد الاكليريكيين الذين كانوا يخدمون في ابرشيته و اشار اليه بمغادرة دار المطرانية الى بلده ، ولما سأل المجلس الملي في بغداد وغيرهم عن السبب لم يشأ ان يعلن لهم الامر ، ويكشف لهم عن السبب ، بينما العادة المألوفة بين صفوف الاكليروس الاشهار وعدم حفظ كرامة من زلّ واخطأ . وهنالك شيء آخر قد تكون له صلة بالكتان . يقول الأب يوسف سعيد انه قلما بكى^(٣٧) . علما انه

(٣٧) حياة المطران بولس : الاب يوسف سعيد ص ١١٠

كان لديه دواع كثيرة تحمله على ذرف الدموع ، ولكنه كان يكتُم حتى دموعه .
فكم من حسرة انبثقت من آلامه كانت اكثر ايلاماً من البكاء ، اما في قلبه وسره
اكيد انه بكى كثيرا .

٥ - كان سريع التصديق يعطي اذنا صاغية بدون تحقيق او تدقيق . ودون ان
يتروى في الامور ، ويتتبع ما يسمعه ليميز بين الخطأ والصواب . وهذا كان احد
الاسباب التي اتعبته في حياته ، والامثلة عليها كثيرة .

٦ - محبته للفكاهة والتندر ، كان ظريفا حاضرا النكتة ، يميل الى الفكاهة المروحة
دون ان يخرج ذلك عن جادة الوقار . فالمزح يكون رخيصا اذا خرج عن جادة
الوقار ، ويكون «صنفا من الادب» اذا حمل طابعا مناسبا ، ومستوى عاليا .

فكاهته ومزاحه هي فكاهة الطبع لا فكاهة التكلف ، نابعة من خفة روحه
ولطفها .

اقول الفكاهة او الضحك «صنف من الادب» ذلك ان الادب السرياني
طرق ابواب اغراض كثيرة كالمدح ، والذم ، والوصف والدينيات ، والبكاء الخ
ولما جاء العلامة ابن العبري في القرن الثالث عشر اضاف الى هذا الادب غرضا
آخر هو الفكاهة والضحك كما يظهر من كتابه «المضحكات» .

وهذا الفن الادبي موجود عند العرب سيما عند الجاحظ الذي كان له ولع
شديد بالضحك والاضحاك وهو القائل «لو كان الضحك قبيحا من الضاحك ،
وقبيحا من المضحك لما قيل للزهرة والحلي والقصر المبني كأنه يضحك ضحكا ،
وقد قال الله عز وجل : وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى ، فوضع
الضحك بحذاء الحياة ، ووضع البكاء بحذاء الموت» ولفضل خصال الضحك
عند العرب تسمي اولادها بالضحاك وبسّام وقال الجاحظ ايضا «صار المزح
جداً والضحك وقاراً» (كتاب البخل - مطبعة الجمهور ص ٦) . وإننا لنجد ان
معظم رجال الاكليروس مولعين بالفكاهة والضحك في حياتهم ، وان معظم
اجتماعاتهم حتى الرسمية لا تخلو من هذا النوع من الادب .

ابن العبري لا يريد ان ينفرد بالضحك لوحده إنما اراد ان يشارك فيه القراء من خلال كتابه المضحكات ، فقد حاول اضحاك القارئ دفعا للملل . في الستينات كان قد ظهر اعجوبة في كنيسة مار يعقوب في القامشلي - سوريا ذلك ان القديس مار يعقوب شفى مجنوناً ارمنياً من مرضه . وكان نيافة مار اسطاثاوس قرياقس مطران ابرشية الجزيرة والفرات كتب خبر هذه الاعجوبة الى اصحاب النيافة المطارنة يعلمهم بهذا النبأ الخطير طالبا ابداء الرأي ومما كتب له المطران بولس في رسالته الى المطران قرياقس قوله «اني لاحتج بشدة على القديس مار يعقوب ، كيف انه يشفي مجانين الارمن ، ولا يشفي مجانين السريان» .

في الستينات ايضا كان بزيارة في بيروت ، وعزم ان يطبع احد كتبه في مطبعة الموارنة في جونية - لبنان ، فطلب من مدير المطبعة ان يعلمه عن كلفة طبع الفين نسخة من الكتاب ، اجابه التكاليف عامة بحدود عشرة آلاف ليرة لبنانية ، الالف الاولى من الكتاب تكلف ثمانية آلاف وخمسمائة ٨٥٠٠ ل . ل . والالف الثانية الفا وخمسمائة ليرة ١٥٠٠ ل . ل . فرد المطران على صاحب المطبعة قائلاً اذا اكتفي بالالف الثانية واستغني عن الالف الاولى .

٦ - كان من كبار المدخنين ، وقد تحدث الاب يوسف سعيد عن هذه الناحية طويلاً انظر كتابه ص ١٠٧ - ١٠٨ . لدى وصفه الرحلة التي قام بها الى الغرب عام ١٩٦٥ ، ولدى حديثه عن احدى سفراته جوا يقول «وما انقضت الساعة والدقائق العشر في الجو حتى اعلن المذيع اننا فوق مطار لندن ، وسنهبط بسلام ، وطلب الى الركاب ربط الاحزمة ، واصدر امرا باطفاء السكاير ، واشكر الله اذ لم تكن بين اصابعي سيكارة لكي آسف عليها» .

ومن طرائف ما يجب ان يسجل بهذا الخصوص مارواه عن نفسه قال : «في اميركا قضيت يوماً كاملاً في احدى المكتبات الشهيرة وفي قسم المخطوطات السريانية والعربية ، متصفحاً ، وملخصاً ، وسبق ان المسؤول عن المكتبة حذرنى من التدخين في المكتبة ، غير اني سهوا وبدون شعور اشعلت سيكارة اثر سيكارة ، وبعد ساعة او اكثر لاحظت امام مبنى المكتبة سيارة اطفاء واخرى سيارة اسعاف ،

وسمعت ضجة داخل المكتبة وصوتا يرتفع قائلاً نار . . حريق الخ وتوجه بعض المسؤولين عن المكتبة وجمعيتهم رجال الاطفاء نحو المحل الذي كنت جالسا ابحث فيه عن الكتب ، ويظهر ان الدخان الذي تصاعد فوق راسي من جراء السكاير التي كنت اشعلها شكّلت سحابة كثيفة من الدخان الاسود خاله مسؤول المكتبة حريقاً . ولما وقفوا على حقيقة الامر ، انفجروا ضحكا ونبهوني الآ ادخن هنا» .

ومن صفاته ايضا ، كان يتصدق على الفقراء ، ويعطف على البؤساء بسخاء وبسرية



الألم مصدر الحياة

«كل الأعمال العظيمة التي قام بها الانسان منذ فجر وجوده إلى الآن إنما قام بها ، والألم ينير له طريق الحياة كمصباح منير ، وكل الأفكار الجميلة السامية التي أتاها عباقرة التاريخ إنما انتزعوها من مهج متألمة وقلوب ممزقة» ، لم يرو لنا التاريخ أن رجلاً مسروراً قام بعمل عظيم في هذه الحياة ، ولكنه يروي أن الألم قذف إلى الحياة الأفكار البشرية الإلهية الخالدة التي تدفقت من ينبوع الآلام البشرية» .

المطران بولس

قيمة الحياة

«لو نظرنا إلى الحياة من الوجهة العلمية الصحيحة لا نرى لها قيمة حقيقية إلا بالعمل الثمر والانتاج المفيد المتواصل ، وبغير العمل والانتاج لا قيمة لها . ولا يستطيع العاقل تقديرها بشيء ، لأن قيمة الشيء الحقيقية هي بما ينتجه من الخير والمنفعة لبني جنسه»

المطران بولس

القسم الثاني



المطران بولس بهنام على ساحة الفكر

تمهيد

يقف المطران بولس على ساحة الفكر محققا بعينه السوداوين الصغيرتين الوديعتين ، غائضا في اعماق لجج الاعصر السريانية متنقلاً من عصر الى عصر ، ومن عهد الى عهد ، بدءا بعصر افرام السرياني العظيم ٣٧٣+ متجها نحو عهد مار يعقوب السروجي العجيب ٥٢١+ متخطيا ايام يعقوب الرهاوي ٧٠٨+ الشهير ، حتى يبلغ زمن ابن العبري ١٢٨٦+ اعجوبة من اجل عجائب الله ، فيجمع اللآلئ النفيسة ، والجواهر اليتيمة ، فيصوغ منها عقدا نفيسا ، وقلادة ثمينة ، يطوق بهما جيد الكنيسة المقدسة التي هام بحبها منذ نعومة اظفاره ، فتشع معرفة وروحانية وجمالا .

يقف على ساحة الفكر فتتنعم نظراته بسهول نينوى الخضراء ، وتهيم بمرايض آرام الزاهية ، وينعش نفسه بنزهة ما بين بساتين نصيين النضرة ، وجنائن الرها الغناء ، وخمائل دير قنسرين الفيحاء ، تلك البساتين والجنائن والخمائل التي بللتها قطرات العرق الذي تصبب من جبين يسوع في بستان الجثسياني ، وسقتها غيوث المحبة ، ونمت وانتعشت على جداول التضحية ، فيجمع كل زهرة عطرة ، وكل وردة فواحة ، ويؤلف منها باقة جميلة فيقدمها للسريانية لتستنشق منها رائحة الايمان والعلم والفضيلة .

يقف على ساحة الفكر فيتطلع بين جنبات التاريخ الآرامي السرياني بزهو وافتخار ، فيرى على جدرانهِ صورا متنوعة من الامجاد ، ولوحات عديدة نقش عليها كل فن جميل ، رسمتها ريشة السريان المتواضعة ، فجاءت تنطق بالعبرية والنبوغ والذكاء .

يقف على ساحة الفكر ، خاشعا متعبدا ، متطلعا الى اعالي الجبلجة ليرى يسوع مصلوبا ، مضرجا بدمائه القانية الحمراء ، حيث النبع الاصيل للتضحية ،

ومصدر الحب الشامل للانسانية «هكذا احب الله العالم حتى بذل نفسه لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية» . يستمد من ذلك رسالة موجهة للبشر تدعوهم للتضحية والمحبة «كما ارسلني الاب ارسلكم انا» .

يقف مخاطبا افرام السرياني ملفان الكنيسة العظيم : يا ابتي يا من غرست لنا جنائن الميامر والمداريش لولاك لما كان في حقولنا خضار ولا ربيع .

مخاطبا : الملفان يعقوب السروجي كنارة الروح القدس : سيدي لولا هتون قصائدك ، وغيوث شعرك لكنت اراضينا صحارى .

ومخاطبا ابن العبري : يا استاذي الجيب لولاك لما حملت اليراع ولما فقهت الحروف الابدجية .

يقف اخيرا المطران بولس ، ليرى قوافل الفكر الارامي تسير افواجا في دروب الخلود ، وليتغنى بالماضي التليد ، وليطلق صوتا من نينوى وآرام ويقول له انك ايها الماضي المجيد لعائد باذن الله .



«الحياة صفحة نقية ، تنعكس عليها أشباح النفوس البشرية ، كما تنعكس الوجوه على مرآة صافية ، فاذا كانت هذه النفوس عظيمة جبارة ، كانت أشباحها عظيمة جبارة ، وإذا كانت هزيلة ذاوية ، كانت أخيلتها مثلها هزيلة ذاوية»

المطران بولس

الفكر رسالة

«بولس رسول يسوع المسيح»

الفكر عند المطران بولس «رسالة» وخدمة وتضحية ، ولم يكن عنده حرفة او مهنة ، ولم يسع من وراء ذلك مادة او شهرة . وقد عشق رسالته هذه منذ نعومة اظفاره ، وابتع معظم كتاباته تحمل جانبا من رسالته الفكرية للانسانية وصورا وافكارا مسربة بنبضات قلبه .

من يتبع المطران بولس من خلال كتاباته ، ومجلته المشرق ، ولسان المشرق سيما في الكلمات الاولى ، والافتتاحيات ، يجده «رسولا» يبسط خواطر فلسفته في الحياة حاملا بين جوارحه عقيدة ورسالة ، تلك هي عقيدة الحب الشامل للبشرية ، ورسالة خدمة الفكر الشرقي ، والانسانية .

هدف الرسالة : تأمل مليا ما سطر على الغلاف قوله «يسعدني جدا ان استطعت القيام بخدمة متواضعة للكنيسة التي كرّست حياتي لخدمتها منذ عهد الصبا ، وذلك بالطريقة التي هداني اليها الرب . واتخذ من ضعفي بوقا لاذاعة امجاد هذه الكنيسة المحبوبة»^(١)

وفي ثانيا مجلة المشرق ، ولسان المشرق تجده يشخص رسالته بوضوح ويعلن عن عقيدته بمنتهى الصراحة ، وبكل اعتزاز وفخر . جاء في المشرق قوله «ارغب في ان ابرهن على سمو الادب السرياني العذب ، الذي لي الشرف ان اكون احد

(١) مقالته تحت عنوان : رحلة الى الغرب : المجلة البطريركية - دمشق مج ٥ السنة ١٩٦٦ العدد ٤٤ ص ٢٠٢

خدامه الامناء^(٢) . ويقدم نفسه خادما امينا للغة الضاد فيقول «ولا يكون لسان المشرق إلا لسان الحقيقة السامية ، الناطق بالمثل العليا ، والمبشر بالفضيلة . . . فنستخدم لغة الضاد العزيزة لما لها من المكانة السامية في نفسنا .^(٣)

الرسالة توضحية لا مادة ولا شهرة

لقد حدّد المطران بولس رسالة الفكر بانها توضحية ، واسهب في ما يعاينه رجل الفكر الذي يقدم خدمة لبني قومه مجانا وبدون مقابل . يقول في ذلك «وليعلم جميع قرائنا وانصارنا الكرام اننا لم ننشئ «المشرق» حبا بالمادة الفانية . لان الراهب الحقيقي ، او الاديب الحقيقي هو الذي يعزف عن المادة بل انما نتوخى من رسالتنا هذه الخدمة الروحية التي اخذناها على عاتقنا منذ نعومة اظفارنا»^(٤) ويقول ايضا «وقليلون هم الذين يشعرون بهذا الشعور . واقل منهم الذين ينتبهون الى هذه التوضحية ، حيث يذيب الاديب نفسه وقلبه في سبيل امته ، ومبدئه ، ولغته ، وشعبه ، دون ان ينتظر على ذلك شكرا او يطمع بمغرم . . . ودون ان يفكر بمجد زائل او بمغرم مادي فان . ولا مكافأة ولا شيء من حطام الدنيا او من اضرار الحياة»^(٥) ويكرر في مكان آخر تجرده عن المادة ويقول «ليس في الجعبة شيء من المادة التي هي الركن الهام في حياة الصحف ولا سيما في هذه الايام . والمادة - قاتلها الله - رغم حقارتها تستطيع ان تعمل العجائب في عالم مثل عالمنا لا يفهم إلا المادة»^(٦) واخيرا يعود ويؤكد ان الفكر عنده رسالة توضحية وليس وسيلة لكسب المادة والشهرة «نؤكد ان مجلتنا هذه رغم صغرها انما وضعناها لخدمة القراء الروحية والادبية ولإبلاغهم رسالة مثلى اخذناها على عاتقنا منذ عهد بعيد . . . ولا تتوخى إلا فائدة الجميع . الامور التي لها في قلبنا منزلة عالية . كيف لا وقد كرسنا نفسنا لخدمتها منذ نعومة اظفارنا . . . ولا نبغي من ذلك اجرا ولا شكورا»^(٧)

(٢) مجلة المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ العدد ١ ص ٢٥ مقالة : من اعماق اعماق الحياة

(٣) لسان المشرق مج ١ السنة ١٩٤٨ العدد ١ الافتتاحية ص ٣

(٤) المشرق مج ٢ السنة ١٩٤٧ العددان ١ و ٢ الافتتاحية ص ٥

(٥) لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٤٩ العدد ١ الافتتاحية ص ١ - ٣

(٦) لسان المشرق مج ٣ السنة ١٩٥٠ العدد ١ الكلمة الاولى ص ٤

(٧) لسان المشرق مج ٤ السنة ١٩٥١ العدد ١ الكلمة الاولى ص ١ - ٢

والواقع ، ان الرسول بطبيعته لا يبغى مغنما ولا مادة . ولا يمكن ان يجتمع الرسالة والمادة فانهما على طرفي نقيض «لا تقدروا ان تعبدوا ربين الله والمال» والرسول يعمل ليؤدي الرسالة لا للأجر «الضرورة موضوعة علي ان ابشر . الويل لي ان لم ابشر» و«ان كنت قد زرعت فيكم الروحيات . أهو كثير علي ان احصد منكم الجسديات؟!»

الرسالة الحقيقية هي التي تفيد الناس : في احد الايام كانت سيارة الاجرة تقلني من الكويت الى الاحدي في دولة الكويت ، ولاحظت الى جانب السائق عددا وفيرا من المجلات الادبية والجرائد اليومية ، فقلت له : يا اخ : يظهر انك تطالع وتقرأ وتتبع ، فاجاب نعم انا اهوى المطالعة واعشق القراءة ، قلت له ثانية بارك الله فيك واكثر من امثالك ان المطالعة تثقف الانسان وتنميه بالفكر والمعرفة . قال لي : محترم ماذا تعني بالثقافة والمثقفين ؟ وبالفكر والمفكرين ؟ واستطرد قائلا : الثقافة ثلاثة انواع نوع يضر ، ونوع ينفع ، ونوع لا يضر ولا ينفع . فالضار هو نقمة على المجتمع ، ويكون وبالا على الانسانية ، (ويا ليت ذلك المثقف لو لم يولد) . واما النافع فهو نعمة للمجتمع لانه «رسالة» وقد لا يكون ذلك المثقف النافع متعمقا في العلوم ، واقل ثقافة من ذلك الضار ، ولكنه هو المثقف الحقيقي ، وهو رجل الفكر المعول عليه لانه جاء يحمل للمجتمع البشري «رسالة» . وقد اعجبت بهذا التعليل الرائع والاسلوب الفلسفي الرفيع والواقعي وتذكرت اللقاء الطويل الذي كان قد جرى لي مع المرحوم الدكتور احمد زكي رئيس تحرير مجلة العربي الكويتية وردّه على سؤال وجهته اليه في حينه : من اي المصادر تستمد مادتك عند كتابتك افتتاحيات العربي ؟ اجاب من المجتمع وليس من الكتب ، لاني اذا اعتمد على الكتب اكون قد قمت بعملية اجترار فقط ورجعت الى الوراء ، ولم اقدم للقارىء لا جديدا ولا مفيدا ، وأما هذا المجتمع اجد فيه كل جديد ومفيد .

والواقع ان المثقف النافع والمفكر المفيد ، والذي يحمل رسالة هو الذي يستقي مادته من محبة البشر ، وخدمة المجتمع ، والبذل والعطاء من اجل اخيه الانسان .

هؤلاء هم الخالدون لان الفكر عندهم كان رسالة ، وانهم كانوا رسلا .
وان هؤلاء المثقفين يكونون شموعا وشهداء في آن واحد . انهم شموع لانهم
ينرون الدرب امام الناس ليسيروا قدما نحو الحق والحقيقة . وهم شهداء لانهم
يضحون باغلى مالديهم ، وهو حياتهم من اجل الحق والرسالة ، والانسانية .

واما النوع الثالث من المثقفين فهو الذي لا ينتج ضررا ولا يعطي نفعا او
فائدة . وان كثيرين من رجال الفكر والمثقفين برزوا على شاشة الحياة ، وظهروا
على مسرح الفكر ، وربما كانوا موسوعة علوم وجعبة معارف ، ولكن اذ لم يكن
الفكر لديهم مقترنا برسالة فقد زالوا ورحلوا وليس لهم صدى ولا اثرا يذكر .
لانهم لم يضروا ولم يفيدوا وكأن وجودهم وعدمه سيات .

العطاء السخي : كان المطران بولس سخيا بالعطاء ، وكان معينا لا ينضب ، واذا
ماحدث ان قصر فذلك «لم يرد ان يعمل آية واحدة بينهم لقلّة ايمانهم» اسمعه
يقول «لم نستطع ان نقوم باي تجديد او تحسين من حيث وضعها العام - المجلة - لا
لضالة البضاعة الادبية ولا لبخلنا على قارئنا الكريم»^(٨)

علمنا من مجريات تاريخ حياته انه مرّ بفترة حالكة قائمة سوداء من الايام
والظروف ، والتي حاولت ان تشل حركته الادبية والفكرية وتوقف تدفق العطاء
فيه غير انها لم تفلح ، بل ظل يتدفق فكرا وعطاء بدون توقف .

اجل ان الايام حاولت اخفات «الصوت الصارخ» ولكن البوق ازداد
صراخا «ان سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ» .

الرسالة معاناة : لا يمكن ان تكون الرسالة رسالة مالم تكن مقترنة بالمعاناة ، ومن
لا يعاني لا يمكن ان يكون رسولا .

من يتبع افتتاحيات مجلتي المشرق ، ولسان المشرق ، يجد المطران بولس
يتشكى كثيرا ممايعانيه ويقاسيه في سبيل اداء هذه الرسالة الفكرية . ويطلق على

(٨) لسان المشرق مجلد ٣ السنة ١٩٥٠ العدد ١ الافتاحية ص ١

ذلك صفات واستعارات متعددة - مصاعب جمة - اتعاب - آلام مبرحة - عواصف هوجاء - لجج البحر الخضم - ظروف قاسية - اشواك واحساك - الطريق الوعر والخطر الشاق - الغيوم السوداء - عوائق - مرحلة شاقة - امواج صاخبة - لججا مجنونة - الخ . ولكثرة الشكوى المرة التي كان يطلقها قال : «قد اتهم بالتشاؤم»

مواجهة المصاعب واستمداد اللذة من الالم والمعاناة : الى جانب شكواه من المعاناة ، فهو في الوقت ذاته لا يظهر بمظهر الجبان الرعديد فهو اولا : يجابه ما اعترضته من مصاعب بقوة وشجاعة . ثانيا : يستمد من المعاناة والمواجهة لذة . يقول «لنا قوة تهزأ بالآلام والعواصف» و«ان المصاعب سلم للصعود الى الذروة السامقة من النجاح ، واننا فائزون لاننا ادينا واجبا مقدساً» .

واليك بعض ما كتبه حيث يبدو فيها قويا جبارا ازاء المحن والشدائد ، وكيف انه يستمد اللذة من خلال ذلك .

«ان الشعلة الصغيرة لا تخشى الزوابع والاعاصير والا لما خرجت امام وجه الحياة ، فهي تجاهد وتجادل وتحارب الظلمات الدامسة مادام فيها قوة على الحياة ، وتبقى متألفة ساطعة مهما تكاثرت الزوابع ، وتراكت الاعاصير ، بل انما تشعر بقوتها وجبروتها كلما قامت حولها هذه الزوابع والاعاصير ، وتعلم انها خلقت لا لكي تبقى في خبائها بل لتخرج امام الظلام وتبدده عن الذين يحيطون بها» «والزهرة الصغيرة لا تخشى الثلج والصقيع . مازالت تحوز قوة الايناع والازهار ، والا لضلت في كمها محجوبة عن اشعة الشمس ، قابعة في امن وطمأنينة ، ولكنها رغم معرفتها ان الثلوج ستراكم حولها ، وان الصقيع يحاول تجميدها ، تخرج رأسها الجميل ، وتنشر في الهواء عطرها ، وتبعث للقريبين والبعيدين عبيرها . «والبلبل الغريد لا يخشى الغربان الناعبة ، مادامت اجنحته قوية وقيثارته سالمة من العيوب ، والا لظل في عشه قابعا على الهشيم الناعم صامتا كئيبا ، ولكنه رغم معرفته ان الجومليء بالغربان ، وهي تملأ الدنيا نعايا وعويلا ، يخرج من عشه رفيع الراس تياه الجبين فيصعد اعالي الشجر وذرى القصور والاسوار ، ويرسل في الجو انغامه العذبة ليبدد كروب الحياة عن ذوي الكروب

والبأساء . . . وكذلك الاديب الحقيقي ، والكاتب اللودعي ، والعالم العامل ، فانه مثل الشعلة والزهرة والبلبل يخرج امام وجه الحياة بقوة جبارة يستمدّها من قلبه ويبعثها من روحه ، فلا تهمه الاعاصير والرياح ، ولا تخيفه الثلوج والزوابع ، ولا ترديه الغربان الناعبة مهما كانت خطيرة وقوية^(٩) لا بل يقرن اللذة بالألم كقول السيد المسيح «طوباكم اذا اضطهدوكم وعيروكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من اجلي كاذبين ، افرحوا وتهللوا» واسمعه يقول «ان الصعاب التي يقاسيها الاديب والصحافي عندنا لا تكاد تحصى ، والجهد الشاق الذي يحتاج غمراته لا يكاد يوصف . ومع ذلك فان للكاتب لذة روحية خاصة في هذا وذاك ، وكلما كان طريقه اكثر صعوبة ، وجهاده اعظم مشقة كانت لذته الروحية ابعد مدى^(١٠) ويقول في مكان آخر «والارواح البشرية بالنسبة الى الآلام والآمال ثلاثة اضرب ، الاول يذوي ويموت ، عند «الصدمة الاولى» والثاني ينازع بعض الوقت ، واذا ما تكاثرت سهام الاعداء لا يلبث ان يهوي صريعاً يتخبط في دمائه على الاديم . . . والثالث ، . هذه هي ارواح العباقره والانبياء والشعراء تكيل للدهر الصاع صاعين او اكثر ، فتلقى سهامه بصدرها وتعيدها اليه حامية دامية ، وماتزال به حتى تنتصر فتتحطم كل الآلام تحت اقدامها الجبارة . . . هذه الارواح تنازع طويلا ولكنها لا تموت لانها اقوى من الدهر واعظم من الحياة وأوسع من الفضاء وأشد صولة من الموت . . هي بكل حق بنت الازل . . بنت الخلود . .^(١١)

المناصرة والظروف المآتية : مما لاشك فيه ان الظروف المآتية ، الهادئة لها تأثيرها الايجابي في حياة الاديب والكاتب ، وبالعكس فان للظروف القاسية لها تأثيرها السلبي في حياة المفكرين ، فان السيد المسيح لم يعمل آية واحدة في المناصرة لسلبية اهلها . يقول المطران بولس بهذا الشأن «ان الكاتب او العالم العامل ليس إلا سراجا بيننا ، ولا يمكن للسراج ان يعطينا النور قويا ومتواصلا إلا اذا ملأناه زيتا نقيا وتعهدهناه بمقادير كافية من الزيت كلما رأينا نوره يتضاءل ، وإلا انطفأ

(٩) لسان المشرق مج ٤ السنة ١٩٥١ العدد ١ الافتتاحية ص ٣ - ٤

(١٠) لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٤٩ العدد ١ الافتتاحية ص ٢

(١١) المشرق مج ١ السنة ١٩٤٧ العددان ٢٠ و ٢١ الافتتاحية ص ٨٨٥

عاجلا أو آجلا وبقينا في ظلماتنا الدامسة^(١٢) ويقول ايضا «سنتان عجفاوان تمران على هذه المجلة الطفلة ، ولم تستطع ان تقوم باي تجديد او تحسين من حيث وضعها العام ولانعدام المناصرين من الوجهتين الادبية والمادية . والكاتب الاديب عندنا غريب عن اهله واطوانه ، غريب عن اصدقائه وخلانه اقسم الشرق ان يذيقه الامرين ويورده حتفه قبل اوانه بزمن طويل ، بينما دخر العالم المتمدن كتابه وادباؤه وشعراؤه ، فتراهم يتلقون المساعدات المادية والمعنوية ترى من حكوماتهم وشعوبهم ، ويرفلون بمكانة سامقة دونها كل مكانة في البلاد . اما عندنا - وياللاسف البليغ - يعيش هؤلاء الافراد بيننا غرباء متعبين مذلين ، وغالبا لا نرى لديهم موضعا يسندون اليه رؤوسهم ، ويتركون هذا العالم وفي قلوبهم الف غصة ، وفي عيونهم الف دمة . . . ثم يشير الى المجلات التي ظهرت في الكنيسة منذ الحرب العالمية الاولى والى الآن ويقول «ولكن اعراضنا عن انعاشها ومعاضدتها كان كفيلا لوأدها في مهدها»^(١٣)

مجال الرسالة

اما مجاله في اداء هذه الرسالة الفكرية المقدسة ، فهو التراث السرياني العريق الخالد ، فقد جال وصال في افاق الآداب الرحبة ، وفي اغوار الفلسفة الضاربة في الاعماق ، وفي بطون التاريخ ، وتناول سائر فروع المعرفة السريانية ، كل ذلك خرج من يراعه بلغة عربية فصحي . يقول «نظهر للقراء مفاتن الادب والفلسفة والتاريخ اغترافا من بحر آدابنا العريقة الواسعة»^(١٤)

فالمطران بولس ، هو احد رسل الفكر في الكنيسة في القرن العشرين ، سار مع قافلة الرواد الأراميين بشموخ ، مرفوع الرأس ، وراء القائد البطريك افرام برصوم .

(١٢) لسان المشرق مج ٤ السنة ١٩٥١ العدد ١ الافتتاحية ص ٢ - ٣

(١٣) لسان المشرق مج ٣ السنة ١٩٥٠ الاعداد ١ ، ٢ ، ٣ ، الافتتاحية ص ١ - ٤

(١٤) لسان المشرق مج ٤ السنة ١٩٥١ العدد ١ الكلمة الاولى ص ٢

هؤلاء جميعا احبوا الكنيسة بكل قواهم وسكبوا ما في قلوبهم ونفوسهم ،
وعقولهم ، في خدمة الثقافة والادب . ووقفوا حياتهم منذ ريعان الصبا لخدمة بيعة
الله المقدسة والذود عنها . وكان حرصهم عليها وعلى تراثها يفوق حدود
الوصف ، اذ ظلوا طوال حياتهم سيوفا مصلية على راس من يناوئ مبادئ هذه
الكنيسة ولغتها السريانية ، وتراثها العظيم ، او من يخط من قدرها او يستصغر من
شأنها . وكقول السروجي

حبلنا فاما ، والكلمة اا مهممة هجته
امعه نعدهم الخجلا هكهم اسحه

لقد كانوا في ردودهم على من حاول تشويه الحقائق لا يعرفون الهوادة ولا
اللين ، جريئين في اعلان ماكانوا يعتقدونه ويؤمنون به حق الايمان .

هنالك كثيرون زاغوا عن الحقيقة ، من الشرق والغرب ، فبعضهم عن
عدم اطلاعهم الكافي على التاريخ السرياني اذ اعتمدوا مصادر خاطئة فكتبوا دون
تعمد او غرض ، وهنالك من غمس ريشته بمداد الحقد البغيض ، وهنالك من
تعمد لغرض .

فالمطران بولس وزملاؤه في الجهاد ، لا ييغون جدال الناس ، ولا يريدون
النزول في حومة النقاش العقيم او الجدل الذي لا طائل تحته ، ولكن لا يتمكنون
من السكوت عن هضم اي حق من حقوق ثقافتنا وكنيستنا . ولا يمكن ان يقفوا
مكتوفي الايدي تجاه من يحاول ان يشوه سمعتنا والخروج عن الحقيقة
والصحيح ..

علينا جميعا ان نلاحق ونتابع ونعرّف الناس بالحقائق هذا هو مجال رسالة
المطران بولس وزملاؤه ورسالة الجميع ، ان ندعو الى تقويم كل انحراف وتضليل
في العقيدة والفكر والادب ، وتبصير المفكرين بما يردهم الى الحق .

والله الموفق .

نختم هذه المقدمة بالنشيد الحبري الخاص بابرشية الموصل ، وهو من نظم
المطران بولس حيث يتغنى بالآباء والاجداد والتراث .

الردة

ما أجمل الانوار في بيعة السريان
غنّت لها الاطيّار فيضا من الالخان

افرام مقدامهم	في جنة الطهر	اغناطيوس بدا	اعجوبة الدهر
يعقوب مشعلهم	في روضة الشعر	بين يديه غدا	عرف من الطهر
سويريوس لهم	صمصامة النصر	هو شعاع الهدى	هو سنى البشر
غريغوريوس لهم	قيثارة الفجر	هو عبر الندى	في البيعة البكر

انوارهم اشرقت	في ظلمة الفجر	صن حبر احبارنا	يا رب للذخر
وريجهم عبقّت	مياسم الزهر	واحفظن مطراننا	لصالح الذكر
قداسة طبقت	مرابض الفخر	يارب صن جمعنا	من محنة الضر
وغيرة احترقت	معالم الشر	واحرس كنيستنا	لابد الدهر



انتم ودا حبر ربنا	حرمهم مدبّرنا
ملكهم ومنهم حرمهم	ملاكتنا ملائكتنا
انتم ودا حرمهم	ملكهم فخرنا
وحنا ملائكتنا	ملكهم ملائكتنا

افاقه العلمية والثقافية

يحتل المطران بولس على ساحة الفكر والثقافة مكانة خاصة متميزة ، فقد برز في كل ميدان ، ونبغ في كل موضوع ، في اللاهوت ، والتاريخ ، والادبين السرياني والعربي ، والفلسفة ، والمنطق وغيرها . جنى الثمار ، وقطف ، وقدم للانسانية في سلال ملأى من جميع انواع الفاكهة . ولدى مطالعة اثاره القلمية نستطيع ان نستنتج مايلي :

اولا : اتقن اللغتين السريانية والعربية ، وتمكن من فنونها ، وبلغ ناصية ادابها ، فترك في كلتا اللغتين بحوثا نظما ونثرا . والم بالافرنسية ، وكان في سني حياته الاخيرة ، سيما بعد عودته من اميركا عام ١٩٥٩ يتكلم ويعط بالانكليزية السهلة .

ثانيا : كان له اطلاع عام على مختلف اضرب المعرفة ، فكتب في معظمها كما سيأتي شرحه ، ولكنه لم يختص بعلم معين ، ولم يحدد موقفه بوضوح في هذا المجال ، او بعبارة اخرى انه لم يتعمق في احدها تعمق اهل الاختصاص ، ولكنه كان خصيب الفكر ، في جميعها لم يشك منه قحطا في فكر او جدبا في معنى .

ثالثا : كان الادب السرياني ، والتراث السرياني اعجب نواحي افاقه العلمية ، فقد اعطى لهذا النوع من الثقافة مالم يعطه لغيره من انواع الثقافة الاخرى ، فقد دخل المعارك واتخذ المواقف كما سيأتي شرحه .

رابعا : ترك ثروة قيمة من البحوث الادبية والدينية والفلسفية والتاريخية تنبىء عن قدرته الفكرية وطاقاته المبدعة ، وتقدر بقيمة كبيرة في ميزان الثقافة العالمية والسريانية . وان هذا ما جعله خالدا في نفوس العلماء الذين يقدرون له هذا الانتاج الفكري الذي يزيد في قيمة الثقافة الشرقية .

خامسا : تجلى استعداداه للكتابة والتأليف بشكل خافت ومتكسر في دير مار متى ، ١٩٢٩ - ١٩٣٨ ثم اخذ يتضح ويشع في لبنان ، زحلة ١٩٣٩ - ١٩٤٥ . غير ان

الايام التي اقام فيها بالموصل ، العراق ١٩٤٥ - ١٩٥٩ كانت من اخصب ايامه هي ايام الانتاج والعطاء المتدفق ، والحصاد الوفير .

سادسا : في سنة ١٩٥١ انعم عليه قداسة البطريك افرام الاول برتبة «ملفان» في الكنيسة على اثر الاطروحة التي رفعها اليه في علم النفس لدى مار سويريوس موسى بن كيفا ٩٠٣+ الفيلسوف . وهذه صورة شهادة الملفنة .

اغناطيوس افرام الاول بطريرك انطاكية

(محل الختم)

شهادة ملفنة

لما امعنا نظر الفحص في مقالة «النفس» التي جمعها ووضعها بالعربية بمثابة اطروحة ، ورفعها الينا ، ابنا الروحي الربان بولس بهنام الراهب القسيس ، وتلميذ مدرستنا الكهنوتية الافرامية ومديرها اليوم ، وذلك اقتباسا واخذا عن ملفان الكنيسة المتبحر ، مار سويريوس موسى ابن كيفا اسقف بارمان والموصل ، ورأينا صحتها وحسن ترتيبها ، خولناه رتبة ملفان في الفلسفة واللاهوت ، باركه الرب ووفقه في صالح الاعمال .

كتب في قلايتنا بحمص

في ١٥ ايلول سنة ١٩٥١ م

وبعد هذا نطرح السؤال التالي : من اين استقى المطران بولس علومه ؟ ومن اين اتته هذه الحكمة وهذا العلم الغزير ؟

ان دراساته الاولى في بلده كما علمت ، وما حصل عليه في دير مار متى كما سبق شرحه ، وما تلقاه في الاكليريكية - لبنان زحلة كما ذكرنا ، كل تلك الدراسات البسيطة لا يمكن ان تبوأه هذه المنزلة العلمية المتميزة ، ولم يكن بمقدورها ان تهيء على ساحة الفكر عالما مثل المطران بولس . اذا الامر غير ذلك .

الحقيقة الثابتة هي انه «قرأ على نفسه» وثقف نفسه بنفسه واما المدارس فلم تكن إلا حافزا . او بعبارة اخرى ، ان ظهر على ساحة الفكر نتيجة استعداداته

ومواهبه قبل ان يتلقى ذلك من معلمه ومعهدده ولا غرو في ذلك ولا عجب ،
فمعظم فحول العلم في كنيسة السريانية قرأوا على انفسهم ، ومن جملتهم العلامة
ابن العبري^(١٥) فهؤلاء كلهم خريجو المكتبات ، والدراسات الخاصة ، والمطالعة
الذاتية .

يقول الاستاذ ابراهيم الخوري في الكلمة التأبينية التي القاها عن الاديب
السرياني الكبير الارخدياقون نعمة الله دنو المتوفى عام ١٩٥١ في حفلة الاربعين
التي اقامتها جمعية الاحسان في كنيسة مار توما بالموصل «سألني المرحوم الاب
انستاس ماري الكرمل في زيارة لي اياه سنة ١٩٢٩ من يكون نعمة الله دنو
السرياني ؟ وما درجة ثقافته ؟ ووزن شهادته ؟ اجبته صفته في نسبه - السرياني -
ودرجة ثقافته ووزن شهادته حياة العلماء هذه كما تحياها ابويتك بين جدران
مكتبك^(١٦)». فالمطران بولس عكف على التحصيل بنفسه مندفعاً بمواهبه ، يقضي
الساعات الطوال دارساً ، منقبا ، باحثاً ، مراجعاً بصبر وجلد عجيبين . ونقدر
ان نقول بان المكونات الفكرية له كانت سريانية وعربية ، بدليل ان عقلية تفتحت
على هاتين الثقافتين الشقيقتين في آن واحد السريانية والعربية ، لغة وادبا .
فمصادره السريانية كانت كتب الآباء السريانيين وبخاصة فرسان الشعر
السرياني ، افرام ، واسحق ، ويعقوب . ثم مؤلفات العلامتين الكبيرتين يعقوب
الرهاوي ، وابن العبري والكتب الفلسفية واللاهوتية للملفانين الشهيرين
الداري ، وابن كيفا والرهاوي المجهول ، والبرطلي الخ .

اما المصادر الفكرية العربية ، فقد وهبه الله ولعا كبيرا بتتبع مؤلفات الشيخ
الرئيس ابن سينا ، والفارابي ، والكندي ، وكل من له صلة بالسريانية امثال
هؤلاء . اصف الى ذلك شغفه بمطالعة الآداب العربية شعرا ونثرا سيما ادباء المهجر
مثل جبران خليل جبران ، والقروي ، وايليا ابوماضي ، ثم مي زيادة . ولا ننسى
اطلاعه الواسع على مجرى الحياة الفلسفية لدى فلاسفة الهند والصين والاغريق
والعرب . فكان في كل ذلك يعد نفسه لان يكون علما من اعلام الثقافة ، ويحمل
راية التراث السرياني على ساحة الفكر .

(١٥) اغناطيوس افرام برصوم : اللؤلؤ المتور - طعة خامسة ، حلب ص ٤٢٠

(١٦) لسان المشرق مج ٤ السنة ١٩٥١ العدد ١ ص ٢

مجلتا المشرق ولسان المشرق

الصحافة في الكنيسة ، حلقة ثقافية جديدة تنضم الى سلسلة الحلقات الثقافية والسريانية ، لا بل لون حضاري آخر يرفع من شأن الكنيسة السريانية وحضارتها العملاقة .

ان اول صحيفة نشأت في كنيستنا كانت «كوكب الشرق» التي انشأها المرحوم الاستاذ نعوم فائق عام ١٩١٠ ثم توالى من بعدها جرائد ومجلات عديدة حتى يومنا هذا ، ومن اكثر تلك المجلات صدًى ثقافيا وفكريا مجلة المشرق .

المشرق : وهي مجلة علمية ادبية اخلاقية مدرسية انشأها الاب بولس بهنام (المطران بولس بعدئذ) مدير المدرسة الاكليريكية الافرامية بالموصل ، مطبوعة بمطبعة محفوظ بالموصل صدر العدد الاول منها في ١ حزيران ١٩٤٦ ، واخذت تصدر مرتين في الشهر لغاية العدد ١٤ ، في ١٦ كانون الاول ١٩٤٦ وكان كل عدد يحتوي على ٤٨ صفحة ، وفي كانون الثاني عام ١٩٤٧ صدر العدد ١٥ في ٤٨ صفحة ثم العددان ١٦ و١٧ معا في شباط في ٨٠ صفحة ومثل ذلك العددان ١٨ و١٩ في آذار والعددان ٢٠ و٢١ في نيسان ثم الاعداد ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ في ايار في ١٠٦ صفحات ، وقد بلغت عدد صفحات المجلد الاول من المشرق ١٠٦٨ صفحة في ٢٤ عددا من ١ حزيران ١٩٤٦ لغاية ايار ١٩٤٧ . ثم العددان ١ و٢ معا في حزيران ١٩٤٧ في ٨٤ صفحة ثم العددان ٣ و٤ في تموز في ٧٢ صفحة جميع صفحات الاعداد الاربعة من المشرق مجلد ٢ ، ١٥٦ صفحة ثم اغلقت لاسباب قاهرة

كان صاحبها ورئيس تحريرها الاب بولس يرى كل سعادته في اصدار هذه المجلة ، لا بل كانت مستودع آماله واحلامه ويحدثنا عما كان يختلج في اعماقه من طموح واحاسيس يقول «وهكذا كانت هذه الصحيفة حلما جميلا في مخيلتي ، وبذرة

صغيرة في نفسي وانا اسقيها منذ عهد طويل افويق روح تمخضت بها اياما وليالي
كما يتمخض الحلك البعيد بالفجر المنير ، وامالي بها تتجمع عند هدف واحد كما
تتجمع الفراشات البيضاء حول زهرة عطرة فواحة ، اما هذا الهدف فهو وحيد
لا يتجزأ وقفت له عقلي وقلبي ويراعي حتى اتوصل اليه - بعون الله - فابلغ غايتي
العذبة من الحياة^(١٧)

ويشخص اهداف المجلة بقوله «اما هذا الهدف الوحيد فهو خدمة الادب
عامة وخدمة ادبنا العزيز خاصة لما لهذه الناحية الاخيرة من المحل الاسمى في نفسي
فسأحمل مشعاله عاليا ، وارسل انواره من هذا «المشرق» مبرزا ارووع ما تمخضت به
نفوس اسلافنا الميامين من مثل عليا ، وتفكير صحيح ، مضيئا الى ذلك ما انتجته
عقول اساطين الشرق في العصور الخالية من خيال عذب ، وعبقرية خلابة وسؤدد
فد ، وشعر ، وفلسفة ، وتفكير ، وسأتحرى في كل مواضيي البلاغة العربية
الراهنة التي مهما مرت عليها السنون تبقى كما هي جدة وطهرا ونقاء»^(١٨)

ويقول نيافة المطران برنابا في تأبينه للمطران بولس «كان (الاب بولس)
يحدثني عن حلم يراوده في اصدار مجلة ، ونتحدث في الاسم الذي يجب ان يطلق
عليها ، ونستعرض عدة اسماء ، واخيرا يروق له اسم جميل طالما تغنى بما فيه من
امجاد وامجاد هو «المشرق»

وكان العلامة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف قد نظم قصيدة بستة ابيات
شعرية يؤرخ بها المشرق ، ويهنئ صاحبها ، وهي

ان الصحائف للبلاد منارة	ترقى بها بين العوالم منزلا
وتبث روح توحد وتعاضد	ليكون في نشر الحضارة موثلا
فالمشرق الغراء قد انشئت	هي شاهد فيها النجاح تكللا
(بهنام بولس) كاهن السريان قد	شحن اليراع على الهدى متوكلا

(١٧) المشرق : مجلد ١ السنة ١٩٤٦ العدد ١ ص ٣

(١٨) المشرق : مجلد ١ السنة ١٩٤٦ العدد ١ ص ٣ - ٤

ندعو له بالنجح في خدماته
وبهاتف التاريخ وافى منشد
ولها تنشر معارف بين الملا
«بالمشرق الممتاز هني (الموصل)»^(١٩)
٩٧ ٣٩٤ ٦٧٣ ٥١٩ ٦٥ ١٩٨

١٩٤٦

لسان المشرق

قلنا ان المشرق اغلقت عام ١٩٤٧ ، وحيث ان شوق الاب بولس الى انشاء مجلة كان يشده فحمل الراية ثانية واصدر مجلة اخرى سماها «لسان المشرق» ثابر على اصدارها بحيوية ونشاط لمدة اكثر من ثلاث سنوات ثم توقفت على اثر رسامته مطرانا لابرشية الموصل عام ١٩٥٢ .

صدر العدد ١ منها في ايلول ١٩٤٨ والعدد ٢ في تشرين الاول والعددان ٣ و ٤ معا في تشرين الثاني وكانون الاول والعدد ٥ في كانون الثاني ١٩٤٩ ثم العددان ٦ و ٧ معا في شباط واذار ثم العددان ٨ و ٩ معا في نيسان وايار . ثم العدد ١٠ في حزيران ١٩٤٩ وبه تنتهي السنة الاولى . وقد ضم العدد المفرد ٤٨ صفحة ، والعددان المزدوجان ٨٠ صفحة .

وصدر العدد ١ من السنة الثانية في تشرين الاول ١٩٤٩ والعدد ٢ في تشرين الثاني ثم العددان ٣ و ٤ معا في كانون الاول وكانون الثاني ١٩٤٩ - ١٩٥٠ ثم العدد ٥ في شباط ثم العددان ٦ و ٧ معا في آذار ونيسان ثم العددان ٨ و ٩ معا في ايار وحزيران ثم الاعداد ١٠ و ١١ و ١٢ معا في تموز وآب وايلول في ١٠٦ صفحات وبذلك تنتهي السنة الثانية . وقد ضم العدد المفرد ٤٠ صفحة والعددان المزدوجان ٨٠ صفحة وبلغت عدد صفحات السنة الثانية ٤٧٤ صفحة وصدرت الاعداد ١ و ٢ و ٣ معا في السنة الثالثة في تشرين الاول وتشرين الثاني وكانون الاول ١٩٥٠ في ٩٦ صفحة ثم الاعداد ٤ و ٥ و ٦ معا في كانون الثاني وشباط وآذار ١٩٥١ في ١١٠ صفحات والعدد ٧ في نيسان في ٤٠ صفحة والاعداد ٨ و ٩

(١٩) المشرق مجلد ١ السنة ١٩٤٦ العدد ١٨ و ١٩ ص ٨٦٣

و ١٠ معا في ايار وحزيران وتموز في ١٢٠ صفحة والعددان ١١ و ١٢ آب وايلول خصصت لموضوع النفس عند موسى بن كيفا وبلغت عدد صفحات المجلد الثالث من ١ - ١٠ : ٣٦٠ صفحة .

وصدر العدد ١ من السنة الرابعة في تشرين الاول ١٩٥١ في ٤٠ صفحة ومثله العدد ٢ في تشرين الثاني والثالث في كانون الاول والعددان ٤ و ٥ معا في كانون الثاني وشباط ١٩٥٢ في ٨٠ صفحة وبلغت عدد صفحات السنة الرابعة ٢٠٠ صفحة من العدد ١ الى ٥

وقد لاقت المجلة سواء المشرق او لسان المشرق مصاعب جمة واتعابا لا تحصى كما يبدو من افتتاحياتها في مطلع كل سنة جديدة ففي افتتاحية السنة الثانية من لسان المشرق يقول «خضنا ميدانا مبطنا بالاعتاب والاشواك ، مغلفا بالصعاب والاحساك ، ولاقت امواج صاخبة وقاومت لججا مجنونة» ثم يستطرد قائلا «ونحن نقدم لمرحلة جديدة شاقة» ويقول في نفس الكلمة «فكم من صحيفة تولد عندنا ، وما ترى نور النهار وظلمة الليل حتى نراها اثرا بعد عين ، لا لشيء إلا لعدم مؤازرتنا لذلك القلب المسكين الذي اخذ على عاتقه سكب دمائه في سطورها . ونضع امامه العراقيل والحواجز» .

وفي افتتاحية السنة الثالثة للسان المشرق يقول «سنتان عجفاوان تمران على هذه المجلة الطفلة» ، ثم يشكو من انعدام المناصرين من الوجهتين الادبية والمالية . الى ان يقول «لم اكتب هذه الكلمات إلا للمصاعب الجمة التي لاقيتها والاقيةا في سبيلي منذ تجردت لانشاء هذه المجلة ، ولأنني ارى نفسي وحيدا في ميدان يعجز عن خوض غمراته اشخاص كثيرون» ثم يستطرد قائلا «لا تظهر صحيفة عندنا الا والمعاول لها بالمرصاد» ثم يستعرض الصحف المالية التي ظهرت منذ نهاية الحرب العالمية الاولى والى الآن ويقول «كلها انتقلت الى جوار ربها غير مأسوف عليها ، بعد ان جاهدت وبذلت من القوى المادية والمعنوية الشيء الكثير ، ولكن إعراضنا عن انتعاشها ومعاضدتها كان كفيلا لوأدها في مهدها» .

وكانت المشرق ولسانها ، قد اخذت كل منها على عاتقها خدمة التراث كما علمنا ، فقد جال قلم رئيس تحريرهما في كل مجالات المعرفة في الادب ،

والفلسفة ، والتاريخ ، والدين ، وتراجم للاعلام من السلف الصالح ، وكل فروع الثقافة السريانية ، وكان ينقل اليها من اللغات الاجنبية كل مايعزز شأن السريانية .

شارك فيها نخبة متميزة من كبار الكتاب ورجال الفكر ، امثال : الربان عبد الاحد توما (البطريك يعقوب بعدئذ) الذي كتب فيها ابحاثا تاريخية ودينية نفيسة ، كمقاله (من هو بطريك انطاكية الشرعي ، وفصول من تاريخ الكنيسة في الهند ، ونسب المسيح واقرباؤه بالجسد وغيرها) . والارخدياقون نعمة الله دنو الاديب السرياني المعروف ، الذي له بحوث في الموسيقى السريانية ، وترجمة الاعلام ومواضيع عديدة تدور حول السريانيات . ومقالات دينية للمطران يوحنا دولباني . وان ننسى لا ننسى ما اقتطفته المجلة من مؤلفات البطريك افرام الاول برصوم من امور دينية وتاريخية ، كالمقالة عن الشهداء الحميريين ، ومدرسة انطاكية اللاهوتية وغيرها . وللدكتور متي اسحق مقالات اجتماعية عديدة ، وقصائد شعر نحو : الكحول الهدامة ، ومن نافذتي وغيرها . اما السيدة ميري عبد الاحد فنقلت فصولا شيقة من الانكليزية الى العربية فيما يخص الحضارة السريانية : لها اثر السريان في الحضارة العالمية ، والدين دليل المدنية . والاستاذ كوركيس عواد الذي رفع من شأن المجلة بقلمه السيال حيث كتب بموضوع خزائن كتب العراق العامة في ايام العباسيين ، ومثله العلامة الاستاذ عيسى اسكندر معلوف . ويليهم ، الاساتذة الاماجد ، والادباء الافاضل : حنا بطرس ، يوسف مسعودي ، شاذل طاقة ، الشماس جرجس القس يوسف (نيافة المطران برنابا حاليا) ، يوسف امين قصير ، حنا رزوقي الصائغ ، ابراهيم الخوري ، احمد نيله ، غانم متي النقاش ، فكتور متي النقاش ، شعبان رجب شهاب ، ذو النون الشهاب ، جورج قذيفة ، موسى رزوقي ، عبد القادر فائق الزبوني ، عبد المسيح افرام ، يوسف القس عبد الاحد ، رياض المعلوف ، وعدد اخر .

اما ما دبجه يراع الاب بولس بهنام فسوف نقف عليه في البحوث القادمة . بقي ان نقول ان المشرق ، لسان المشرق ، من ارقى المجلات التي صدرت في حقل الطائفة ، وفي العالم العربي ، واغزرها مادة . وستظل مرجعا للباحثين ، ومنهلا يغترف منه المعنيون بالتراث السرياني الخالد ، والثقافة الشرقية السامية .

الابحاث الدينية

تناول اباء الكنيسة السريانية الاعلام اسفار الكتاب المقدس ، عبادة ، ودراسة ، وترجمة ، ونقل ، وضبط ، وتنقيح ، وشرح وتفسير ، كما اتجهت عنايتهم واهتمامهم في العلوم الدينية واللاهوتية والعقدية ، فاغنوا بذلك خزائن الشرق والغرب بما خلفوه من مجلدات ضخمة في هذه المواضيع . وكنا قد كتبنا في ذلك شرحا وافيا في كتاب خاص دعونه الكتاب المقدس في كنيسة انطاكية السريانية «طبع في حلب عام ١٩٨٢ ضمن سلسلة الدراسات السريانية التي يصدرها نيافة مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم مطران حلب ، والذي يحمل الرقم «٩» من السلسلة المذكورة .

ان التراث السرياني يزخر بالدراسات الدينية بمختلف فروعها ، وفيها المادة الدسمة التي لا يمكن ان تجدها في اي تراث مسيحي آخر . ومع هذا كله فان «رواد الثقافة السريانية» في القرن العشرين قصروا كثيرا في حقه ، تراهم منصرفين الى دراسة الادب ، والفلسفة ، والتاريخ ، وتركوا فيها بحوثا قيمة ، وبالغة في الالهمية العلمية والفكرية ، اما ما تركوه من دراسات في حقل البحوث الدينية فهو قليل جدا وليس بذي شأن . فالبطريرك افرام برصوم له كتابان مدرسيان فقط وهما ، التحفة الروحية في الصلوات الفرضية ، والزهرة الذكية في التعليم المسيحي ، وله ايضا المناشير البطريركية ، وفصول من سفر اشعيا النبي منقولة من السريانية الى العربية ، من تأليف العلامة ابن صليبي مفسر الكتاب الشهير ١١٧١+ كما نقل الى العربية ايضا بعض الخطب الدينية لبعض ملافنة السريان . ومع كل ذلك فهو اشهر من كتب وانتج في هذا الحقل الديني^(٢٠)

(٢٠) راجع السريان ايمان وحضارة مج ٤ للمؤلف ص ١٨٦

يقول المطران بولس «كان (البطريك افرام) حجة في النظريات اللاهوتية اخذا عن ملافنة الكنيسة السريانية وغيرهم ، والامر الذي نأسف له شديد الاسف انه لم تتح له الفرصة لاجراج مؤلف في هذا المضمار لانصرافه الى النواحي التاريخية بصورة خاصة ، ثم الى النواحي الادارية كبطريك»^(٢١) واذا تحرينا اثار الاخرين غير البطريك افرام ، فلا نجد لديهم ما يلفت النظر . فالبطريك يعقوب الذي خلف لنا اكثر من اربعين مجلدا في العلوم التاريخية لا تجد لديه بحوثا دينية منسقة ومنتظمة ابدا ، له «المواعظ» التي القاها في الكنائس لاشك تخللها معلومات لاهوتية وتفسيرية مفيدة ، مستقاة من التراث الديني .

اما المطران يوحنا دولباني ، فترك لنا بحوثا دينية مستفيضة في الحياة الروحية مصدرها الابحاث المسيحية المعاصرة دون التوغل في عمق تراثنا الديني .

واني شخصا ، مذقواني الرب ، فوضع بين اصابعي قلما متواضعا ، وبعد اطلاعي على الدراسات السريانية المعاصرة ، واحساسي بوجود فراغ كبير في البحوث الدينية التراثية ، فقد حاولت على قدر استطاعتي ، وقابلياتي الضعيفة والمحدودة ، ان اتوجه في هذا الاتجاه الديني وكان حصيلة ذلك الكتب التالية ١ - التعاليم الدينية ٢ - الآله المتجسد (عقيدة ولاهوت) ٣ - تفسير القداس (طقس وعقيدة) ٤ - اسرار الكنيسة السبعة (طقس وعقيدة) بالاشتراك مع سويريوس زكا عيواص (قداسة البطريك حاليا) ٥ - القيامة العامة (لاهوت وعقيدة) ٦ - الكتاب المقدس في الكنيسة السريانية الانطاكية (شامل) ومقالات دينية متنوعة ، في الملائكة ، والابالسة ، والفردوس .

والآن نأتي الى بيت القصيد : ماذا ترك لنا المطران بولس في البحوث الدينية ؟

(٢١) نفحات الخزام للمطران بولس بهنام ص ٥٠

من اثاره القلمية ، كتابان فقط

١ - مبادئ الايمان لكنيسة السريان ، وهو كتاب مدرسي للمبتدئين يقع في ٧٠ صفحة ، يتضمن بعض القصص ، والتعاليم ، من العهدين .

٢ - البنفسجة الذكية : في خلاصة التعاليم المسيحية للعائلات والمدارس الارثوذكسية يقع في ١١٧ صفحة ، ويشتمل على سبعة ابواب وعلى المواضيع الوحي والنبوة ، حقيقة الدين المسيحي ، العهد الجديد ، الاناجيل ، حقيقة الانجيل ، الله ، الملاك ، الانسان ، التجسد والفداء ، الكنيسة واسرارها السبعة ، الصلاة فروضها ، واوقاتها ، الوصايا الالهية والكنسية ، الفضائل والرذائل

تجد في هذا الكتاب بعض الاثر الديني في التراث السرياني سيما في الابواب ٣ ، ٤ ، ٥ ولكن بشكل مبسط وليس بعمق لانه وضع للعائلات والمدارس .

وله ايضا مسرحية دينية تاريخية في «القديسة شموني» سماها الموت في سبيل الايمان نشرت عام ١٩٧٩ تقع في ٤٢ صفحة . وله ايضا تسع مقالات موجزة جدا في مجلة لسان المشرق وهي

- ١ - تعاليم المسيح : الوداعة : لسان المشرق مج ١ السنة ١٩٤٨ العدد ١ ص ٨ - ١٣
- ٢ - حاجتنا الى يقظة روحية : لسان المشرق مج ١ السنة ١٩٤٨ العدد ٢ ص ١ - ٤
- ٣ - درس في الصلاة : لسان المشرق مج ١ السنة ١٩٤٨ العدد ٢ ص ٥ - ٦
- ٤ - القيم الروحية وموقفنا منها : لسان المشرق مج ١ السنة ١٩٤٨ العددان ٣ و ٤ ص ١ - ٤
- ٥ - حبة الخردل : لسان المشرق مج ١ السنة ١٩٤٩ العدد ٥ ص ٤١ - ٤٥
- ٦ - رسالة الصوم : لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٥٠ العدد ٢ ص ١٦١ - ١٦٥
- ٧ - الكتاب المقدس وعقائد الكنيسة : لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٥٠ العددان ٨ و ٩ ص ٣٥٢ - ٣٥٣
- ٨ - الحكمة في سر الاعتراف : لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٥٠ العددان ١٠ - ١٢ ص ٤٢١ - ٤٣٤
- ٩ - الناصري المتألم : لسان المشرق مج ٣ السنة ١٩٥١ العدد ٧ ص ٢٠٩ - ٢١٣

خمس من هذه المقالات هي مواعظ عادية ، موجزة ، والاثنان الاخران تتضمنان دراسة ، فالمقالة التي تحت عنوان «الكتاب المقدس وعقائد الكنيسة» يؤيد فيه ان الكنيسة استمدت كل عقائدها من الكتاب المقدس وتعاليم الرسل الثابتة ،

وماليس من هذين المصدرين لا تقره ، ولا تعترف به كعقيدة ايمانية ، ثم يتناول ثلاثة امور ، التقاليد ، الاعتراف وسلطان الحل والربط ، وذبيحة القداس والاستحالة ، ويؤيد صحتها وحقيقتها استنادا الى الكتاب المقدس ، والبحث هو رد على «بعض المكابرين والمتفلسفين على كنيسة المسيح المقدسة الجامعة الرسولية» على حد قوله .

والواقع ان شرح عقائد مثل هذه تحتاج الى دراسة عميقة ومسهبية اما هو فقد لخصها في خمس صفحات وبأسلوب مبسط لذلك يقول «كان يجب الاسهاب في هذه المواضيع الايمانية» .

اما المقالة التي تحت عنوان «الحكمة في سر الاعتراف» فقد جاء البحث فيها ، ناجحا ، وموفقا ، فيه ابتكار وابداع ، اعتمد فيه على معطيات علم النفس الحديث ، الى جانب الكتاب المقدس هذا بالاضافة الى التقليد الابوي والرسولي في الكنيسة المسيحية السريانية . ويعدّ بكل حق دراسة اكااديمية منهجية .

قسم الموضوع الى ثمانية نقاط ١ - النفس والعمل (خيرا كان ام شرا) متطرقا الى قوى النفس الثلاث ، وعمل كل منها في حياة الانسان ٢ - دخول الخطيئة الى النفس ٣ - الخطيئة والنفس ٤ - الخطيئة والضمير ٥ - عذاب الضمير تجاه الخطيئة ٦ - حاجة الضمير الى التخلص من الخطيئة ٧ - الاعتراف واثره في الضمير ، واثر التشجيع في النفس البائسة ٨ - شعور الضمير بالغفران والقرب من الله .

المطران بولس واعظ مفوّه: (٢٣) : عد الى ما كتبناه عن هذا في الصفحات السابقة ، ثم تتبع مايلي :

كانت مواقفه الخطابية من ابرز مقومات شهرته التي كانت في اتساع وامتداد مذ كان مديرا لمعهد مار افرام الاكليريكي في الموصل . فقد برز خطيبا مفوّهًا ،

(٢٢) ان هذا النوع الثقافي الديني في الادب السرياني لا يسمى موعظة او عظة او واعظا . فان السريان استخدموا كلمتي **مفوّه** (تفسير وايضاح) **هذه** (خطبة - مناداة - بشارة) لهذا الفرع من الثقافة السريانية . وقالوا **هذه** خطيب ، =



في موقف خطابي في كنيسة العذراء - بغداد

ذاع صيته وطبقت شهرته معظم الابريشيات السريانية ، والمحافل الثقافية في البلاد العربية سيما في سورية والعراق والاردن . وقد وافاني الحظ ان استمع الى العديد من خطبه .

كان يمضي يتدفق في الخطابة تدفق ينبوع الصافي ، يتغنى كالبلبل الغريد ، ومن الصفات التي تميز بها انه قادر على الارتجال في اللحظة التي يطلب منه ان يخطب او يعظ . وكان مما خصّ به انه اتّسم بصوت جهوري اخاذ ، وجمال الالقاء ، فصيح البيان ، طلق اللسان ، بارعا ، ساحرا . يضرب على العاطفة التي هي العرق الحساس في الانسان ، يثير لدى سامعيه القيم الجمالية فيخدر نفوسهم للاستماع والانفعال بما يسمعون . لا بل يلعب بالعقول والقلوب معا ، حتى يكاد سامعه ينسى نفسه ويود لو طال وعظه او خطابه .

كان يمزج سمة ادبية فنية الى جانب الفكر الديني ، تشف عن بيان رائع العبارة ، يتسلل الى النفس هينا ليّنا ، يبت فيها «المشهيات» و«المغريات» .

ومن الملاحظ لم يتخلل خطبه او مواعظه الدينية قصص التي تفضي الى عبر ضرورية جدا للخطيب الروحي .

لا يزال كثيرون من ابناء الكنيسة في كل مكان يرنّ صوته في اذانهم ، متذكرين مواقفه الخطابية ، سواء الدينية التي ارتجلت من على منابر الكنائس ، ام الادبية والعلمية التي القيت حيناً ، وارتجلت احيانا من على منابر المحافل والاندية الثقافية . ويتوارثون الاعجاب به .

والآن نأتي الى السؤال المخرج ، اين مواعظه ؟ واين خطبه ؟ واين محاضراته ؟

٥٨٦ **فحص** مفسر وشارح - لذلك يقال «خطبة الاحد» لا موعظة الاحد . اما الوعظ بالسريانية فهو **ܐܘܪܝܢܐ ܕܡܪܝܢܐ** اي نصيح وارشاد . ونحن جريا على المؤلف والمعروف سنستخدم كلمة موعظة وواعظ الخ .
وجد في العصر الرسولي فئة سميت «بالموعوظين» . فاذا كانت الموعظة للموعوظين ، فاليوم الساحة المسيحية خالية من هذه الفئة .

لا نملك شيئاً من ذلك ابداً ، سيما من النوع الديني ما السبب ؟ الاب يوسف سعيد في كتابه يقول «كانت معظم المحاضرات التي القاها ارتجالية ، ولم يكتبها ، او فكر بطبعها ، بنشرها «ص ١٠٢» وانا شخصيا اوافق على هذا التحليل واضيف : ان المطران بولس كان يبرز كخطيب بالشكل الذي وصفناه ، في اللقاء الارتجالي ، اكثر مما يبرز فيه في الكتابة ، والبرهان على ذلك : ان كثيرين كانوا يسجلون بعض مواعظه وخطبه ، ويحفظونها بنصها وفصها ، وعندما كانوا يلقونها او يرتجلونها ، لا نجد لها صدى ، ذا شأن .

اذكر مرة : ان الربان سويريوس حاوا فتح جهاز التسجيل لسمع المطران بولس احدى مواعظه في جمعة الآلام العظيمة ، في كنيسة الطاهرة الداخلية ، وشعرت انه لم يرتاح لسماعه ذلك ، وبالحرف الواحد قال «ماكولزوم ان تحتفظوا بهذه المواعظ» .

بقي ان نقول ان مضمون مواعظه الكنسية الدينية كانت تتضمن ، العقيدة ، والتاريخ ، وجوانب الحياة الروحية ، والتوجيه .



«إن بين الإخفاق والنجاح هوة عظيمة ، ولكنها صنوان ينبثقان من مصدر واحد ويرجعان إلى هدف واحد هو الانسان ، ولا فرق بين جوهرهما لأن كلا منهما نتيجة من نتائج هذه الحياة . أما النجاح فهو معقود لمن يخوض غمرات المجازفات والآلام بشجاعة . والإخفاق فهو نصيب الجبان» .

المطران بولس

الدراسات السريانية

اطلّ المطران بولس على الحركة الفكرية السريانية فرأى استاذهُ البطريك افرام برصوم قد قطع اشواطاً بعيدة بالنجاح والتوفيق في -نقل الثقافة ، وتناول دراسة التراث السرياني من الناحية التاريخية بالتفصيل الدقيق ، والبحث العميق ، وبالتعليق ، والتحقيق . فأجاد وابدع . فاراد المطران بولس ان يمسك بالطرف الآخر من هذه الحركة الفكرية السريانية ، ويلجها من باب جديد ، لا بل شاء ان يجابهها وجها لوجه ، ويتغزل بجماها ، ويتغنى بفتنتها . ويبعث اجود قصائده في حبها .

يقول في بحثه عن نظرية المعرفة لابن العبري «ولئلا ابني على اساس وضعه غيري ، اريد الكلام عن بعض المواضيع الفلسفية التي دبّجها يراعه (ابن العبري) الفذ ، وانتجتها قريحته الخصبة باسلوب جديد هو اسلوب التحليل الفلسفي ، والدرس والمناقشة ، الامور التي لم يطرقها قبلي كاتب من كتابنا ، بل لم نتعود ان نعمل مثل هذه الدراسات لعباقرتنا وفلاسفتنا ، الامر الذي سبقتنا اليه كل الشعوب النابهة»^(٢٣)

والواقع ان كنا نقف عند حد تاريخ الادب ، ونتوانى عن عرض نماذج من هذا الادب وتحليله ونقده نكون قد عطّلنا حركة الثقافة السريانية ، وقضينا على مواهب علماء السريان^(٢٤) .

انطلق المطران بولس من هذه القاعدة ، وتناول دراسة التراث السرياني بالتحليل والنقاش ، وانفرد بهذا دون غيره ، فلم يسبقه احد في هذا المضمار ،

(٢٣) الفلسفة المشائية : للمطران بولس بهنام ص ١١٧

(٢٤) السريان ايمان وحضارة مج ٣ المقدمة

وما جراه انسان في هذا الميدان ، فهو اول من بدأ باستعراض الفكر السرياني ادبا وفلسفة وعلوما بالنقد والتحليل ، ومما جعله ان يحصل على النتائج الرائعة والموفقة ويحقق الفوز في هذا المجال انه انكب على دراسته هذه بعشق اكثر من محبة .

وبعد ان استعرضنا اتجاهاته العلمية في البحث نكون قد توصلنا الى الامور التالية

اولا : لقد جلا المطران بولس الخطوط العريضة لتفكيره الحر ، واعلن بوضوح عن منهجه العلمي في البحث ، وبذلك يظهر على مسرح السريانيات شخصية مستقلة واضحة متميزة ، ويمثل مجهودا كبيرا وصورة من العناية الفائقة بالتراث السرياني ظفر منه ببحوث عديدة سنذكرها في الصفحات القادمة .

ثانيا : احدث في السريانيات منعطفًا جديدًا بالنسبة لتطور العلوم السريانية ، وهذا مكسب جديد حققه للثقافة السريانية من حيث القيمة الحضارية ودفعها خطوات الى الامام .

ثالثا : كان همّه الوحيد وغايته القصوى ان يبرز مافي الفلسفة والادب من مواقف السمو والروحانية المتألقة هذا من جهة ، ومن جهة اخرى اراد ان يضع اعلام السريان في مصاف اعلام المشرق والمغرب ، بعد موازنة بين الحضارة السريانية وغيرها ، وبين مفكري السريان وبين امثالهم في الشرق والغرب .

رابعا : كان نموذجا للكاتب القدير ، والمفكر المقتدر ، وكان قلمه الذرب ، الذائد عن حياض هذا التراث والمدافع عنه في معضلات الامور خامسا : جسّد في كل ذلك «رسالته» في الفكر .

تتناول هذه الدراسات :

- ١ - اللغة السريانية
- ٢ - بحوث في تاريخ الادب السرياني
- ٣ - بحوث في اللغة السريانية
- ٤ - بحوث في نقد الفكر السرياني (دراسة وتحليل)

وتنحصر في النقاط التالية

آ - كلمة عامة محملة

ب. نقد الادب السرياني (دراسة وتحليل)

ج - نقد الفلسفة السريانية (دراسة وتحليل)

د - الكلمة الاخيرة



اللغة السريانية

سكر المطران بولس بمحبة اللغة السريانية حتى الثمالة ، وكان يفاخر بها في كل محاضرة يلقيها ، ويشيد بمحاسنها في كل مناسبة يخطب فيها . وبالرغم من هذا كله فإن انتاجه وكتابته في هذه اللغة هو قليل جدا ان لم أقل لا شيء .

وليس هو وحده فقط بل معظم الذين نبغوا في القرن العشرين باستثناء فيلكسينوس يوحنا دولباني الذي كتب في هذه اللغة كثيراً ، وانتج كتباً عديدة . وكذلك القس يعقوب ساكا والشماس نعيم فائق .

للمطران بولس في السريانية ، قصيدتان ، الأولى بموضوع اللغة السريانية
نظمها على البحر الشامي الوزن الذي هو من استنباط الربان انطون التكريتي
البليغ ، مطلعها :

حمد و نسیم ایدہ اللہ سے دعا
 و ایدہ سے دعا کہ

و کلم و بیما و منتہا نفہی
 و کلم سیکہ لہ حق نفہی

والقصيدة الثانية نقلها عن الإفرنسية عنوانها «مناجاة الطفل» مطلعها :

حسبي ودينه لي
وحيس حتما حدادوه
مريم مديح حب محبته
حلاله وامره

وله بعض أبيات سريانية أخرى ناجى بها روح العلامة ابن العبري ذكرها في كتابه الفلسفة المشائية لم نقف عليها وله أيضاً كتاب مدرسي يحتوي على قصص متنوعة سماه **حكايا** المرشد يقع في ٥٠ صفحة من القطع الوسط .

تاريخ الادب السرياني

الثقافة السريانية : هذا موضوع ادبي تاريخي ، طرقة في اوائل الاربعينات ووضع فيه كتابا يقع في ٢٥٠ صفحة ، بحث فيه عن الثقافة السريانية من كل نواحيها ، الثقافة عامة والثقافة السريانية خاصة ، المدارس السريانية قبل الميلاد وبعد الميلاد وخريجوها ، اللغة السريانية : اسمائها ، قدمها ، انتشارها ، شيوعها في سورية ولبنان ومابين النهرين ، اقتباس العربية تعابير وكلمات سريانية ، لغة اليهود هي اللغة السريانية بعد الميلاد في بابل ونيوى وآثور ، وفي فلسطين ايام المسيح وبعده ، كتابة بعض اسفار العهد القديم بها ، لهجاتها ، سريانية الرسل الاثني عشر ، كتابة انجيل متى بها ، السريانية لغة الكنيسة الاولى وملافتها الاولى ، الآثار الادبية في القرون الثلاثة الاولى ، لهجاتها وفروعها ، واخيرا اللهجة الغربية - درس ونقد وتحليل - وتفضيلها على اللهجة الشرقية ، طرح آراء كل من قليميس يوسف داود في كتابه اللمة الشهية ، وتوما اودو في مقدمة قاموسه «كنز اللغة السريانية» ويعقوب منا في مقدمة قاموسه «دليل الراغبين» والرد عليهم معتمدا بذلك على مصادر موثوق بها ومراجع يركن اليها . نشر بعض هذه البحوث في بعض المجلات والجرائد في سوريا ولبنان ، ثم اعاد نشرها بالكامل في مجلة المشرق باعداد متتابعة بدءا من العدد الرابع من مجلة المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ولغاية العدد ٢٤ حيث به ينتهي المجلد الاول من المجلة ، ثم في العددين ١ و ٢ من المجلد ٢ السنة ١٩٤٧ ، وبصدور العدد الثاني احتجبت المجلة كما سبق شرحه .

المدرسة الاكليريكية الافرامية بالموصل : نشر في مجلة النشرة السريانية الحلبية عام ١٩٤٦ يقع في ٥٢ صفحة .

بحوث لغوية

له بحثان

«تحقيقات تاريخية لغوية» في حقل اللغات السامية - كان البطريرك افرام الاول برصوم ، قد نشر رسالة نفيسة تحت عنوان «الالفاظ السريانية في المعاجم العربية» في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في المجلد ٢٣ الى المجلد ٢٥ عام ١٩٥٠ ، ثم افرد البحث في كتاب وقع في ٣٢٢ صفحة . وهو بحث لغوي احتوى على ٧٥٩ لفظة وضعها على بساط البحث درسا وتحقيقا واصدر ٣٥٢ كلمة منها من اصول سريانية والباقية وهي ٤٠٧ كلمات انزلها من اصول اكدية وعبرية وفارسية ويونانية . فتصدى للطعن بها الاب مرمرجي متعرضا لـ ١٤١ كلمة فرد عليه المطران بولس في كتاب سماه «تحقيقات تاريخية لغوية» في حقل اللغات السامية ، وهو بحث لغوي علمي تاريخي انتقادي حول معجميات عربية - سامية للاب أ . س . مرمرجي .

طبع المطران بولس كتابه في الموصل سنة ١٩٥٣ يقع في ١٠٦ صفحات . تطرق الى مواضيع لغوية عديدة في اللغات السامية منها : قابلية اللغة العربية : حيث يقول «ان العربية تحوز قابليات تمكنها من استساغة كل مادة صالحة مهما كان مصدرها ، وليعد الى مرونتها وبراعتها في تكييف الكلمات الاعجمية وسكبتها في قالبها الخاص» وذلك بدون تطرف بل باسلوب علمي ومنهجي ومنطقي وبدون اي تمحل . ولما كان هذا البحث ردا على المرمرجي ، فهو يجعل منه متطرفا شادا في تأصيل الكلمات ويورد نموذجا من نماذج تمحلته وتطرفاته على مقدرة اللغتين السريانية والعربية في تكييف الكلمات الاعجمية وصبغها بصبغتها ثم تأييدا لنظرية رسالة الالفاظ السريانية في ان الأرامية السريانية اسعفت العربية ببعض مادتها ، وكانت جسرا مرت عليه طائفة اخرى من المواد ، يأتي اولا الى بحث ظهور اللغات

السامية ، ومدى انتشار كل منها ، واثرها بعضها في البعض ، وتغلب هذا الفرع على ذاك ، ثم ينتقل الى دراسة علاقة اللغة الآرامية السريانية باللغات السامية القدمى وانتشارها في جميع انحاء الشرق ، وعلاقتها بالعربية في العصرين الوثني والمسيحي . ويؤكد خلال حديثه ان الآرامية اتصلت بالاكديّة واخذت عنها غير قليل ، لا بل تغلبت الآرامية على الاكديّة اجيالا كثيرة ، وانتشرت . وامست حروفها بعد زمان حروف هجاء لجميع الامم الشرقية . لا بل امست لغة دولية في الشرق زمناً طويلاً . ثم يشير بالبرهان إلى علاقاتها مع اللغات البابلية والاشورية والكنعانية والعبرانية ، ثم يعود ليقارن بين الآرامية والاكديّة ويقول في ذلك : « ان أهم صفة تحوزها اللهجة السريانية الغربية هي اتفاقها مع الاكديّة في ختام جميع المفردات بالضمّة الخفيفة وتسمى بالسريانية «الزقاف» وكثيرا ما تتساوى في اللغتين كلمات لفظا ومعنى» ويورد بعض الامثلة على ذلك .

وقد اورد ١٣٢ كلمة اتفقت فيه السريانية والاكديّة لفظا ومعنى بالكامل دون ان تشاركهما فيه لغة سامية اخرى بهذا الشكل . كما اورد ٦٠ كلمة اتفقت فيه السريانية والاكديّة لفظا ومعنى ولكن بتنقيح يسير ثم يقارن ما بين الآرامية والاكديّة في بعض الالفاظ من حيث الابدال والحركات وغير ذلك .

يختم بحثه باستعراض معظم الكلمات التي تصدى لها الممرجي في اصله من رسالة الالفاظ السريانية ، وهي من مجموعات مختلفة الاصول سامية ، واكديّة ، وسومرية ، ويونانية ، وفارسية وعبرية ، وعربية ، وسريانية ارامية ، مؤيدا اراء صاحب الرسالة ، ومفندا مزاعم الخصم باسلوب علمي محكم ومنطقي .

العلاقات الجوهرية بين اللغتين السريانية والعربية : يقع هذا الكتاب في ٨٠ صفحة نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، والبحث تاريخي ، فني ، لغوي ، ادبي ، وهي محاولة جريئة تضع امورا كثيرة امام الباحثين حول هذه الامور عليهم يتوصلون الى بعض الحقائق التي لم يبت بها الى الآن في هذا الميدان الفسيح .

قبل ان يخوض موضوعه يلقي بعض النظرات الى اللغة السامية الأم ، السامية والساميون لاتصال ذلك ببحثه ، وهنا يطلع علينا بشيء جديد هام ومفيد للغاية : ذلك أن علماء المشرقيات^(٢٥) زعموا أن أول من استعمل مصطلح اللغات السامية هو شلوتسر الالماني عام ١٧٨١ . غير ان المطران بولس يدحض هذا الزعم ، ويؤيد ان هذه التسمية قديمة العهد يرتقي تاريخها الى ما قبل القرن السابع الميلادي . وإن أول من أطلق هذه التسمية هو العالم السرياني يعقوب الرهاوي المتوفى عام ٧٠٨ + .

وجرى علماء السريان على اثر الرهاوي كالمؤرخ السرياني المجهول في القرن الثاني عشر وابن العبري في القرن الثالث عشر .

ولدى حديثه عن موطن الساميين الاصيلي ، يتصدى لآراء الباحثين في هذا المجال جميعا الذين جعلوا ذلك ارض بابل او هضبة ارمينيا او الجزيرة العربية ، مؤيدا رأي المؤرخ السرياني المجهول «ان الموطن الاصيلي للساميين كان يمتد من حدود مصر والبحر الاحمر وشاطئ فينيقية وسورية ، ويشمل بلاد فلسطين

(٢٥) من الشائع ان «الاستشراق» تعني اشتغال غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق وحضاراته وفلسفاته واديانه وروحانياته ، واثّر ذلك في تطور البناء الحضاري للعالم كله .

ان بوادير حركة الاستشراق قد ظهرت في القرن العاشر على يد الراهب الفرنسي «جربير» الذي قصد الاندلس ايام ازدهارها طلبا للعلم سنة ٩٩٩ . وان رهبانا كثيرين قد جاءوا بعده وابتصلوا بالشرق واشتغلوا بدراسة لغاته وحضاراته وقد ساعد بعض الملوك والاباطرة على الاخذ بيد الاستشراق . ويلاحظ ان القرن السابع عشر الميلادي كان مجالا لظهور حركة الاستشراق بشكل جدي . ففي هذا القرن ظهر ادوار بوكوك الانجليزي في جامعة اكسفورد . وجالان الافرنسي ، واوربانيوس الهولندي . وقد كان من هؤلاء العلماء حفنة من الرجال الذين اسدوا الى السريانية خدمات عظيمة بما نشره من مخطوطات قديمة نفيسة كانت حبيسة في المكتبات ، وبما قاموا به من دراسات جديدة في نواح مختلفة من الادب والتاريخ والحضارة والفكر السرياني برمته .

ان اول اوربي اسدى يدا الى السريانية هو الوزير يوحنا البرتوس بيدمانستاديوس النمساوي في القرن السادس عشر . واول مستشرق درسها هو اندراوس ماسيوس في القرن السادس عشر ايضا . واول من عرف فضلها وكنوزها هو القس اوسابيوس رينودوت الفرنسي في القرن السابع عشر راجع اللؤلؤ المنشور ص ٤٧٣ - ٤٧٤ تجد ثبنا باسماء هؤلاء المستشرقين جميعا .

١٣٤ - ١٤٣

وفينيقية وسورية والجزيرة العربية ، وما بين النهرين وآثور وارض شنعار وبابل وحدود فارس وما يحيط بها واهند الغربية وما إليها». ويعتبر «سهل شنعار» ينبوع الاصيل لتدفق هذه السيول البشرية الجارفة . وبالرغم من ذلك يقول «نحن لا ندعي ان هذا الرأي هو القول الفصل في هذه القضية التاريخية الهامة ، بل نقول انه تعديل للآراء السابقة المتناقضة ولا سيما ان لنا اسنادا تاريخية واجتماعية تؤيده» .

وقبل ان يلج الموضوع الذي يطرحه يتحدث ايضا عن العرب والآراميين ويعتقد ان معنى اللفظتين جاءتا عن طبيعة الارض الجديدة التي نزع اليها كل من الفريقين . فالفريق السامي الذي نزع الى السهول والفيافي سمي «عربا» او سكان الصحراء والبيداء . والفريق الثاني الذي نزع الى الهضاب سمي «آراميين» اي الارض المرتفعة . ثم يستطرد قائلا «واقدم اثر لسكان الصحراء في الآثار المسماة ورد في عهد شلمناصر الثالث ملك آشور ، وسمي فيه اولئك الصحراويون بالعرب وذلك في اواسط القرن التاسع قبل الميلاد ، ثم اخذ اسم العرب يتردد بعدئذ الى ان يقول «ومع هذا لا يعلم العهد الذي استعملت فيه كلمة العرب دلالة على القومية او العنصرية اللغوية ، والذي عول عليه كثيرون من المؤرخين ان ذلك عرف منذ الجاهلية حيث سميت الجزيرة باسم «جزيرة العرب» .

وعن الآراميين يقول «واما الآراميون فعرفهم التاريخ منذ منتصف الالف الثاني قبل الميلاد ، وشاع اسمهم في المصادر المسماة منذ عهد تغلاثلاصر الاول ملك اشور سنة ١١٠٠ ق . م ، ثم اخذ يتوارد اسم آرام والآراميين في المراجع الاثرية التاريخية» ويستطرد قائلا : «ان عدم ذكر العرب الى اواسط القرن التاسع لا يدل على عدم وجودهم كأمة سارحة في بيئاتها ، ولأن انعزالهم في تلك البيداء البعيدة ادى الى تأخر ذكرهم في المصادر المسماة وغيرها» . ثم يؤيد وجود العرب موازيا للآراميين . وفي حديثه عن نشوء اللغتين الآرامية والعربية يؤيد وجود العرب ولغتهم وحضارتهم في الالف الثاني ق . م ، ويشير الى ان اللغة العربية احتفظت بعناصر اللغة السامية الاصلية دون اخواتها الساميات ، والى تعاون اللغتين الآرامية والعربية منذ العصور الغابرة ، وعن تكون اللهجات العديدة

بهما . وبعد هذه المقدمة الرائعة يتناول موضوعه باقسامه الكبرى اي العلاقات بين العربية والآرامية تاريخيا ، وفنيا ، ولغويا ، وادبيا . باسلوب علمي منهجي مقنع ، شيق ، ظريف ، ويعتبر هذا البحث مرجعا هاما في هذا الميدان ، حيث حاز المطران بولس قصب السبق على كل من طرق هذا الموضوع .

(٤)

الفكر السرياني

ادب ، فلسفة

• تعريب • دراسة • تحليل •

النقد الادبي

- آ -

كلمة عامة مجملة

عرّف العلماء والمفكرون النقد الادبي بقولهم «هو تحليل النصوص الادبية وتقدير مالها من قيمة فنية»^(٢٦) وهذا التعريف الاصطلاحي لم يؤخذ به إلا منذ العصر العباسي ، اما قبل ذلك فكان يستخدم «النقد» بمعنى الذم والاستهجان .

وميدان النقد من الميادين التي اتجهت اليها عناية الدارسين في العصر الحديث ، وهو بصفة عامة ميدان ذوق الادب وتحليل نصوصه ، وابراز ما فيه من فن وجمال .

والنقد الادبي له وجهان ، الفكر اولا ، واللغة ثانيا ، ذلك ان الفكر واللغة صنوان لا يفترقان ، وقد ابداع من قال «عندما نقرأ نترنم» .

(٢٦) دكتور شوقي ضيف : النقد ص ٨

ان التحليل الدقيق في النقد يتمثل في ايراد امثلة ونماذج من الفكر واللغة ثم يتبعها محلاً ومقارنا بينها وبين غيرها ، والقارىء هو الذي يميز ويحكم . اجل ان القارىء هو الذي يحكم ويميز ، ذلك ان النص يقع بين قطبين اولهما المبدع وثانيهما القارىء او السامع (المتلقي) ، وهذا الاخير مهما كان شأنه فانه يقف من الاول موقف الناقد ، وهو الذي يحكم على ابداعه سلبي ام ايجابا ، وهو الرائي الذي تراز به بلاغة النص ومدى صدقها وتأثيرها ، لانه لا فائدة يجنيها المبدع اذا زعم ان نصّه بليغ ثم لم يعترف له القطب الآخر بذلك . وكثير هم الشعراء الذين يزعمون لانفسهم ما يزعمون ثم لا يكثر بهم احد لا بشعرهم ولا بمزاعمهم ، لان الابداع لا يكون بمجرد الزعم بل بالقبول له والتمكين والتأثر به ، والانفعال له من قبل القطب الثاني المتلقي للابداع .^(٢٧)

لدى مقارنة الفكر السرياني مع غيره نجد ان هذا الفكر ضارب في اعماق المجد والعبقرية ، ومثل دورا حضاريا متميزا . وهو مقياس ثابت لابعاد الذكاء لدى علماء السريانية .

ان المتبع لهذا الفكر يجد انه حوى من حقائق روحية حاسمة ما يبهر العقل . وسجل نتائج ادبية هامة تلفت النظر . فاننا نسمع صدى هذا الفكر في روائع عطاءات الفكر العالمي ، فمثلا ان قصيدة «الفردوس المفقود» تلك الملحمة الخالدة للشاعر الانكليزي الضير ملتون التي وضعت عام ١٦٤٢ ليست إلا صدى لقصيدة سريانية وضعها شاعر سرياني يدعى اسحق الأمدى في القرن الخامس المسيحي سماها «الحلم الذي رآه آدم عن الفردوس» واول من كشف النقاب عن هذا هو المطران بولس لما سيأتي تفصيل ذلك .

ونظرية «الانسان عالم صغير» التي طلع بها الى عالم الفكر هرذر الالماني ليست إلا ترديدا لصدى فكرة ولدت في عقلي العالمين السريانيين هما ، المطران يعقوب السروجي في القرن الخامس الميلادي ، والاسقف احودامه في القرن السادس

(٢٧) نهج الاسلام . دمشق العدد ٢٥ المجلد ٧ السنة ١٩٨٦ ص ٥٢ مقال : بلاغة النص بين الذاتية والموضوعية : بقلم الاستاذ عبد الله نبهان .

الميلادي . وقد اشار اليها فيلسوف العرب الكندي حيث جاء في رسالته في حدود الاشياء ورسومها ما يلي «ان في العالم تدبيرا اشبه بتدبير النفس للبدن وهذه العلة سمى الحكماء «الانسان العالم الاصغر» وفي رسالته الى احمد بن المعتصم يقول «سمى ذوو التمييز من الحكماء القدماء من غير اهل لساننا : الانسان عالما صغيرا . اذ فيه جمع القوى التي هي موجودة في الكل»^(٢٨)

وترى في كتاب «علة كل العلل» للرهابي المجهول في القرن العاشر الميلادي «نظرية الانسان الاعلى» التي اتى بها نيتشه الفيلسوف الالماني الشهير ، مرددا صدى فكرة فيلسوف سرياني هو الرهابي . كما ان مصطلح «اللغات السامية» بالذات هو من ابتكار يعقوب الرهابي المتوفى عام ٧٠٨ ، غير ان العلماء ينسبون ذلك الى شلوتزر الالماني عام ١٧٨١ وقد اوضح ذلك المطران بولس في بحثه العلاقات الجوهرية بين السريانية والعربية كما سبق شرحه .

والسؤال المطروح هو : لماذا لم تعلن هذه الامور حتى اليوم ؟

نجيب : من المعلوم ان الدراسات الحضارية القديمة ، بدأت بشكل موضوعي في منتصف القرن الثامن عشر في فرنسا اولا ثم امتدت الى بعض الاقطار الاوربية الاخرى ، وذلك تحقيقا لرغبة فولتير حين قال «احب ان اعلم الخطوات التي سارها الانسان من الهمجية الى المدنية»^(٢٩) . واشتدت هذه الحركة بعد الثورة الفرنسية ونجد بعد هذا التاريخ في عهد «الاستشراق» كما بينا كتبا عديدة تحوي دراسات شيقة ممتعة مفيدة في الحضارات الانسانية القديمة في مختلف اللغات الاوربية . وكان للدراسات السريانية نصيب كبير فيها ، وذلك عندما عكف المستشرقون على جمع المخطوطات ونشرها ودراساتها واصدار كتب عديدة في هذا الشأن بمختلف اللغات .

(٢٨) رسائل الكندي الفلسفية ص ١٧٣ - ٢٦٠

(٢٩) لقد اتخذ هذا القول ويل ديورانت شعاراً لكتابه الشهير «قصة الحضارة» (كتب أنصفت حضارتنا ، فريد جحا

ص ٢٢ - ٢٥)

لا شك ان المستشرقين اسدوا خدمة علمية انسانية بعملهم هذا ، يتجلى ذلك في حفظ الكثير من التراث السرياني ونشره ودراسته بعمق ، مع الاعجاب . ولكن نجد بعضهم يعمل ذلك مدفوعا بتعصب ديني وسياسي ، متحاملا ، مشوها الحقائق ، ولم يكن بيننا من السريان قبل اوائل هذا القرن من يتصدى لهم ويبصّرهم بخطأهم فقد عشنا اجيالا في قحط فكري ، وجوع ادبي ، حتى ظهرت لدينا الدراسات السريانية في مطلع هذا القرن افتتحها البطريك افرام برصوم^(٣٠) ، ونهج على غرار المطران بولس .

سبق ان قلنا ان البطريك افرام مسك بطرف الفكر السرياني من الناحية التاريخية ، اما المطران بولس يمسك بالطرف الاخر ، هو «النقد» . البطريك افرام طلع على عالم الفكر بكتابه «اللؤلؤ المنشور» وهو ثمرة دراسات طويلة وسنين عديدة قضاه باحثا عن كل ما يتصل بهذا الفن الذي يعني به . حقا انه ثبت كامل للكتب والرسائل التي الفها السريان عن المعرفة ، وقد بحث عن مواده في فهارس المكتبات ومتون الكتب المختلفة العلمية ، وذكر ما وجده منسوبا الى مؤلفه ، وأشار الى ضياع ما ضاع منها ، والمصدر الذي ذكره . وما لايزال موجودا فقد ذكر المواضع التي يوجد فيها ، وهل طبع ام لم يطبع ، وسني طبعه او نسخه . وترجماته الى اللغات ان كان قد ترجم وقيمة كل ذلك ادبيا وفكريا . وبالاختصار انه مكتبة سريانية مفهرسة ومرتبة تاريخيا ، ومجموعة في كتاب يقع في ٥٦٠ صفحة من القطع الكبير ، آخر طبعة صدرت حتى الان هي الخامسة ، طبع في حلب عام ١٩٨٧ حاملا الرقم ١- من سلسلة التراث السرياني لصاحبها المطران يوحنا ابراهيم .

اما المطران بولس فهو اول من تناول الدراسات السريانية «بالنقد» فكرا وفلسفة وادبا ، وتعرض لاستعراض مضمونه ومحتوياته ، واستلهام صورته الفنية والابداعية ، وابرز جماله الأخاذ ، وراح حتى اللحظة الاخيرة من حياته القصيرة معززا هذه الدراسات النقدية منقولة الى لغة الضاد بالدرس والتحليل ساكبا ذلك كله بقوالب منهجية اكااديمية وفي حلة من الفصحى العربية قشبية . باذلا همه

(٣٠) طالع كتاب اللؤلؤ المنشور سيما من ص ٤٧٣ - ٤٨٤

ومجهدا وعناءاً كبيراً في هذا السبيل ، ومظهرها مقدرته الادبية واللغوية ، ومثبتاً انه من فحول رجال الادب . وقد قدّر له ذلك أرباب وحمة الاقلام ومتذوقو الادبين العربي والسرياني . وان دلّ ذلك فيدل اولا على مقدار عشقه للادب السرياني وعلى مبلغ ذوقه في هذا المجال ، وثانياً على مدى محبته لأمه الكنيسة السريانية اذ بذلك قدّم لها خدمة جليلة الامر الذي كان كل هدفه ولبّ رسالته كما قال في احدى مقالاته «يسعدني جدا اني استطعت القيام بخدمة متواضعة للكنيسة التي كرسيت حياتي لخدمتها منذ عهد الصبا ، وذلك بالطريقة التي هداني اليها الرب ، واتخذ من ضعفي بوقاً لاذاعة أمجاد هذه الكنيسة المحبوبة» ويقول في محل آخر «ومنذ تلك الايام (القرن العاشر الميلادي) والادب السرياني محجوب عن الناس رغم ما فيه من النفائس ، ومنذ مدة طويلة ونفسي تحدثني ان انقل كل ما يروق لأبناء عصرنا الى اللغة العربية ، فابرهن على سمو الادب السرياني العذب ، الذي لي الشرف ان اكون احد خدامه الامناء»^(٣١) . ويقول ايضا «اريد ان ادرس هذا الادب درسا دقيقا فاقابل بينه وبين مؤلفات اخرى اريد نقل هذه الفلسفة ومقابلتها بالافكار القديمة والحديثة»

اقتصر المطران بولس في نقده الادبي على الفكر دون اللغة ، وصبّ اهتمامه كله على معطيات الادب والفلسفة ، وكم كان حسنا لو سار النقد الفكري واللغوي جنبا الى جنب . لان الادب الذي ينقل من لغة الى اخرى يفقد موسيقاه واحيانا معناه الصحيح .

اتذكر ان الشاعر اللبناني امين نخلة حدثنا : انه نقل الى الافرنسية قصيدة لمار افرام السرياني ، طبعا من السريانية ، بعنوان «العذراء ام المسيح» فلم يستذوقها الافرنسيون ، ذلك ان الفكرة فقدت بلاغتها وفنها وموسيقاها . يقول لما اردت ان اترجم عبارة **ܡܕܢܚܐ ܕܡܫܝܚܐ** التي لها نغمتها ووقعها بالسريانية ، بينما بالافرنسية لم تعط معنى ملحوظا .

(٣١) المشرق : مج ١ السنة ١٩٤٦ العدد الاول : ص ٢٥-٢٧

اجل ، مهما حاولنا ابراز الفكر السرياني بدون التطرق الى اللغة تكون النتائج غير كاملة ، ذلك ن جمال الادب يتشخص بلغته واسلوبه وتراكيبه شأنه شأن فنون الرسوم والنحت والموسيقى ، لذلك نجد علماء الجمال المعاصرين يفردون في كتبهم صفحات لمناقشة بلاغة الكلام في اطار علم الجمال^(٣٢)

ب

نقد الادب السرياني

(دراسة وتحليل)

قال احدهم «كلمة الشعر اصلها اغريقي ، تعني حائك كلمات موسيقية ، وخالق افكار موسيقية» اما قوله كلمة اغريقية فذلك خطأ ، الشعر ليست اغريقية بل هي كلمة سريانية تعني «نشيد» مأخوذة من لفظة **حمتا حمتا** نشيد الانشاد الذي هو عنوان ، سفر من اسفار العهد القديم ، لذلك يقول العرب عن الذي يقول الشعر : وانشد قائلاً . اما قوله معناها حائك كلمات موسيقية ، وخالق افكار موسيقية ، فذلك هو الصحيح .

والشعر بصورة عامة من الامور الكمالية التي لا تبلغها امة إلا اذا اجتازت شوطا في المرتبة كما شوهد عند اليونان والرومان فان الشعر لم يتحلل لقرائحهم إلا بعدما انضجتها العلوم وشحذتها الحضارة . اما السريان فنظمهم للشعر منذ القرن الرابع الميلادي يستدل منه ما كان لهم من الحضارة ، وما ارتقت اليه لغتهم حتى السمو ، فقد صلوا شعرا وخطبوا شعرا ، وطرخوا الحكمة شعرا ، و زادوا عن حياض المسيحية شعرا .

(٣٢) انظر كتاب الاحساس بالجمال ١٨٩ سانتيانا - ترجمة محمد مصطفى بدوي القاهرة «بحث في عالم الجمال» ٢٦٩
بارتلمي : ترجمة د . انور عبد العزيز القاهرة ١٩٧٠ .

كانت اغراض الشعر السرياني ، دينية ، يتخلل ذلك فنون الشعر الغنائي من وصف جميل ، وخيال مجنح خصب ، وعاطفة جياشة وتصورات رائعة .

يقول المطران بولس «الشعر السرياني ، شعر الروعة والعظمة والجلال ، وروضة تتماوج فيها ازاهير الدين والفضيلة والتقوى ، متأثرة بنسيجات لطيفة هبت عليها من نفوس ، هبطت الى هذه الارض ، شعلا من القداسة والنور ، وارتفعت عنها بعد ان عبت الخافقين بعبيرها المنعش»^(٣٣)

ربما يتهمنا القارىء بالمبالغة في اطراء الادب السرياني وقد يكون على حق لانه لم يتذوق هذا الادب بنصه السرياني فاني لمتأكد اذا ما حذق السريانية ، ودرسه دراسة دقيقة ، فانه لا يكتفي بالمدح والثناء والاطراء بل سيرفعه الى السماء العالية ، حيث يرى فيه عالم الجمال والروعة والفتنة .

قرأ المطران بولس كثيرا من هذه القصائد الشعرية ، والمقالات النثرية وشخص فيها مواطن الجمال والفتنة ، وهو بطبعه انسان مرهف الحس ، متذوق للجمال يعرف مواطنه ويعرف كيف ينقلها وكيف يرسمها

المواضيع الادبية التي اختارها ، وحللها ودرسها هي :

١ - الالياذة والاولدوسية في المراجع السريانية : لسان المشرق مج ١ السنة ١٩٤٩ عدد ٨ - ٩ ص ١٤ - ٢٨ يتناول النقاط التالية :

الالياذة والاولدوسية تُنقلان الى السريانية على يد توفيل الرهاوي عام ٧٨٥ ولكن هذه الترجمة ضاعت ولم يبق منه إلا بيت واحد فقط ، كان اقبال السريان على الادب اليوناني ضئيلا لاحتوائه على الاساطير والخرافات الوثنية ، وجود محتويات ذلك في بعض التواريخ السريانية ، يسمي السريان بدلا من طروادة «ايليون» وهو المكان الذي وقعت فيه احداث الياذة هوميروس .

(٣٣) مجلة لسان المشرق : مج ٣ السنة ١٩٥١ العدد ٤ ، ٥ ، ٦ ص ١-٢

٢ - الفردوس المفقود في الاديان السرياني والانكليزي : لسان المشرق مج ١ السنة

١٩٤٩ عدد ١٠ ص ١ - ٨

من المعروف ان قصيدة الفردوس المفقود تعتبر اروع اثر في ادب اوربا في العصور الوسطى ، والتي نظمها الشاعر الانكليزي الضير ملتون عام ١٦٤٢ غير ان المطران بولس اعادها الى اصول سريانية الى القرن الخامس الميلادي ، حيث نجد الفكرة بحذافيرها في اثار الشاعر الخالد اسحق الأمدى يقول «تمتاز القصيدة السريانية بتفكير مشرق ، وخيال خصب ، وتصوير بارع ، إلا ان ناظمها لم يسمها «الفردوس المفقود» بل سماها «الحلم الذي رآه آدم في الفردوس فقصة لحواء» ويقول ايضا «لسنا ندري كيف تسربت فكرة الشاعر السرياني الى الشاعر الانكليزي ، انما ما نعلمه ان الآداب الغربية منذ مدة طويلة متأثرة بالآداب الشرقية ، نحن وان كنا لا ندعي ان الشاعر ملتون اطلع على قصيدة الشاعر السرياني اسحق ، إلا اننا نقرر ان الآداب الغربية قد اخذت روحيتها الاولى من الآداب الشرقية»

ثم يستطرد يتحدث عن خواص كل من القصيدتين ، ويقارن بينهما ويستنتج ، ويقول «نرى فروقا بين القصيدتين الا انهما تنطلقان من نقطة واحدة ، وتحملان فكرة واحدة ، ثم تلتقيان في نقطة واحدة» .

٣ - القديس سمعان العامودي في اشعار السروجي : لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٥٠

عدد ٨ و ٩ ص ٢٨٧ - ٢٩٩

٤ - ابن العبري الشاعر : لسان المشرق مج ٣ السنة ١٩٥٠ الأعداد ١ و ٢ و ٣ ص

٩٦ - ٥ يتضمن هذا البحث ترجمة حياة العلامة ابن العبري بايجاز . ثم يتحدث عن شعره وشاعريته حيث يستهل قوله «شاعر فلاسفة السريان وفيلسوف شعرائهم» ثم يتطرق إلى وصف ديوانه ومحتوياته وأغراضه الشعرية وهي ١ - المحبة والأخوانيات ٢ - الرثاء ٣ - المدح ٤ - الهجاء ٥ - جمال الطبيعة ٣ - الأخلاق والاجتماع ٧ - النفس البشرية ٨ - الفلسفة ٩ - التصوف ١٠ - العقائد ١١ - الحكمة .

وابن العبري هو اول من تصدى لمعظم هذه الابواب باسلوب جديد
ومبتكر ولدى الحديث عن وصف جمال الطبيعة ، يقول في وصف الشمعة ، وله
اربعة ابيات جميلة جدا في مناجاة شمعته نقلها الى العربية كالآتي :

أيها الشمعة ما هذا الشحوب مادهاك الآن هل عسف الغروب
ليس منك الرأس نارا وحده مثله قلبي على النار يذوب
شمعتي مالي ارى في ذا المساء بسمه الثغر وفي العين البكاء
تمت شهدي حبي ابعدا وبرأسي اشعلوا نار الشقاء

ولدى حديثه عن الحكمة يقول «هام فيلسوفنا ابن العبري بالحكمة منذ
نعومة اظفاره ، وكان يطلبها في الليل والنهار ، واذا تحرينا ديوانه تجد له قصائد
عذبة في هذا المضمار يصفها ويطري جمالها ويجعلها رائدة الحياة برمتها ، بل
يجعل الحياة بدونها قاعا صفصفا والقلب الذي يخلو منها ميتا لا حياة فيه . وكم
رأيناه واقفا ببابها يطرقه لكي تفتح له ، ويتصور نفسه صبا هام بها ، وهي تترفع
فتأبى مقابلته» ثم يعرّب بعض الابيات حول هذا الموضوع ومنها يبدو مبلغ حب
ابن العبري للحكمة :

قد طرقت الباب حتى اشرفت ثم قالت من يبأي طارق ؟
قلت اني ذلك الصبّ الذي في هواك العذب معي مؤرق
فأجابت اي صبّ ياترى كل قلب في هوانا خافق ؟
بين اصحابي شباب قد ذوا وشيوخ في الجوى قد ارمقوا

وبعد هذه المحاوره القصيرة نسمعها تناديه وتضع له الشروط اذا اراد
الاتصال بها فتقول :

يا فتى الاحلام ان تبغ الوصال او تود الحب او تهو الجمال
فاترك الدهر وهيا واستق كوثر الآمال من مائي الزلال
طأطأء الرأس على اعتابنا وافرش الخد على تلك الرمال

ثم ينتقل المطران بولس الى موضوع قصيدته الكبرى المعروفة «بالحكمة الالهية» وهو بيت القصيد من وضعه هذا الكتاب الذي سماه «ابن العبري الشاعر» ويقول «هي الملحمة الوحيدة في الادب السرياني ، بل ان الادب السرياني لم تكتحل عينه بمثلها منذ نشوئه الى اليوم ، وهي التي رفعت صاحبها الى مصاف اعظم شعراء العالم اصحاب الملحمات الشعرية الرائعة» ثم يستطرد قائلا «ظلت هذه الملحمة النادرة بلغتها السريانية ، يحفظها كثيرون من السريان ويتغنون بها في افراحهم ومجالسهم وهي عندهم اشهر من «قفا نبك» في الادب العربي ولم يتصد احد العلماء لتعريبها غير الاستاذ بطرس البستاني الذي عرّب بضعة ابيات منها وتوقف ، ولكنه خرج عن المعنى السرياني خروجاً كبيراً ولم يستطع السير بالتعريب الى نهاية القصيدة لما يكتنف المعرب فيها من العقبات اللغوية والشعرية الكأداء . ومن الصعب جداً ان يخضع الشاعر مهما كان ذا شاعرية واسعة ، الشعر السرياني ويحصره في ابيات من الشعر العربي . ومع علمنا بهذه الصعوبة العظمى لم نشأ ان تبقى هذه القصيدة العصماء بعيدة عن افهام الناشئة والشباب المثقف ، فتجردنا لتعريبها نظماً محافظين جهد الامكان على معانيها واساليبها الشعرية ، ولنا السرور ان نقول لقارئنا الكريم ان الله وفقنا بنقلها الى اللغة العربية نظماً باقل من عشرين يوماً ، ولم نشعر إلا وبين ايدينا ثلاثمائة بيت من الشعر العربي هو تعريب هذه الملحمة الكبرى بحذافيره . وقد حرصنا على ايداء المعنى كل الحرص ، ونقدمها هنا لقراء مجلتنا «لسان المشرق» وغيرهم لنظهر للعالم عبقرية شاعرنا الفيلسوف ، وشاعريته المتوثبة المجنحة ، وقد وضعنا في الحواشي المعاني الكاملة لرموزها ، وهي قصيدة رمزية بالمعنى الصحيح . وهذه الحواشي تفتح طريق رموزها للمطالع المتبع».

ان هذه القصيدة التي سماها «الملحمة الحمراء» والتي نقلها الى العربية نظماً ، احرزت استحساناً منقطع النظير ، واكسبت ناقلها المطران بولس شهرة طائلة ، وارتفعت به الى الذروة العليا من الادب ، واستطاع ان يكتسب بها الخلود . فقد رسم فيها صوراً كثيرة نلمس فيها تفوقاً في المعاني ، وبلاغة في التراكيب والالفاظ ، لا بل هو في تعريب هذه القصيدة «شاعراً مبدعاً»

جاء في كتاب الاب يوسف عن ترجمة حياة المطران بولس قوله «انني (المتكلم هو المطران بولس) اذا انهيت شعرا قصيدة الحكمة الالهية للعلامة ابن العبري ، فاكون قد عقدت اكليلا في راس مؤلفاتي ، وفي بنيان مشاريعي الفكرية»^(٣٤)

والى القارئ بعض ابيات هذه القصيدة «الملحمة الحمراء»

الحكمة الالهية

خطرت والشمس في رآد الضحى	تتوارى خجلا من طهرها
غادة والحسن في أجفانها	وبهاء المجد في منظرها ^(١)
كاعب ، ام ، عجوز ، طفلة	حيرت كل الورى في أمرها ^(٢)
كم رجال قد أصابوا وصلها	لم ينلها واحد في سرها ^(٣)

في محياها عفاف طاهر	واضطرام وعلاوات الجوى ^(٤)
وبها شوق الى الوصل كما	انها تأبى خضوعاً للهوى ^(٥)
وهي تغري بعيون كالتى	قلبها بالحب والشوق اکتوى ^(٦)
ترفع الرأس على أحبابها	وحياء فوق خديها استوى ^(٧)

(٣٤) الاب يوسف سعيد : حياة المطران بولس ص ٥٤ .

(١) الغادة هي الحكمة ، وهذه اوصاف تنفرد بها .

(٢) هي كاعب عذراء ، لانه لم يتوصل أحد الى كنهها ، وهي أم لانها تصدر جميع المعارف ، وهي عجوز لقدمها وسموها ، وهي طفلة بالنسبة الى الذين لم يدركوا شيئاً من معرفتها .

(٣) الرجال ، هم الحكماء الذين أصابوا المعرفة ، ولم يتوصل أحد منهم الى كنه سرها .

(٤) العفاف في محياها يرمز الى غموضها عن الناس ، واضطرام الجوى الى كونها تدعو الناس الى المعرفة .

(٥) بها شوق الى الوصل لانها تريد ان يفهمها جميع الناس ، وتأبى الخضوع للهوى بالنسبة الى الجهال .

(٦) هي تغري ، اي تدعو الناس اليها .

(٧) أحبابها هم الذين أحبوا فانها ترفع الرأس عليهم لانهم لم يصيبوا شيئاً من سرها .

هي تغري ثم تجفو أنفأ ندبة تدني وتمني بالنوى^(٨)
عذبة والسحر في الفاظها ومرار في مجالها ثوى^(٩)
تعشق الصمت وتهوى عزلة وضجيج منها في الجو دوى^(١٠)
حلوۃ النجوى وذی الحاظها كل سهم فاتك فيها انطوى^(١١)

في عياها ضياء ساطع ورسوم من شعاعات النهار^(١٢)
وعلى كتفها ليل دامس راکعاً یجثو یمیناً ویسار^(١٣)
بين جفניה شمس شعشت وبدور ورياح وبحار^(١٤)
وقوى الكون على أقدامها سجدت تبدي خشوعاً ووقار^(١٥)

فوق خديها بروق أومضت والتماع فيه آثار القبل^(١٦)
ولهيب اللثم أبدى هولـه برعود وانفجار في القلل^(١٧)
وعلى صدرها رمان غفا لؤلؤاً عذبا تنهى واكمل^(١٨)
وبدا التفاح في وجنتها مثل مصباح لانوار الامل^(١٩)

(٨) تدعو محبيها ، وتأنف من الجهال وتدني الحكماء ، وتناهى عن الحمقى .

(٩) هي عذبة للذين تذوقوها ، ومرة للذين لم يعرفوها .

(١٠) تهوى الصمت والعزلة ، لأنها في مراض السكون والهدوء تنال وبها ضجيج لدعوة الناس اليها .

(١١) هي حلوة الحديث للذين احبوها . وقاسية على الذين ابتعدوا عنها .

(١٢) أي ان عياها مصدر النور والهدى .

(١٣) الليل كناية عن شعرها ، ومعناه عدم المعرفة بالنسبة للذين بعيدون عنها .

(١٤) الشمس والدور والرياح بين جفניה لأنها هي أوجدتها منذ القدم .

(١٥) كأن الكون كله خاضع للحكمة .

(١٦) القبل كناية عن شغفها بالحكماء .

(١٧) رمز الى غضبها على الذين لا يحبونها .

(١٨) الرمان رمز العلوم والمعارف .

(١٩) التفاح رمز الهدى والنور .

تيممتني بجمال ساحر وتصبت بالهوى قلبي العليل
 واستباني الحب منها ومضى عن عيون النوم والداء وبيل
 حاقني الجوع وأرداني الظمأ عابثاً في مقلتي السهد الطويل
 وبنجوى طيفها الغالي ذوى في فؤادي أمني الزاهي الجميل^(٢٠)

كما نقل الى العربية بعض قصائده الاخرى منها : «المروحة» ونشرها في مجلة
 المشرق : مجلد ١ السنة ١٩٤٦ العدد ٤ ص ١٦١ :

المروحة

ومطلعها :

بين جنحي نسيم الجنة وبانفاسي اريج الزهرة
 فليعانقني أصبحاب الضنى كي اوافيهم بطيب النسمة

٥ - الشعر والفلسفة يتعانقان عند ابن المعدني : لسان المشرق مج ٣ السنة ١٩٥١
 الاعداد ٤ ، ٥ ، ٦ ص ٩٧ - ١١١

٦ - ادب الرسالة عند السريان : نشر قسم من هذا البحث في مجلة السلام -
 البصرة - العراق ، ثم افردته في كتاب خاص المطران يوحنا ابراهيم ضمن
 سلسلة «دراسات سريانية» التي يصدرها بحلب تحمل الرقم (٣) عام ١٩٨٠
 مصدرة بمقدمة . يقع الكتاب في ٦٥ صفحة .

٧ - قصة احيقار^(٣٥) : كان احيقار^(٣٦) مستشار شركينا الثاني ملك اشور ٧٢٢ -
 ٧٠٥ ق . م ثم وزيرا لابنه سنحاريب ٧٠٥ - ٦٧١ ق . م وكان رجل حكمة

(٢٠) معنى هذا المقطع كله شغفه بالحكمة ، وسهره المتواصل على نوالها .

(٣٥) نلخص قصة احيقار كما جاءت في كتاب «دراسات» في التاريخ ، لانيس فريجة ١٩٨٠ ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٣٦) لفظة سريانية **احي** **وامح** اي اخو وقار

ودهاء واقتدار . غير ان احيقار كان حزينا في قلبه لانه لم يرزق ولدا ليرثه وليبقى ذكره حيا بالرغم من انه تزوج ستين^(٣٧) امرأة . فكان يذبح للآلهة ويصلي اليها بحرارة لتمنحه وريثا ، ولكن اوحى اليه ان يكف عن الذبح والدعاء ، لانه لن يرزق ولدا وان يتبنى ابن اخته نادان فيعلمه الحكمة وحسن الاخلاق لكي يحل محله . وهكذا يفعل احيقار . ثم ان القصة هنا تدور حول تربية نادان وتعليمه الحكمة - وعدد التعاليم والارشادات .

عندما شاخ احيقار قدم ابن اخته نادان لملك نينوى وآثور ليكون وزيره ومستشاره . وبعد ان تمكن نادان من بيت خاله وامواله وخدمه وحشمه اخذ يسومهم ضروب العذاب والاضطهاد ، ثم انه اوقع بخاله احيقار وذلك بتزوير رسائل الى ملك فارس وملك مصر يدعوها فيها للتجمع في بقعة نسرين حيث سيسلمها المملكة . ووقع الرسائل بتوقيع احيقار وختمها بخاتمه ، وعندما علم ملك نينوى وآثور بمقدم جنود اعدائه اخبره نادان ان هذه الخيانة ارتكبتها احيقار ، وهاك توقيعه وخاتمه . فامر الملك ان يقطع راس احيقار ، وسلمه الى سيفه ابو سميك ، غير ان هذا السيف كان قد حكم عليه بقطع رأسه ، ولكن احيقار خلصه من الموت . وقد وجد ابو سميك فرصة سانحة ليردّ الجميل باجل منه ، فقطع رأس عبد محكوم عليه بالاعدام واشاع انه كان احيقار . واما احيقار فاخذه وخبأه في دهليز وكان يعتني به .

وحدث ان مرّ الملك بمحنة شديدة ، وواجه مشكلا صعبا جدا ، فاذا به يتذكر احيقار الحكيم الداهية الذي يسهل عليه كل عسير . وفي ساعة من ساعات اليأس التي كانت تنتاب الملك حضر ابو سميك واخبره ان احيقار حي . ففرح الملك وعهد اليه امر محنته ، فانهاها احيقار . فقال له سنحاريب الملك سل ما تشاء . فقال احيقار لست اطلب مالا ولا جاها انما اطلب الى سيدي الملك ان يسلمني نادان . فسلمه اياه فاخذه احيقار الى بيته موثقا وبدأ يؤنبه ويحقّره ويذكره

(٣٧) ان عدد ستين عند البابليين القدماء عدد كامل ، ونظامهم الحسابي كان يقوم على الستين ، وكثيرا ما يستعملون عدد ستين بمعنى الكثرة المطلقة . راجع نشيد الانشاد ٦ : ٨ .

بالحكمة التي علمه اياها صغيرا . وعدد الحكم والامثال التي كان احيقار يتلوها على نادان ٥٤ . فكان نادان يسمع ويتألم الى ان انتفخ وانتفخ ثم انفجر وتقطع جسده اشلاء .

لا شك في ان القصة من الادب الحكمي الوعظي . وهي تدور حول الفكرة التي يتضمنها المثل الآرامي القديم «من حفر حفرة لآخيه وقع فيها» او القول العربي «اتق شر من احسنت اليه» .

لقد وضع المطران بولس حول هذه القصة والحكمة كتاب يقع في ١٨٠ صفحة سماه «احيقار الحكيم» طبع في بغداد ، مطبعة الشعب عام ١٩٧٦ من منشورات مجمع اللغة السريانية بغداد ، وهو بحث حكمي ، ادبي ، تاريخي لغوي ، يتضمن ما جاء في مجلة لسان المشرق مج ٤ السنة ١٩٥٢ العددان ٣ و ٤ ص ١٢١ - ٤٠ ويضيف اليه امورا اخرى ويشتمل اجمالا على الامور التالية : ١ . الحكمة في العهد الاشوري المتوسط ، وظهور امثال احيقار الحكيم ويقول هنا «ان غايتنا الاساسية في هذا المضمار استعراض حكمة احيقار ودراستها طبقا لاول نص وصل الينا منها ، وهو باللغة الآرامية القديمة ، ويمثل بكل حق الحكمة البشرية في العهد الآشوري المتوسط» ، ويستطرد قائلاً : «ترك احيقار حكمة آرامية في القرن الثامن قبل الميلاد ناقلا اياها عن جدوده الاقدمين ومضيفا عناصر جديدة من فكرته الخاصة واختباراته الطويلة في جميع مبادئ الحياة» ثم يردف قائلاً «يعتبر هذا الكتاب في الحكمة اول كتاب من نوعه في تاريخ الحكمة البشرية ولا زلنا نملك هذا الكتاب بلغته الآرامية الاصلية وان طرأت عليه بعض طوارئ العصور المتعاقبة»

بعد هذا يتطرق الى مواضيع هامة آ - ما هي اللغة الاصلية التي كتب بها النص ؟ مؤكدا انها الآرامية ناقضا اراء من قال انها كانت الاشورية او البابلية او الفارسية ب - هل يمكن تعيين تاريخ كتابة هذا الاثر ؟ وهنا يرجح كتابة النص في القرن الخامس ق . م ، ثم يتطرق الى شرح فائدة النصوص المماثلة لآثر احيقار . ٢ . اهتمام علماء الاستشراق بظهور حكمة احيقار الآرامية القديمة ، وهنا يستعرض تحديد الفلسفة لدى الاقدمين «معرفة الاشياء بعقلها القاصية» ثم لدى احيقار وهي

«معرفة الحياة بواقعها» مفضلاً تحديد احيقار ومعللاً اسباب هذه المفاضلة . ٣ . تأثر قصة احيقار وحكمته بادب الحكمة القديمة ، وهنا يقول «ولكي تطلع على مدى تأثر احيقار بالأجيال الماضية ندرسه على مرحلتين - الاولى في قصته وشخصيته^(٣٨) ، والثانية في حكمته وتعاليمه . ثم يسترسل في مقارنة شخصية احيقار وحكمته بشخصيات ابطال الحكمة في العهد السومري والاكدي وحكمهم ، مستعرضاً ما اشتملت عليه حكمة احيقار من مبادئ سامية وتعاليم وآراء ، ناشراً بنودها مادة فمادة ، مشيراً الى اسلوبها الذي يحاكي من بعض الوجوه تعاليم سقراط ويقول «لا نجد لها مثيلاً إلا في امثال سليمان» ثم يقول «عملاً شك فيه ان هذه الحكمة اثرت تأثيراً عميقاً في بعض اسفار العهد القديم الحكيمية التي كتبت بعدها كسفري ابن سيراخ وطوبيا» ثم يشير الى تأثيرها في الحكمة اليونانية وامثال اوسيب ولقيمان الحكيم . ومما يزيد في قيمتها واهميتها انها ترجمت الى اليونانية ثم الى العربية عام ١٨٩٠ ثم الى الانكليزية عام ١٩٢٩ ويختم هنا كلامه بجعل هذه الحكمة «الفلسفة الاولى» واصلاً وينبوعاً لسائر المبادئ الفلسفية .

ان مواد هذه الحكمة تنطرق الى تربية الاولاد ، معاملة العبيد ، حفظ السر وصيانة اللسان ، بين الخير والشر ، والبار والصالح والشرير ، الخصومة والمشاجرة ، عيون الناس وآذانهم ، الكذب والصدق ، الدين ، الغنى والفقر ، حرمة الملك والامانة له ، الامثلة على السنة الحيوانات ، الامثلة على السنة النباتات . ٤ . النص الأرامي القديم لقصة احيقار وحكمته الذي اكتشفته البعثة الاثرية الالمانية في جزيرة الفيلة (مصر) ١٩٠٦ - ١٩٠٧ نقله حرفياً عن ساخو ، وأ . كوالي . ثم تعريب ذلك . ٥ . ترجمة النص السرياني بحسب النص الذي نشره فيلكسينوس يوحنا دولباني مطران ماردين عن مخطوطة كمبردج رقم ٢٠٢٠ وطبعه في مطبعة الحكمة سنة ١٩٦٢ . ٦ . المقابلة بين النصين القديم والحديث مشيراً الى مواطن الاختلاف والاتفاق بينهما . ٧ . تأثير حكمة احيقار في آداب الحكمة العالمية والاسفار المقدسة ، ويعني بآداب الحكمة العالمية ما انشأه الفلاسفة

(٣٨) تحدثنا عن شخصيته في مطلع الكلام عن احيقار

من مبادئ خلقية هامة في العهود اليونانية ثم تسربها الى الآداب الاخرى ، مؤكدا
تأثر حكمة احيقار بالآداب اليونانية . ثم يشير الى تسرب حكمة احيقار الى
الحكمة الدينية اليهودية وعلاقتها بعدة اسفار من العهد القديم ، نحو سفر
ايوب ، المزامير ، الأمثال ، الجامعة ، اشعيا ، ارميا ، يشوع بن سيراخ ،
طوبيا ، ويسهب في تشخيص العلاقة ما بين ابن سيراخ و احيقار ، وعلاقة طوبيا
باحيقار .

ج

الفلسفة السريانية دراسة - تحليل

كلمة عامة : آثرت ان افتتح هذه الكلمة العامة بقول العقاد ليكون منطلقا
للحديث : يقول «ان قوة التفكير تقاس بالقدرة على فهم ما يبتكره الآخرون ، كما
تقاس بالقدرة على ابتكاره . فلا تتهم امة بالعجز عن التفكير اذا استطاعت ان
تفهم مبتكرات الفكر في امة اخرى ، وشعرت بالحاجة الى فهمها وخلقت لها جوا
تروج فيه وتشغل به اذهان ابنائها وبخاصة اذا علمنا ان الابتكار المحض لم يكتب
قط لامة من الامم ولم يعهد قط في ثقافة قومية انها كانت محض ابتكار»^(٣٩)

نستنتج من كلام العقاد ان قوة التفكير تقوم اولا : على القدرة على فهم
ما يبتكره الآخرون . ثانيا : القدرة على الابتكار .

ان فلاسفة السريان جمعوا ما بين الامرين ، لقد اطلعوا على الفلسفات
القديمة سيما الاغريقية واستقوا من مبادئها ، وهضموها ثم انتقلوا الى الابداع
والابتكار ، فطلعوا على عالم الفكر بفلسفة جديدة ، فكانوا اذا قادرين على
التفكير ، ويملكون قوة الفهم ، ومجهزين بطاقات فكرية هائلة .

(٣٩) العقاد - المجموعة الكاملة لمؤلفات عقاد : المجلد رقم ١٠ ص ١٢ ط دار الكتاب اللبناني - بيروت .

ان السريانية قدمت للانسانية كثيرا من العطاء الفلسفي وزخما من الفكر ،
متمثلا في فلاسفتها^(٤٠) ، امثال احودامه مطران المشرق ٥٧٥+ ، سرجيس
الراسعيني ٥٣٦+ ، ساويراسابوخت ٦٦٧+ ، اثناسيوس البلدي ٦٨٦+ ،
يعقوب الرهاوي ٧٠٨+ ، جرجس اسقف العرب ٧٢٥+ ، البطريك
ثاودوسيوس ٨٩٦+ ، موسى بن كيفا ٩٠٣+ ابن صليبي ١١٧١+ ، الرهاوي
المجهول في القرن العاشر ، يعقوب البرطي ١٢٤١= ، ابن العبري ١٢٨٦+ .

لقد ترك الفكر الفلسفي عند هؤلاء بصمات واضحة على تاريخ الفكر
البشري ونال تقدير العلماء شرقيين وغربيين ، ولقي الكثير من العناية والاهتمام
عندهم .

لم يقتصر علماء السريان وفلاسفتهم عن البحث في الفلسفة بمعناها
الاصطلاحي المحدد فحسب ، بل انهم بحثوا في كل المعارف والعلوم الموجودة في
أيامهم . وسبب ذلك أن الفلسفة كانت تشمل العلوم كلها لذلك دعي الفيلسوف
«موسوعة» عالماً بجميع أنواع المعرفة . وتركوا لنا مكتبة كاملة تشمل الفلسفة على
سائر أضرها .

وما نستطيع أن نقوله حول دراسات آبائنا الفلسفية ما يلي :

١ . محاولة التوفيق ما بين الدين والفلسفة ، وقد رأى العديد من فلاسفة السريان أن
الفلسفة تلتقي مع الدين لأن هدفهما مشترك والغاية واحدة وهي البحث عن
الحقيقة لذلك نجد أن ميزتها هي فلسفة توفيقية بين الدين والفلسفة . وقد
يكون أرسطو أهم فيلسوف اتجه اليه السريان ، كما نجد إلى جانب ذلك تياراً
أفلاطونياً يسير إلى جانب الفلسفة الأسطوطالية .

٢ . تسخير الفلسفة لخدمة العقائد اللاهوتية ، حيث درسوها بعقلية دينية
مسيحية^(٤١) ، ذلك هو الهدف الأول والأساسي من هذه الدراسات .

(٤٠) راجع السريان ايمان وحضارة مج ٣ للمؤلف ص ٣٦٧ - ٤٠٨ وكذلك اللؤلؤ المنثور عن تراجمة حياة هؤلاء
الفلاسفة .

(٤١) هذه نفس أهداف الفلسفة العربية الإسلامية ، إنما الفارق هو «الدين فقط» كما أن الفلسفة السريانية تؤيد
الفلسفة العربية الإسلامية من جوانب كثيرة حيث تجد فيها الرضا والطمأنينة والإعجاب .

٣. نبذ كل ما كان مخالفاً للمسيحية والعقيدة ، أي أن الفيلسوف السرياني يحلل فلسفة غيره ويستعرض آراءه بالوقت نفسه يأخذ ما يشاء وينبذ ما يشاء ثم يعرض رأيه ، ومما لا شك فيه أن فلسفة الفيلسوف تظهر وتتضح بالمقارنة بينه وبين غيره من الفلاسفة ، لا بل أن الفلاسفة يواصل بعضهم عمل بعض ، ولا يمكن أن تشرع الفلسفة في الظهور بغير اعتماد على فلسفة سابقة أو معاصرة .

والمطران بولس فيلسوف من أئمة الفلسفة السريانية . كان يحمل روحاً فلسفية وذوقاً للحياة العقلية . تناول الفلسفة السريانية بدراسات مستفيضة أظهر فيها منزلة فلاسفة السريان مقارناً بينهم وبين فلاسفة العرب والإغريق ، مظهراً المواقف التي يشترك فيها الفيلسوف السرياني مع غيره من أولئك الفلاسفة ، كما يشير إلى المواقف التي يخالفونها ، مشخصاً بدقة موقف الفلسفة السريانية التي يعزو إليها بعض الفرائد الفلسفية هي الابتكار والإبداع .

لقد عرف كل دلالات الفلسفة اليونانية القديمة ، وأطلع على آراء أرسطو وعالج مواضيع فلسفية متعددة لأرسطو وأفلاطون ، كما تطرق إلى شرح مواقف فلاسفة العرب كالغزالي وابن رشد وابن سينا ، ووازن بين أولئك الفلاسفة وفلاسفة السريان .

كان يقدم تلك الدراسات مدفوعاً بحرارة إيمانه بالشرق ، والعروبة ، والسريانية ، والتراث . وما كان يميله عليه ضميره وثقافته . ومن يتتبع هذه الدراسات يستدل بسهولة على قدرة المطران بولس على الاستقراء والتحليل .

أما أسلوبه في هذه الدراسات فقد أشار إليها بنفسه عندما قال : «لن أبحث الآن عن مؤلفاته الفلسفية (ابن العبري) وعددها ومواضيعها ، لأن ذلك قد طرقة قبلي كثيرون ، ولئلا أبني على أساس وضعه غيري . أريد الكلام عن بعض المواضيع الفلسفية التي دبّجها يراعه الفذ ، وأنتجتها قريحته المخصبة بأسلوب جديد ، هو أسلوب التحليل الفلسفي ، والدرس والمناقشة الأمور التي لم يطرقها

قبلي كاتب من كتابنا ، بل لم نتعود أن نعمل مثل هذه الدراسات لعباقرتنا وفلاسفتنا ، الأمر الذي سبقتنا إليه كل الشعوب النابهة»^(٤٢) .

والآن نضع أدناه جدولاً يتضمن ثبناً كاملاً لأبحاثه الفلسفية تتخللها بعض الدراسات التحليلية :

١- **الفلسفة المشائية** : بحوث أدبية ، فلسفية ، تاريخية ، اجتماعية ، طبع بمطبعة الحصان بالموصل عام ١٩٥٨ ، يقع في ١٣١ صفحة وهذا الكتاب مؤلف جليل ينطوي على علم غزير وفوائد جمة ، وقد أودع فيه مؤلفه خلاصة فكره الخصب وثقافته العميقة في قضايا فلسفية متنوعة ، يجمعها سلك واحدة من الأسلوب المتين ، والنظر العميق ، والفكر المبدع . يتناول المواضيع التالية :

أ- نظرات في تراث العراق الفلسفي ص ٧ - ٢٣

ب- السياسة في الفلسفة السريانية ص ٢٦ - ٥٢

ج- ينابيع المعرفة عند ابن سينا ص ٥٦ - ٧٥

د- الكيمياء عند علماء الشرق ص ٧٨ - ٨٨

هـ- ابن سينا في الآداب السريانية ص ٩٢ - ١١٣

و- نظرية المعرفة لأبن العبري ص ١١٦ - ١٣١

٢- **الفيلسوف اللاهوتي سويريوس موسى بن كيفا ٩٠٣+** وهو أطروحة في علم النفس قدمها المترجم إلى البطريك أفرام الأول فأحرز بها رتبة «ملفان» في الكنيسة بالفلسفة واللاهوت . طبعت عام ١٩٥١ ، وعوضت لقراء مجلة لسان المشرق عن عددي آب وأيلول ، وقعت في ٨٠ صفحة .

(٤٢) الفلسفة المشائية : للمطران بولس بهنام : ص ١١٦ - ١١٧ .

(آ) كتبت سنة ١٩٥٢ نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في ١ نيسان ١٩٥٨ ص ٢١٣ - ٢٣٧

(ب) القيت في الموسم الثقافي لجمعية المعلمين في الموصل ١٩٥٥ - ١٩٥٦ ونشرت في مجموعة المحاضرات ص ١٧ -

٣٥

(ج) القيت في المهرجان الالفى للشيخ الرئيس ابن سينا في بغداد في اذار ١٩٥٢ ، نشرت في مجلة الكتاب المصرية العدد الخاص بابن سينا

(د) نشرت في مجلة المشرق مج ١ السنة ١٩٤٧

في هذا الكتاب القيم يستعرض المؤلف حياة موسى بن كيفا ، ويصف كتابه في علم النفس الذي وضعه بالسريانية ، ويأتي إلى شرح طريقة المؤلف في البحث ، وأخيراً يشخص منزلته الفلسفية واللاهوتية . بعد ذلك ، ينتقل إلى نطاق بحثه «النفس البشرية العاقلة» وجودها ، آراء الفلاسفة في النفس ومناقشتها ، ماهيتها ، حقيقتها ، قواها ، مفاعيل هذه القوى ، وحدتها ، اتحاد النفس بالجسد ، أصلها ، الذكاء ، واختلاف الناس فيه ، انفصال النفس عن الجسد وبقاؤها حية ، النفس بعد انفصالها تعرف وتشعر وتذكر .

٣. **تعريب كتاب الايثيقون :** وهو فلسفة الآداب الخلقية ، ألفه بالسريانية العلامة ابن العبري ١٢٨٦+ ونقله المترجم إلى العربية ، طبع في مطبعة الشباب بالقامشلي عام ١٩٦٧ صدره المعرب بمقدمة رائعة جداً حول فلسفة التصوف عند السريان ، وقعت المقدمة وحدها في ١٠٠ صفحة ، والكتاب كله في ٤٤٠ صفحة . درس فلسفة التصوف في النقاط التالية :

نشوء التصوف وانتشار الفكرة في الشرق : يتحدث أولاً عن نشوء فلسفة التصوف عند اليونان في القرن الخامس ق . م ، ويشير إلى أهدافها وغاياتها ثم يتحدث عن التعاليم الإنجيلية مورداً بعض الآيات كإنموذج لأساس حياة روحية جديدة . ثم يقارن ما بين التعاليم الإنجيلية والفلسفة اليونانية حيث يقول «إن فلسفة فيثاغورس وفكرة برمنيدس مهما كانتا ساميتين إلا أنهما تقصران عن الوصول إلى هذه الفلسفة الباذخة من التجرد والتسامي عن أوضار المادة . وعليه فالمسيحية فتحت أبواباً جديدة ، وأعطت مفاهيم جديدة لحياة التجرد والنزوع إلى عوالم الروح . ومع ذلك رغب كثيرون من أساطين معلميها استعادة الفلسفة اليونانية وتطبيق المبادئ المسيحية هذه على متونها ، فاستمدوا الفكرة الأفلاطونية الجديدة في الاسكندرية وأضافوا إليها مبادئ فيثاغورس وغيره من الفلاسفة الروحيين . وهكذا كانت فكرة التجرد المطلق فنشأت عنها الفلسفة النسكية أو هي الطريقة «الصوفية» . والمعروف أن السريان بصورة خاصة عنوا بترجمة الفلسفة الخلقية اليونانية وهي حكمة فيثاغورس ، والأفلاطونية الجديدة النازعة إلى التصوف»

ثم ينتقل إلى الحديث عن التصوف في الآداب السريانية وهو بيت القصيد في بحثه .

يجعل من كتاب المنحول ايرثاوس أستاذ ديونيسيوس الأريوفاغي في غضون القرن السادس الميلادي أول أثر سرياني لفلسفة التصوف عند السريان حيث يقول «في هذا الأثر صورة صحيحة للفلسفة اليونانية الصوفية» وبعد أن ينفي نسبة هذا الأثر إلى ايرثاوس يتحدث عن أهميته وسمو قيمته الفكرية بغض النظر عن عقيدته المخالفة للمسيحية ، وعن انتشاره في الكنيسة السريانية عن طريق المتصوفة والنسك . وإعجاب علماء السريان به ، كما يشير إلى تأثير فلاسفة العرب به أمثال ابن سينا ٩٨٠ - ١٠٤٧ والغزالي ١٠٥٩ - ١١١١ يقول «لو جمعنا كل ما جرت به أقلام فلاسفتنا العرب والسريان وعصرناه عصرًا . لما وجدنا بين أيدينا غير هذه العناصر بعينها» ثم يأخذ بإيراد ما ورد فيه من آراء صوفية استناداً إلى النص الذي هذبّه وفسّره العلامة ابن العبري واتخذها أساساً لفلسفته الصوفية .

ينتقل بعد ذلك إلى ذكر كاتب سرياني آخر كان يعيش في القرن العاشر ، وكان اسقفاً للرها ، اعتزل منصبه الأسقفي ، وانفرد في أحد الجبال متنسكاً وألّف كتابه الشهير «علة كل العلل» أورد فيه نفحات صوفية عطرة تتعلق بتعظيم قدر العقل والبحث عن الحقيقة . يستعرض آراءه بالدرس العميق والممتع .

يتحدث عن البطريك يوحنا ابن المعدني ١٢٦٣+ ويتناول قصائده الثلاث التي بلغت ذروة رفاعة في مضمار النسك والمبادئ الروحية الصوفية بالدرس والتحليل . الأولى قصيدة الطير وهي قصة هبوط النفس البشرية من علياء نقائها إلى حضيض المادة ، ثم تصاعدها إلى الملاء الأعلى صحبة نفوس أخرى للقاء ملك السماء ، ثم عودتها إلى الأرض ثانية لإكمال رياضتها الروحية وتضاعدها من جديد إلى موطنها الأول مجلبة بحل القدااسة . والثانية هي الأخرى تدور حول النفس البشرية وقد عارض فيها قصيدة ابن سينا :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

والثالثة هى طرىقة الكاملين وىنتهى بالحدىث عن التصوف لدى ابن العبرى الذى هو بحسب قوله «أعظم كاتب سرىانى فى هذا الموضوع» وقد وضع ابن العبرى كتابىن فى علم التصوف ، الأول كتاب الاىثىقون ، والثانى كتاب الحمامة ، وقد اعتمد فى شرح فلسفة التصوف لدى ابن العبرى ما جاء فى الباب الرابع من كتاب الحمامة ، حىث ىجتاز ثلاث مراحل للتوصل إلى الحقیقة . مرحلة الحس ، ومرحلة العقل ، وكلتا المرحلتىن لم تروىا ظمأه ، وأخيراً مرحلة الروح أو الإیمان المطلق عن طرىق الكشف والإلهام وهذا ما ىسمى «بالفىض» .

ثم ىستعرض بعض قصائده الصوفیة الرائعة أجلها قصیدة فى الكمال ، وملحمته الحکمة الإلهیة . وأخيراً یتحدث عن علاقة ابن العبرى باىرثاوس وابن سىنا .

اشتملت مجلة المشرق ، ثم مجلة لسان المشرق على مواضىع فلسفیة عدیدة وهى :

أ- من أعمق أعماق الحیاة : بحث للشیخ الفیلسوف صاحب كتاب «علة كل العلل» نشر تباعاً فى مجلة المشرق المجلد ١ السنة ١٩٤٦ الأعداد ١ - ١٠ تجمع فى ٦٥ صفحة . وهذا بحث فلسفة فى أدب مستمد من كتاب علة كل العلل لشیخ جلیل ، كان اسقفاً سریانياً فى مدینة الرها فى غضون القرن العاشر المیلادى مجهول الاسم ، ترك رعیته وسكن صومعة بعیدة عن الناس فى جبل ما ، وسكن وحیداً صحبة ثلاثة نساك زاهداً ، ناسكاً . بعد أن ذاق العذاب والهوان من البشر . وهناك وبعد التأمل العمیق فى هذه الحیاة وإعمال فكرة ثاقبة فى حاجة البشر الروحیة ، اتحف الفكر بكتابه علة كل العلل وهذا الكتاب لا ىختص بعصر من العصور ولا بأمة من الأمم ، ولا بدین دون الآخر ، ولا لهذا الجنس دون الآخر ، بل هو للكل . هو منطق المحبة الشاملة لكل البشر .

ثم ىصف المطران بولس هذا الكتاب ومحتویاته ، ومما ىقول : إن أهم المواضىع التى قدّمها هذا الكتاب لأبناء الحیاة هى البحث عن المعرفة الحقیقة

لأن صاحبه لم يستقه إلا من تأملاته الطويلة في الحياة ، ولم يستقطره إلا من عصير قلبه المتألم . ثم يلخص مقدمة الكتاب والتي بدؤها : إلى جميع البشر الذين تحت السماء نعمة وسلام . وتحوي المقدمة خلاصة حياة هذا الأسقف الذي عانى الكثير من بني قومه ، وما مرّ به من حالة نفسية صعبة .

وبعد هذا يتطرق إلى الحقيقة وكيفية البلوغ إليها ، ويشخص الطريق إلى ذلك الذي هو العقل وحده حيث يقول «إنه ينبوع الحقيقة وموجد الكتب ، وخالق الفلسفة والتفكير وهو ذو المواهب الزاخرة ، والقوى الروحية العالية» و«وان يد الله وحدها تستطيع أن تبلغ بالعقل إلى الحقيقة السامية» . - ثم يتطرق إلى مواضيع عديدة للتوصل إلى الهدف ، وهي : بين الحقيقة والكذب ، ثم يصل إلى نظرية «الانسان الأعلى» التي وضعها هذا الفيلسوف قبل عشرة قرون ، يقول «ولكي يحوز المرء درجة «الانسان الأعلى» يجب أن يتوغل أربع درجات ، وفي ذروة الدرجة الرابعة ، يتراءى أمام الحقيقة السامية ، بل أمام الأعلى «انساناً أسمى» وهذه الدرجات الأربع هي أن يفهم فهماً جيداً الأمور التالية : ما هو الكمال ؟ ما هي قيمة الفكر ؟ ما قيمة العمل ؟ ما قيمة الحياة بالنسبة إلى الإنسان ؟ وبعد أن يدرس الانسان ، ونفس الانسان ، وميول النفس وقواها ، ويضع مقابلة ما بين الفيلسوف السرياني في القرن العاشر ، والفيلسوف الألماني نيتشه في القرن التاسع عشر حول نظرية الانسان الأعلى ، ويذكر سمو آراء الشيخ وفائدتها العملية بالنسبة للانسان العام .

ب - بين الفلسفة والدين : نشر في مجلة المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦
الأعداد ١ - ١٠ تجمع في ٦٣ صفحة .

ج - السعادة كما يفهمها ابن سينا : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ عدد ٥
والعدد ٦ تجمع في ١٣ صفحة .

د - خلود النفس عند ابن سينا : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ العدد ٧
والعدد ٨ والعدد ٩ تجمع في ١٥ صفحة .

- هـ - نظرية النفس عند ابن العبري : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٧
العدد ١٥ والعددان ١٨ و ١٩ والعددان ٢٠ و ٢١ والأعداد ٢٢ و ٢٣ و ٢٤
تجمع في ٢٨ صفحة .
- و - التخيل : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٧ الأعداد ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ تجمع
في ١٥ صفحة .
- ز - الارادة بين فلسفتين : المشرق مجلد ٢ السنة ١٩٤٧ العددان ١ و ٢
والعددان ٣ و ٤ تجمع في ١٦ صفحة .
- ح - العمران في الفلسفة العربية : لسان المشرق مجلد ١ السنة ١٩٤٩
العددان ٦ و ٧ تجمع في ١٣ صفحة .
- ط - العقل عند ابن سينا : لسان المشرق مجلد ٢ السنة ١٩٤٩ العدد ١
و ٢ تجمع في عشر صفحات .

أبحاث في العلوم الطبيعية

لم تخلُ الثقافة السريانية من أبحاث علمية ، في الطب ، والفيزيولوجيا ،
والفلك ، والهيئة ، والجغرافيا ، والرياضيات ، والكيمياء (راجع اللؤلؤ المنشور
لمؤلفه البطريك أفرام برصوم ، الطبعة الخامسة - حلب ص ١٦١ - ١٦٦) . فقد
برز علماء كثيرون صنفوا أبحاثاً عديدة في هذه المواضيع كلها .

وقد وجّه المطران بولس بعض اهتمامه إلى هذا النوع من الفكر السرياني ،
ففي مجلة لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٤٩ عدد ١ ص ٢١ - ٢٤ ، والعدد ٢ ص
٤٨ - ٤٩ والعددان ٣ و ٤ ص ١٠٣ - ١٠٤ والعددان ٦ و ٧ ص ٢٤٤ - ٢٤٦
طرق موضوع علم الهيئة عند العلامة ابن العبري في النقاط التالية :

أولاً : يشير إلى المؤلفات التي تركها ابن العربي في هذا العلم وهي ثلاثة كتب : ١ - تفسير كتاب المجسطي لبطليموس ، وهو بحث في علم النجوم ، وحركات الأفلاك . ٢ - الزيج الكبير أي معرفة حركات الكواكب لاستخلاص التقويم السنوي . ٣ - الصعود العقلي ، وهو أكثر كتبه أهمية ، نشر منه المستشرق «غونل» فصلاً في رسم الأرض سنة ١٨٩٠ ونقله إلى الإنكليزية . ويبحث هذا الكتاب عن الشمس والقمر والسيارات ، والأرض ، والأجرام السماوية ، والجزر ، والبحار ، والأنهار ، والظل ، وأقسام الزمان ، بتخلله رسوم وأشكال هندسية كثيرة تظهر مواقع الشمس والقمر والأرض والكواكب .

ثانياً : تعريب مقدمة كتاب الصعود العقلي .

ثالثاً : فصول مختارة من الكتاب نفسه ، مثل كروية السماء ، كروية الأرض والماء ، الفلك الأعلى المحيط بالكون ، الشمس ، ساعات النهار في الأقاليم السبعة الخ .

وعدا ذلك له بحث ممتع عن علوم الكيمياء والفيزياء عند السريان ، طبع ونشر على صفحات مجلة مجمع اللغة السريانية في بغداد ونأسف جداً لعدم تمكننا من استعراض محتويات هذا البحث النفيس لعدم تمكننا من الحصول على المجلة المشار إليها .

سمعت المرحوم المطران بولس مرة يقول : إنه كان ينوي دراسة كتاب الأيام الستة للعلامة مار يعقوب الرهاوي ٧٠٨+ كأطروحة يرفعها إلى البطريك أفرام ، غير أنه استعاض عن ذلك بدراسة الفلسفة النفسية لدى الملفان موسى بن كيفا كما علمنا .

وكتاب الأيام الستة من الكتب المهمة في الدراسات العلمية عند السريان ، يشتمل على مواضيع هامة في الأرض ، السماء ، العناصر الأربعة ، البحار ، الأنهار ، الجبال ، النبات ، الأجرام السماوية ، الحيوان . طبع في هولندا سنة ١٩٨٥ بمساعي يوليوس عيسى جيجك مطران اوربا الوسطى ، ونقله إلى العربية نقلاً جيداً غريغوريوس صليبا شمعون مطران الموصل ، وسوف يتولى طبعه قريباً غريغوريوس يوحنا ابراهيم مطران حلب .

ملحق عام بالدراسات السريانية

للمطران بولس عدا البحوث الأدبية والفلسفية التي سبق الإشارة إليها ، له أيضاً بحوث طريفة أخرى متفرقة ، نوردها هنا للحقيقة والتاريخ .

أ - علم الهيئة عند ابن العبري : لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٤٩ و ١٩٥٠ العدد ١ والعدد ٢ ، والعددان ٣ و ٤ والعددان ٦ و ٧ تجمع في ١٢ صفحة .

ب - من نفائس المخطوطات : تفسير ديونيسيوس الأريوفاغي لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٥٠ الأعداد ١٠ و ١١ و ١٢ ص ٣٩٣ - ٤٠٥

ج - مؤلفو الأزجال عند السريان لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٥٠ الأعداد ١٠ و ١١ و ١٢ ص ٤٠٦ - ٤٢٠

د - تعقيبات تاريخية على كتاب تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى الفتح الإسلامي للدكتورين : مراد كامل ، ومحمد حمدي البكري . لسان المشرق مج ٣ السنة ١٩٥١ الأعداد ٨ و ٩ و ١٠ ص ٢٤٩ - ٢٩٤ اعتمد المؤلفان على مصادر غربية صرفة دون الالتفات إلى ما كتبه المؤلفون الشرقيون بهذا الموضوع ، وبذلك لم يصيبا كبد الحقيقة في نقاط كثيرة ، لذلك وضع المطران بولس مقالاً تحت عنوان «تعقيبات تاريخية» على بحثهما في ٢٤ نقطة وهي : اللغة السريانية ، لهجات اللغة الآرامية ، اللهجة الآرامية ، اللهجة الآرامية في الكتاب المقدس ، لهجة الرها ، السريان والإبداع ، السبي البابلي ، الخطوط السريانية ، مدينة الرها ومملكاتها ولغتها وتنصرها ، انتشار المسيحية ، أفرهاط الحكيم الفارسي ، المسيحية في الهند ، هل قصة أبجر ومراسلته للمسيح أسطورة ؟ أهمية برديسان بالنسبة إلى مسيحية الرها ، موقع باجرمي ، ماروثا الميافرقيني ، هل كان كل المسيحيين الذين في الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام نساطرة ؟ بدعة أوطاخي ونزاهة عقيدة

الكنيسة منها ، مدينة بيروا الأيبرا ، حياة رابولا مطران الرها ، تفضيل الشاعر اسحق على مار أفرام السرياني ، هل كان مار أفرام تلميذاً للثاولوغوس ؟ مار أهودامه مطران المشرق العام ، جبل الفاف ، اليعقوبية واليعاقبة .

الكلمة الأخيرة حول الدراسات السريانية

بالرغم مما قام به المطران بولس من هذا النوع من الدراسات فنحن لا نزال في أول الطريق في هذا المضمار ، وإننا لم نفعل شيئاً حتى الآن ، إنما وقفنا على العتبة ، ونعمل جاهدين لتقدم الفكر السرياني ليواكب حركة الحضارة العالمية ، ولاغناء روح الانسان وقلبه وعقله .

نحن بحاجة ماسة لشخص وجودنا الفكري ولنشير إلى حدودنا في الأدب والفلسفة والتاريخ وفي سائر صنوف المعرفة. أجل أعيد فأقول أن النهوض بهذه الدراسات إن لم أقل معدوم فهو لا يزال بطيئاً وفي خطواته الأولى ، حرّي بنا أن نعززه ، بالوسائل والإمكانات . حتى إن المطران بولس بالذات ، بالرغم ما قدّم للفكر السرياني من خدمات كما علمنا فلم يسدّد ديونه نظراً لما كان يكتنزه من رأس مال .

والكلمة الأخيرة التي لأريد أن أقولها: ويحز في نفسي أن أقول أن حقل الفكر السرياني أدباً وفلسفة قد جفّ بغياب المطران بولس عن ساحة الفكر منذ ١٩ شباط ١٩٦٩ ولم نربعده من يحقق الرغبة ، ويلبي النداء ، ويسدّ النقص .



البحوث التاريخية

كتب في مواضيع تاريخية متعددة كما سترى ، يتسم بعضها بصبغة ادبية فيهب لها دماً جديداً ، ويمد ابحاثه كلها في هذا المجال برعشات وحركات حياتية ، اما العمق التاريخي فهو ليس على مستوى البطريركين افرام برصوم ويعقوب الثالث .

الاديرة والاماكن الاثرية

تاريخ دير مار متى :

تمهيد ، نقاط البحث ، موقعه ، جبله ، مناخه ، تأسيسه ، بدء تاريخه ، كنيسته ، معالمة الباقية ، معالمة التاريخية ، اضرحة القديسين ، مقبرة الرهبان ، الرهبنة ، نشوؤها ، انتقالها الى العراق ، نصيب الدير منها ، قصة القديس مار متى ، اخبار الدير في اربعة قرون ، مكانة دير مار متى في المشرق ، مطارنته ، (لسان المشرق مج ١ السنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ الاعداد من ١ - ١٠ خلا العدد ٥ والمجلد ٢ السنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠ الاعداد من ١ - ١٢ عدا الاعداد ٥ و ٦ و ٧ والمجلد ٣ السنة ١٩٥١ الاعداد من ٤ - ٨ والمجلد ٤ السنة ١٩٥٢ الاعداد من ٢ - ٥ صفحاته تجمع ١٢٠ صفحة

تاريخ دير مار برصوم : تمهيد ، موقعه ، تأسيسه ، ابنيته ، كنوزه ، اقتصادياته ، الرهبانية فيه ، رئاسة الدير ونظامها ، يصبح كرسيا بطريركيا ، مكتبته ، مدرسته ، خريجه ، اشهر رؤسائه في العصور المتأخرة ، مجامعه الكنسية ، الصليبيون ينكبون دير مار برصوم ، نهايته . لسان المشرق مج ٣ السنة ١٩٥١ الاعداد من ٤ - ٦ في ٥٦ صفحة

دير مار دانيال الناسك : لسان المشرق مج ١ عام ١٩٤٩ ع ٥ - ٧ في ١٠ صفحات

دير المعلق - اسكي موصل : لسان المشرق مج ٣ عام ١٩٥١ العدد ٧ .

تاريخ دير مار مرقس : تمهيد ، مسحة البساطة ، دير مار مرقس في التاريخ ، مقر اساقفة اورشليم ، كنيسة العذراء ومار مرقس ، كنيسة مار بهنام ، الدهليز - قاعة بيت مريم ام مرقس ، خزانة الكتب ، وهو نبذة طبعت في القدس عام ١٩٦٢ تقع في ٤١ صفحة

تاريخ طور عبيدين : ألفه بالسريانية البطريرك افرام برصوم ١٩٥٧+ ونقله الى العربية المترجم ، وطبع الاصل السرياني مع النقل العربي عام ١٩٦٣ يقع في ٣٧٤ صفحة .

تكريت في التاريخ : المدينة ، سورها وقلعتها ، فتحها ، منزلتها التاريخية ، كنائسها القديمة ، اديرتها ، نوابغها ، المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ العدد من ١ - ٥ تجمع في ٣١ صفحة

الكنائس القديمة في العراق : تمهيد ، انتشار المسيحية في العراق ، الكنائس الاولى في العراق ، تقليد المشاركة في كنيسة كوشي والنظر التاريخي فيه ، التفريق بين كنائس المشاركة وكنائس المغاربة ، اشهر الكنائس التاريخية القديمة ، اشهر الكنائس القديمة القائمة ، رياضتها وتفسير رموزها ، (لسان المشرق : مج ١ السنة ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ الاعداد من ٢ - ١٠ عدا الخامس تجمع في ٥٠ صفحة

سير العلماء والآباء

خمائل الريحان : او ارثوذكسية مار يعقوب السروجي الملفان ، يقع الكتاب في ١٢٤ صفحة ، طبع عام ١٩٤٩ بالموصل ، وهو رد على الخوري اسحق ارملة الذي جرّد الملفان السروجي من ارثوذكسيته . والحق به رد ثان بكراس يقع في ١٨ صفحة عنوانه «الحق حق رضي الناس ام غضبوا» على كراس الارملة «الحق مبغضة» .

نفحات الخزام : وهو حياة البطريرك افرام : طبع بالموصل عام ١٩٥٩ يقع في ٢٧٥ صفحة . كتب مقدمته اديب المهجر الكبير نظير زيتون

ديوسقوروس الاسكندري : منشورات اسقفية الدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي ، سلسلة التاريخ الكنسي ، سير الآباء (٦) طبع عام ١٩٦٨ يقع في ٢٠٠ صفحة . وهو تحقيقات تاريخية لاهوتية تحليلية ، تتناول ادق فترة في حياة الكنيسة المسيحية .

رواية ثاودورة : مسرحية تاريخية تتناول احداث الكنيسة السريانية في القرن السادس . طبعت عام ١٩٥٦ تقع في ١٥٦ صفحة

الملفان ايوانيس الداري : لسان المشرق السنة ١٩٤٨ العدد ١ و ٢ في ٨ صفحات

اثناسيوس الجمال لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٥٠ ع ٦-٩ في ١٥ صفحة

يوحنا ابن افتونيا لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٥٠ ع ٨-١٢ في ١٦ صفحة

بحوث تاريخية متفرقة

مجمع افسس الثاني المشرق مج ٢ السنة ١٩٤٧ الاعداد من ١ - ٤ في ٣١ صفحة

منديل المسيح في المراجع السريانية لسان المشرق مج ١ السنة ١٩٤٩ الاعداد ٦ - ٧

القاب البطريك الانطاكي لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٥٠ العددان ٣ و ٤ .

رحبوت (لسان المشرق) مج ٣ السنة ١٩٥١ العدد ٧ ص ٢٣٥ - ٢٣٩

اكليروس السريان القدماء وكنائسهم (لسان المشرق مج ٣ السنة ١٩٥١ الاعداد من

٨ - ١٠ ص ٣٠٥ - ٣٣٧

قبائل العراق العربية النصرانية قبل الاسلام : (لسان المشرق مج ١ السنة ١٩٤٨

الاعداد من ٢ - ٩ تجمع في ٥٥ صفحة

١٨٧ - ١٨٠



الادب العربي

. الشعر .

اعجبني قول احد الادباء في الشعر «الشعر تعبير عن احساس بالجمال ، وعن رقة بالعاطفة ، وعن شروء بالخيال» وقول اديب آخر «انه لمن الخطأ الشائع اعتبار الشاعر ناظم قواف فحسب ، انه اكثر من ذلك ، انه حائك كلمات موسيقية» هذا احلى اطار يوضع فيه المطران بولس كشاعر كما سنقف على ذلك .

نادته ربة الشعر ، فلبى نداءها العذب ، وعاهدها على الوفاء لها ، مذ كان في زحلة - لبنان ، الذي يبعث في النفس حبّ الجمال ، والشروء في مسارح الخيال ، بهوائه العليل ، ومائه السلسيل ، وجبله الوقور ، وواديه العميق الصامت ، وسهوله الخضراء ، والورد ، والقرنفل وجميع انواع الزهور .

الى جانب القصائد التي نقلها من السريانية ، والتي سبق ذكرها ودراستها ، فقد دبّج قصائد اخرى متناثرة في مجلته المشرق فلسان المشرق ، والضاد الحلبية ، ومجلات اخرى ، ولدى الاصدقاء ، وعلى الرغم من قلة الشعر الذي تركه بالمقارنة مع اثاره العلمية الاخرى فهو بهذا النزر اليسير من هذا اللون الادبي تبرز شاعريته ويبرهن على طول باعه في هذا الفن ، ومقدرته الادبية ، ويدخل في اطار الشعراء ، وان تاريخ الادب العربي يخلّده ويعطي له بكل جدارة واستحقاق صفة «الشاعر» سيّما في قصيدة الملحمة الحمراء التي نقلها من السريانية كما سبق ، حيث ابدى فيها مقدرة فائقة . وقبل ان نأتي الى تحليل شعره ، والتحدث عن شاعريته ، ندرج هنا القصائد التي توصلنا الى معرفتها وبعضها نشر في مجلته المشرق بتوقيع ، نزيه عثمان ، وزهير سلطان .

١ - ياملاكي : المشرق مجلد ١ السنة ١٩٤٦ العدد ١ ص ٢٧

٢ - تكريت : المشرق مجلد ١ السنة ١٩٤٦ العدد ١ ص ٣٠

- ٣- الطيف المقدس : المشرق مجلد ١ السنة ١٩٤٦ العدد ٢ ص ٨١
- ٤- تحت ضوء القمر : المشرق مجلد ١ السنة ١٩٤٦ العدد ٣ ص ١٢٥
- ٥- الى منشدة : المشرق مجلد ١ السنة ١٩٤٦ العدد ٢ ص ٨٠
- ٦- اليراعة : المشرق مجلد ١ السنة ١٩٤٦ العدد ١٠ ص ٤٤٨
- ٧- الارز : لسان المشرق مجلد ٢ السنة ١٩٥٠ الاعداد ١٠ - ١٢ ص ٣٨٤
- ٨- ذكريات : لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٤٩ العدد ٢ ص ٧٢
- ٩- نقد قصائد ايليا ابو ماضي : (الطلاسم)

آ- البحر لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٤٩ العدد ١ ص ١٧ - ٢١ و العدد ٢ ص ٦٢ - ٦٧ والعددان ٣ و ٤ ص ١٢٩ - ١٣١

ب- الدير : لسان المشرق مجلد ٢ السنة ١٩٥٠ العدد ٥ ص ١٧٦ - ١٨١

ج- المقابر : لسان المشرق . مجلد ٢ السنة ١٩٥١ العددان ٦ و ٧ ص ٢٦٠ - ٢٦٣ هذا وقد سبق الاشارة الى قصائده الاخرى

ملاحظة : الاستاذ الشاعر عبد الله يوركي حلاق ، صاحب مجلة الضاد الحلبية يعدّ كتابا عن المطران بولس «كشاعر» سوف يتناول قصائده بالدراسة العميقة ، وبأسلوبه الادبي الرائع ، ولغته المتينة . والاستاذ عبد الله كان من اعز اصدقاء المطران بولس . علماً ان المطران بولس نشر قصائد كثيرة في مجلة الضاد موقعة بالحرفين الاولين من اسمه ب ب . فيسرنا ان نرف هذه البشرى الى القراء الكرام .

ونحن الآن لابدّ لنا ان نقول كلمة موجزة بسيطة عن المطران بولس كشاعر في النقاط التالية :

أ- شاعريته : تحفل قصائده برقة الطبع ، وتتميز برهافة الحس ، وتزخر بالعاطفة الصادقة المتدفقة ، وتعبر عن مشاعره احسن تعبير ، ويجيد في تصوير خلجاته النفسية ، تقدم صوراً بديعة من الجمال ، وبالاجمال انها تنطلق من «اجواء عاطفية» بالرغم من كونه رجل دين ومن صنف الرهبان .

اسلوب سلس اخاذ ، الفاظ رقيقة وبمتهى الجزالة ، ديباجته مشرقة ، وعلى العموم يتسم شعره بالوضوح والسهولة وينحو منحى الشعر المهجري في الاسلوب والنهج .

ب - اغراضه : تجري معظم قصائده في اتجاه واحد ، وهو الغناء ، ولم يتعد هذا الغرض قيد شعرة . تغنى بالتراث ، بالاماكن المقدسة ، وتغنى بالآباء والاجداد في نشيده الحبري الخاص بابرشية الموصل والذي سجّلناه في الصفحات السابقة .

تمشياً مع روحه العالية ، وحياته النبيلة لم ينهج اسلوب المقلّدين الذي يتسم بالمدح والثناء ، فلم يتنازل ان يرخص ويدنس «قلمه النقي» النفيس^(١) بمثل هذه الاغراض القائمة على الشوائب .

سبق وقلت انه لم يتسلّل الشعر الى حياته الخاصة الطافحة بالآلام ولم يتخذ من الشعر مرآة تنعكس عليها آلامه ومحنته التي مرّت عليه ، وياحبذا لو فعل ذلك .

ج : عرض نماذج من قصائده

اقراء قصيدة ياملاكي فترى كيف يصوّر خلجاته النفسية ، حيث تنساب فيها العاطفة الرقيقة انسياب النغم ، مشبوبة بالعتاب ، تعانقها الشكوى على قلب لا يحنو عليه . ثم نجد كيف يشرق من خلال ابياتها الوجدان الحي ، ساكبا فيها اهات وحسرات .

ياملاكي

ياملاكي خيم الليلُ عليّ وطيوف السهد تكوي مقلتي
هات جنحيك نظر فوق السهر ونناجي الله في ذاك الضوي

(١) هكذا وصف قلمه في مقاله : هل اعتنق مطران الحدياء . . . ؟ والذي تراه مسجّلا في هذا الكتاب

ياملاكي هوذا بدر السما فانظرن اجفانه ترنو الي
غير اني في ظلام دامس فلما يابدر لا تحنو علي

ياملاكي ذكرك الغالي غدا نغمة علوية في شفتي
فاسمعن قلبي يغنيها وقد حطم الدهر كؤوسي في يدي

ياملاكي هات كفيك لكي تقبض القلب الذي في راحتي
ملكك الغالي فهل ترضى به ام ترى ترمي به تحت الثرى

ياملاكي هوذا الليل مضى وصدى انغامنا في اذني
آه لو كنت تراني باكيا ياملاكي آه ! لو كنت لدي

وفي قصيدة الطيف المقدس تجده مكتويا بلواعج الشوق ، مشبوبا بحرارة
العاطفة المتدفقة ، والمشاعر النارية اللاهبة ، والاشواق المستعرة ، الى جانب
خلجات حادة ، واحاسيس ثائرة :

الطيف المقدس

ايها الطيف رويداً لاراك قد ذوى قلبي حيناً في هواك
أين تمضي إن دجى الليل ألم تدر اني بائس ارجو لقاءك
رفرفن فوق سريري كلما خيم الليل فلا أبغي سواك
وانعشن قلبي المعنى واسقني خمرة الالهام صرفاً من لماك

قد غفا الكون هجوعاً وأوى ذلك العصفور في غصن الأراك
وكذا النجم غفا فوق السهى واتكا الليل على كتف السماك
غير ان العين منى لم تنم فهي يقظى تتلوى كي تراك
فانجل رحماك يا طيف لها عليها تغفو قليلا في حماك

عافني الدهر وحيداً بائساً فابعث النور لقلبي من سناك
وانشر الاضواء حولي كلما رفرف الليل بجنحيه هناك
يا حبيبي جف قلبي بعد ان كان يسقي الدنيا خمراً من شذاك
وذوى بعد بكاء مؤلم فاسقه الوحي رحيقاً من سماك

عالج الاسقام فيه قبلما تنطفئ الروح بذايك العراك
وألمس الرعشات وارفق بالحشى ولتكن يا طيف للروح ملاك
حبك الغالي على قلبي غدا يملأ الدنيا جمالا من بهاك
وينير الليل حولي كلما آنت عيني شعاعاً من ضياك

يا انيس الروح لا تمضي ولا تترك الملهوف يقضي في هواك
كن رؤوفا بضلوعي ولتكن هذه الروح - ايا طيف - فداك

وفي قصائده الاخرى ، تحت ضوء القمر ، والى منشدة ، واليراعة ، تجد
صورا عاطفية وجدانية مماثلة :

الى منشدة

انشدنا الشعر في هذا السكون واملاي الليل حيناً وفتون
واسكبي الوحي باقداح الدجى وابعثي الالهام من هذي اللحون
لاتبالي ان دجى الليل ولا تجزعي فالليل كالام الحنون
كم سقيناه دموعاً ثرة فوجدناه اميناً لا يخون

تحت ضوء القمر

هبّت الريح على غصن الشجر فتهادى الغصن في ضوء القمر
وسرت في الجو انغام على نغمة في الارض أوحاها القدر
نغمة علوية خالدة أن قلب الدهر منها وانفطر
وتر تاه بها ثم انطوى فتهدت فوق ذياك الوتر

وانحنى الخلد لها في سجدة سامعاً في الارض انغام الظفر
يالقيثار على انغامه رفرف الخلد وغنى وهدر

اليراعة

يا شعاع الصبر ، يارمز النقاء ،
أنت روح ، أم ترى ، جسم بدا ،
كل يوم ، وقفة لي ، في الدجى
لم أر ، غيرك ، طيفاً مشفقاً
هذا مشعال الهدى مضطرم
أم حنين ، كوميضي ، قد بدا
أم ، رحيق الشعر ، كالنور غدا ،
أم ، سراج الوحي ، هذا في الدجى
حلقي ، في الجو ، يا رمز الوفا
وارفعني ، المشعال ، في ستر الدجى
ضمننا ليل بوادٍ مظلم ،
فابعثي النور ، لقلبي علي
وأمكنني عندي وطيري ، وارجمي
وأنشري ، حولي شعاعاً ساطعاً

حدثني ، ثم طيري ، في الهواء
كملاك النور ، في هذا الفضاء
باكياً ، دهري . وفي قلبي الشقاء
يحمل الأنوار ، في وقت المساء
أم ترى هذي دموع البؤساء
أم ترى هذي صلاة الاتقياء
هائماً ، فوق ، نفوس الشعراء
أم ترى ، هذي ، دموع الأنبياء
واحملي ، في القلب ، ذياك الضياء
وانشري ، الأنوار ، في قلب السماء
يبعث ، الهول ويستهوئ البكاء
بعد بؤسي ألقى ، للداء دواء
وأقبلي ، من قلبي أصوات الدعاء
ولتكوني في عداد الأوفياء

لم يقتصر شعره على هذه الخيوط الناعمة اللطيفة التي الف ان يغزلها في
معاني العاطفة والمحبة . بل تغنى بالتراث كما يبدو من قصيدته في دير مار متى كما
مر ذلك ، وقصيدته في تكريت :

تكريت

ايه يا تكريت هل تدري الدهور
او ينام المجد في كهف التقى
أو يبيت العرف مسحوراً على
أو يذوب النور في قلب الدجى

كيف يثوى الطهر في قلب الزهور
بين احلام الى يوم النشور
همسات الخلد ما بين الصخور
مثل ميت تحت طيات القبور

نفحة عذراء في تلك الربى تتلوى بين دفقات البخور
وتراتيل الليالي قد بدت فوق اوتار على نار ونور

هذه كفاك يا تكريت قد عبت روعي بانفاس العطور
وسقت قلبي كؤوساً اترعت من دنان الروح من تلك الخمور
وحبتي نعمة علوية من رياض الخلد من تلك الخدور
وشفت غلتي من كوثرها في كؤوس مثل أنوار البدور

يرتسم في مخيلته ايضاً ما يترقرق في الكون من صور شتى ، فالطبيعة هي
الفه وصديقه يناجيها ويصوغ منها صوراً خلاصة كما يظهر من قصيدته «الارز» وهذه
بعض ابيات منها :

قد غفا الخلد على راحتاه وانحنى المجد على باحاته
وجلال الكبر شيخ طاعن قد جثا يرنو الى دوحاته
هذه آثار حبو خافت قد حبا الدهر على ساحاته
كان طفلاً يوم بانت ارزة فوق هذا الترب من ذرواته
فغدا الان على حصائه متعباً كالشيخ في ويلاته
وهو يزهو فوق هاتيك الذرى كبرياء المجد في همساته

ونظراً لثقته بنفسه ، واعتزازاً بما يمتلكه من طاقات فكرية في الادب والشعر
فهو لم يتهيب ان ينزل في مباراة شعرية مع شعراء هم قمة في الشعر . فقد تناول
ثلاث قصائد من ديوان ايليا ابو ماضي ، متبارياً ، مدافعاً عن الروحيات ، معلناً
هجومه على المادة والعلمانية .

كلمة شك هي قصيدة «الطلاسم» للاستاذ الشاعر ايليا ابو ماضي فيها نزعة
الحادية ينتهي كل بيت فيها بعبارة «لست ادري» ، كلها شكوك من شأنها ابعاد
الانسان عن عقله وروحه وربّه .

وكلمة ايمان للاب بولس بهنام ، عارض فيها قصيدة الطلاسم ، محذراً
الانسان من تلك الشكوك ، داعياً اياه الى الايمان .

وهذه القصائد الثلاث هي البحر ، الدير ، المقابر

البحر

كلمة ايمان - للأب بولس

أنا في الدنيا وأدري كيف للدنيا أتيت
قد رأيت الدرب قدامي ضياء فمشيت
وسأبقى ماشياً ان شئت هذا أم أبيت
أنا أبصرت بعين العقل والقلب طريقي
أنا أدري

ولئن كنت جديداً أم قديماً في الوجود
فأنا حر طليق منذ حطمت قيودي
وأنا في النور أمشي خلف قيثاري وعودي
كيف لا أدري سبيلي وأنا في النور أمشي
أنا أدري

وسواء دربي وعر أم طويل أم قصير
أم أنا أصعد حيناً أم أحيين أغور
أمشي في الدنيا أو أنا ثم للخلد أسير
انني أمشي ومثلي هذه الادهار تجري
أنا أدري

ليت شعري ما حيلى عالم النور الأمين
لم أكن قبل مجيئي في دجى الليل دفين
واذا ما جسمي يفنى روحي في الخلد تكون
هذا ايماني واني أدرك الايمان وحدي
أنا أدري

مذ براني الله ربي كنت انساناً سوياً
سكب النور بقلبي فغدا قلبي ضوياً
وحياي ووجودي ليس لغزاً أبدياً
انني أدري لماذا صرت أدري كل شيء
أنا أدري

موجة في البحر قالت اننا يارب منكنا
هذه الآفاق تروي خبر التحنان عنكنا
ليس ايماننا زوراً لا ولا كذباً وافكنا

كلمة شك للشاعر ايليا

١ - جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى ماشياً ان شئت هذا أم أبيت
كيف جئت كيف أبصرت طريقي
لست أدري

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود
هل أنا حر طليق أم أسير في القيود
هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود
أتمنى انني أدري ولكن
لست أدري

وطريقي ما طريقي أطويل أم قصير
هل أنا أصعد أم أهبط فيه أم اغور
أنا السائر في الدرب أم الدرب يسير
أم كلانا واقف والدهر يجري
لست أدري

ليت شعري وأنا في عالم الغيب الأمين
أتراني كنت أدري انني فيه دفين
وبأي سوف أبدو وبأي سأكون
أم تراني كنت لا أدرك شيئاً
لست أدري

أتراني قبل ان اصبحت انساناً سوياً
أتراني كنت محوياً أم تراني كنت شيئاً
أهذا اللغز حل أم سيبقى أبدياً
لست أدري ولماذا لست أدري
لست أدري

قد سألت البحر يوماً كم مضت ألف عليكنا؟
هل صحيح ما رواه بعضهم عني وعنكنا؟
أم ترى مازعموا زوراً وبهتاناً وافكنا؟

ضحكت امواجه مني وقالت
لست ادري

أيها البحر أتدري كم مضت الف عليك؟
وهل الشاطئ يدري انه جاث لديك؟
وهل الانهار تدري انها منك اليك؟
مالدي الامواج قالت حين ثارت :
لست أدري

أنت يا بحر أسير آه ما اعظم أسرك
أنت مثلي أيها الجبار لا تمك أمرك
أشبهت حالك حالي وحكا عذري عذرك
فمتى أنجو من الأسر وتنجو؟
لست أدري

قد أكلناك وقلنا قد أكلنا الثمرا
ترسل السحب فتسقي أرضنا والشجرا
وشربناك وقلنا قد شربنا المطرا
أصواب ما زعمنا أم ضلال؟
لست أدري

قد سألت السحب في الآفاق هل تذكر رملك
وسألت الشجر المورق هل يعرف فضلك
وسألت الدر في الاعناق هل تذكر اصلك
وكأن خلتها قالت جميعا
لست أدري

يرقص الموج وفي قاعك حرب لن تزولا
تخلق الاسماك لكن تخلق الحوت الاكولا
قد جمعت الموت في صدرك والعيش الجميلا
ليت شعري أنت مهد أم ضريح
لست أدري

كم فتاة مثل ليلى وفتى كابن الملوح
انفقا الساعات في الشاطئ لشكو وهو يشرح
كلما حدث أصغت واذا قالت ترح
أحفيف الموج سر ضيعاه
لست أدري

كم ملوك ضربوا حولك في الليل القبابا
طلع الصبح ولكن لم نجد إلا الضبابا

قد خلقت الكون طراً لم تدع للقلب شكا
هذه الاجسام ترب هذه الارواح منه
هذا ايماني وهذي حكمتي منه وعنه
أنا أدري

لست يا بحرنا تدري «كم مضت الف عليك»
لا ولا الأنهار تدري انها تجري اليك
هذه الامواج تجثو سجداً في مقدسيك
وكذا الشاطئ يهفو خاشعا في قبضتيك
وشعاع الشمس يرنو بالضيا في مقلتيك
وظلام الليل جيش حارس في جانبيك
انت والموج وهذا ال... زبد الماشي اليك
دفقة النور وهذا الشاطئ الجاثي لديك
كل شيء كهباء في الفضا عند القدير
حامل الكون ومحصي كل ذرات الاثير
هذا ايماني واني أرقب الصبح المنير
أنا أدري

لست يا بحر أسيراً آه ما أنفه أسرك
لست مثلي في عذابي آه ما اعجب أمرك
غير اني سوف انجو بعد يأتي من عذابي
سوف أسمو بعد يؤسي نحو آمالي العذاب
ان للكون الها سوف يعطيني ثوابي
هذا ايماني وأدري كيف أعطيه جوابي
أنا أدري

لم نعش للخبز يوماً لا ولا للثمر
بل لقول الحق والحق حياة البشر
ان اكلنا كل خير من نتاج الشجر
او شربنا كل كأس من دموع المطر
نعمة هذا وفضل من اله خير
ليس للبحر علينا أي فضل أو جميل
لا ولا للغيث فينا منه العيش الخضيل
من اله الكون يأتي كل انعام جليل
يعث الغيث ويعطي فضله السامي الجزيل
يمنح الاكوان ريا من مياه السلسيل
نحن منه واليه فيه نحيا ونموت

الهم يا بحر يوما رجعة ام لا مآبا
ام هم في الرمل قال الرمل اني
لست ادري

فيك مثلي أيها الجبار اصداف ورملي
انما انت بلا ظل ولي في الارض ظل
انما انت بلا عقل ولي يا بحر عقل
فلماذا ياترى امضي وتبقى
لست ادري

يا كتاب الدهر قل لي اله قبل وبعد؟
انا كالزورق فيه وهو بحر لا يجد
ليس لي قصد فهل للبحر في سيري قصد
حبذا العلم ولكن... كيف ادري
لست ادري

ان في صدري - يا بحر لاسراراً عجاباً
نزل الستر عليها وأنا كنت الحجاباً
ولذا ازداد بعداً كلما ازددت اقتراباً
وأراني كلما اوشكت ادري
لست ادري

اني يا بحر بحر شاطئاه شاطئاك
الغد المجهول والامس اللذان اكتنفاك
وكلانا صائر يا بحر في هذا وذاك
لا تسليني ماغدا ماامسي اني
لست ادري

سوف تبقى رغم بؤمي عيشها في الخلد يحلو
ان دعاني الرب امضي حيث ادري أين امضي
أنا ادري

اني يا بحر طيف قد حواني شاطئاك
ان امسي مثل يومي هذا يا بحر كذاكا
والغد المأمول يأتي هل رآته مقلتاكا؟
ان قلبي مطمئن قد فدى نفسي ذاك
هذا قلبي يا الهي فامنحن قلبي رضاكا
اني ادري لماذا حبك الغالي بقلبي
أنا ادري

هو للارواح ذخر وهو للجساد قوت
منه نحن منذ كنا. فهو رب الجبوت
هذا ماندري وهذا فضل رب العظمت
أنا ادري

قد سألت السحب يوما هل حباها الكون رملك؟
وسألت الشجر المورق هل رباه فضلك؟
وسألت الدر من ذا صاغه هل ترى اصلك؟
فاجاب الكل هذي قدرة لله فينا
أنا ادري

تعلن الامواج في قاعك حرباً لن تزولا
فابتلاع الحوت للاسماك حرب لن تحولا
قد جمعت الموت في قلبك والعيش الخضيل
هكذا دنيانا أضحت ام ضعيفا ام اكولا
حكمة لله هذي وهو في معناها ادري
أنا ادري

عند ذاك الشاطي كانت زهرة حمراء تمرح؟
في شذاها ألف سر ألف معنى ليس بشرح
قد رآها البلبل الغريد يوما فترنح
صورة للندى هذي ساعة تبدو فتبرح
أنا ادري

الف جبل قد تبدى فوق شطيك وغابا
وملوك وعصور رفعت فيك القبابا
قد رآها الدهر يوما ثم خلاها سرايا

كلها يا بحر تمضي قد رأيناها ضبابا
غير ان الله يعطي مزية تبدي العجابا
تنبت الاجسام منها مثل زهر الحقل آبا
قدرة الله تقيم الموق ان أضحت ترابا
هذا يا بحر رجائنا نحن ندري كيف ثابا
أنا ادري

فيك قلب مثل قلبي فيه اصداف ورملي
فيه أمواج جسام فيه انوار وظلي
سوف تمضي ليس يبقى فوق ذاك الزهر ظل
سوف يزوي الزهر لكن في شذاه الزاهي نهل
ان ذوى الجسم ستبقى هذه الروح وتعلو

الدير

يقول المطران بولس «يأبى الاستاذ ايليا ابو ماضي إلا ان يقدح في جميع مقدسات الشرق وقيمه الروحية ، فشئت عبقريته بان يحوم حول الدير كما يحوم العنكبوت حول زهرة جميلة ، فلم يجد فيه غير جهل وجمود وظلام . . . ولا غرو فادمغة الماديين دائما تناصب المبادئ الروحية وتريد ضربها بالصميم ، اما المؤمن فليس كذلك

كلمة شك للشاعر ايليا

كلمة ايمان - للأب بولس

في ظلال الدير نور يجتلي سر الحياة
وضياء ليس يبدو للعقول الآسنان
في حمى الدير قلوب ونفوس طاهرات
أنا أدري أي نور للعيون الساهرات
أنا أدري

قد حبانا الله وحيا في دجى تلك الصوامع
فاستار اللب منا بعد ان جزنا الموانع
تلك كف الله فينا مزقت كل البراقع
فرأينا الحق نورا فوق هاتيك المرباع
أنا ادري كم شربنا النور من تلك المنابع
أنا ادري

في سكون الدير كنا نستقي كل المواهب
ونصلي ونناجي الله في تلك الغياهب
نملأ الدنيا ضياء في دجى تلك المصائب
ونصون العلم والعرفان من ايدي النوائب
أنا أدري

في ورود الدير عرف لم يمت خلف السياج
والندى المعطار يهيم عند ذياك الرتاج
وشعاع الصبح يبدو خالعا ثوب الدياتج
حكمة هذي وادري كيف تحيي القلب صبراً
أنا أدري

أي كرب في قلوب حطمت كل الكروب
وسمت تبغي انطلاقا من دجى الدهر الغضوب

قل لي في الدير قوم ادركوا سر الحياة
غير اني لم اجد غير عقول آسنان
وقلوب بليت فيها المنى فهي رفات
ما أنا أعمى فهل غيري أعمى
لست أدري

قل ادري الناس بالاسرار سكان الصوامع
قلت ان صح الذي قالوا فان السر شائع
عجبا كيف ترى الشمس عيون في البراقع
والتي لم تتبرقع لاتراها
لست أدري !

ان تك العزلة نسكا وتقى فالذئب راهب
وعرين الليث دير حبه فرض وواجب
ليت شعري أيمت النسك ام يحجي المواهب
كيف يحو النسك إنما وهو اثم
لست أدري

انني ابصرت في الدير ورودا في سياج
قنعت بعد الندى الطاهر بالماء الأجاج
حولها النور الذي يحى وترضى بالدياتج
أمن الحكمة قتل القلب صبراً
لست أدري

قد دخلت الدير عند الفجر كال فجر الطروب
وتركت الدير عند الليل كالليل الغضوب
كان في نفسي كرب صار في نفسي كروب

أمن الدير أم الليل اكتأبي
لست أدري

قد دخلت الدير استنطق فيه الناسكينا
فاذا القوم من الحيرة مثلي باهتونا
غلب اليأس عليهم فهم مستسلمونا
واذا بالباب مكتوب عليه
لست أدري

عجا للناسك القانت وهو اللوذعي
هجر الناس وفيهم كل حسن مبدع
وغدا يبحث عنه في المكان البلقع
أترى في القفر ماء أم سراب
لست أدري

كم تمادى أيها الناسك في الحق الصريح
لو أراد الله أن لاتعشق الشيء المليح
كان اذ سواك سواك بلا عقل وروح
فالذي تفعل إثم ، قال اني
لست أدري

أيها الهارب إن العار في هذا الفرار
لاصلاح في الذي تفعل حتى للقفار
أنت جان أي جان قاتل في غير ثار
أفيرضى الله عن هذا ويعفو
لست أدري

يتساوى في حماما الليل بالصبح الطروب
أنا أدري أي صبح قد جلا عني اكتأبي
أنا أدري

قد دخلت الدير استوحي نفوس الناسكينا
فاذا فيها ضياء ساطع لليائسينا
فاستقى قلبي رجاء من قلوب الزاهدين
واذا بالباب سطر «هذا حظ الخالدين»
أنا أدري

مااحيل وحدة الناسك وهو اللوذعي
«هجر الناس وفيهم» كل ضبع اطمع
يغرس الزهر ويسقي «في المكان البلقع»
يشرب النور بكاس الوحي من قلب العباب
أنا أدري

ليس للناسك إلا شرعة الحق الصريح
يعشق الطهر ويصبو نحو باريه المليح
قد برى الله حجاه الاولى من عقل وروح
وحباه الخير وفرا أنا أدري أي خير
أنا أدري

أيها العاذل مهلا ليس في النسك فرار
قد بنى النسك صروح العلم في قلب القفار
وأحال البلقع الذاتي رياضاً واخضرار
هذا مايرضاه ربي أنا ادري كيف يرضى
أنا أدري

الحرية الحمراء

«منذ الفجر الأوان والانسان يطاردني بقوته وجبروته . وهو لا يدري أن في قوته ضعفاً ،
وأن في ضعفي قوة ، فهي كامنة في قلبي الصغير ظاهرة أمام وجه الأبدية بأنشودتي الخالدة التي
تطرب الأرض وتنعش السماء . أما ضعفه فهو ظاهر في عدوانه وظلمه ، لأنه يريد استعباد من
خلقه الله حراً» .
المطران بولس

الادب العربي

• النشر •

كان المطران بولس كاتباً جيداً في نثره ، ولكنه لم يحز على المكانة التي احتلها في شعره . لقد كان في شعره جميلاً في كل قصائده لا بل في كل شطر بيت من شعره ، اما في نثره فلم يكن هكذا . اسلوبه خالٍ من التكلف ، مصوغ في عبارة عربية فصيحة فهو لا يسجع ولا يزخرف الكلام بحليّات ، ولكنه يعبر تعبيراً قوياً بليغاً .

لقد ترك مقالات عديدة نشرها كافتتاحيات لمجلة المشرق الصادرة في الموصل من ١ حزيران ١٩٤٦ ولغاية ٣٠ تموز ١٩٤٧ ، وفي مجلة لسان المشرق الصادرة في الموصل ايضاً من ايلول ١٩٤٨ ولغاية شباط ٩٥٢ وهانحن نسجل ثبناً لتلك المقالات :

- حلم جميل يتحقق : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ ع ١
- ليلة في تكريت : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ ع ١
- مذكرات بلبل فيلسوف : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ ع ١-٧
- ميلاد الزهرة الاولى : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ ع ٢
- كيف يفكر ابن العربي : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ ع ٢-٣
- جدول الفضيلة ومستنقع الرذيلة : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ ع ٣
- الزنبقة الظمأى : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ ع ٤
- تربية النفس : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ ع ٨
- ماذا نستفيد من الألم : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ ع ٩
- قيمة الحياة : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ ع ١٢
- هل تعرف كيف تعمل : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ ع ١٤
- على جبل التجربة : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٧ ع ١٨ و ١٩
- اناشيد : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٧ ع ٢٠ و ٢١

- خمائل الطيب : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٧ ع ٢٢ - ٢٤
- المشرق في سنتها الثانية : المشرق مج ٢ : السنة ١٩٤٧ ع ٢١ و
- مآسي الحياة : المشرق مج ٢ ١٩٤٧ ع ٣ و ٤
- مذكرات في الأدب السرياني : المشرق مج ١ السنة ١٩٤٦ ع ١١ - ١٣
- الكلمة الاولى : لسان المشرق مج ١ السنة ١٩٤٨ ع ١
- قديس يستيقظ ثم يقوم : لسان المشرق مج ١ السنة ١٩٤٨ ع ١ و ٢
- ليلة الميلاد : لسان المشرق مج ١ السنة ١٩٤٩ ع ٥
- سوسنة بين شوك : لسان المشرق مج ١ السنة ١٩٤٩ ع ٦ و ٧
- سبع ساعات في جبل الفاف : لسان المشرق مج ١ سنة ١٩٤٩ ع ٨ و ٩
- لسان المشرق في سنتها الثانية : مج ٢ السنة ١٩٤٩ ع ١
- اناشيد : لسان المشرق السنة ١٩٤٩ مج ٢ ع ١
- هل انت حي : لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٤٩ ع ٢
- امام المذود : لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٥٠ ع ٣ و ٤
- لحظات خاطفة في التاريخ : لسان المشرق مج ٢ السنة ١٩٥٠ ع ١٠ - ١٢
- لسان المشرق في سنتها الثالثة : السنة ١٩٥٠ ع ١ - ٣
- لسان المشرق في سنتها الرابعة : السنة ١٩٥١ ع ١
- رحلة الى سوريا ولبنان : لسان المشرق مج ٤ السنة ١٩٥١ ع ١

هذا عدا المقالات العديدة الاخرى ، واعلم ايضا ان المطران بولس كان يفتح معظم مقالاته التاريخية والفلسفية وغيرها ، بمقدمات هي قطع ادبية من النثر المتميز . لا بل ان الطابع الادبي يطغى ويتخلل كل ما كتبه في سائر انواع المعرفة .

بقي ان نقول انه في معظم مقالاته النثرية تتألق افكار فلسفية وحكم . وسوف نورد بعض الامثلة على ذلك بعد ان نلخص ما جاء في مقال الاستاذ ابراهيم الخوري بعنوان «بيني وبين المشرق»^(١) حيث نستمد منه ثلاث نقاط مهمة تلقي ضوءا كاشفا على ادب المطران بولس وهي :

أ - ذكر لي احدهم ان اعضد صاحب المشرق لكنني رددته بكوني عارفا مبلغ ما يكتز من ثروة ، وقلت له ولاولئك ، بان صاحب المشرق يتحدثانا جميعا في قيامه

(١) المشرق : مج ١ السنة ١٩٤٦ العدد ٧ ص ٣٠٤ - ٣٠٧ بيني وبين المشرق : للاستاذ ابراهيم الخوري

بمشرّوعه لنفسه من الفه الى يائه في موضوعاته الخاصة بيسر وسهولة ودون ما عناء كبير .

ب : والحق ان ما ينشر في المشرق قيّم جليل ، مفيد ، حري ببعضه او اكثره ان يدون في ارقى المجلات الغربية ، وقمينة ان تنشر في المجلات العالمية الكبرى في اوربا واميركا ولا سيما في عالم الاستشراق .

ج : وان يكن لي شيء من الملاحظات على المشرق التي اعتقد ان صاحبها يتقبلها برحابة صدر ، فهو لزوم التنويع والاكتثار من الادب الواقعي والاقلال من الادب الرمزي .

وهذا صحيح فقد تأثر بالرمزية وعانق ظلالها شعره ونثره وكثيرا ما يهيم في مسارح الخيال والاحلام ولكنه واضح لا ابهام فيه فهو يرمز الى شيء في هذه الحياة ويخلص منها الى فكرة .

واعتقد ان المطران بولس اخذ بعين الاعتبار الملاحظة الثالثة التي ابداهها الاستاذ ابراهيم ، فاخذ في مجلة لسان المشرق يرسم له خطا جديدا في الافتتاحيات ، مغايرا لما كان ينشره في المشرق . انتقل فجأة من الادب الرمزي الى واقع الحياة الروحية كما يبدو لمن يتمعن في ذلك .

وما قيل في مقالاته وكتابات النثرية يطبق تماما وبحدافيره على محاضراته وتأبينه .

حاضر في المؤسسات الكنسية السريانية والمسيحية ، في معظم عواصم العالم العربي ، في بغداد ودمشق ، وبيروت وعمان ، وكذلك في امهات المدن العربية ، في الموصل وحلب والحسكة وبيت لحم ، والقدس ، كما حاضر في مؤسسات كهذه ايضا في اميركا .

لم تقتصر محاضراته على المؤسسات السريانية والمسيحية فحسب بل انطلق الى المحافل الدولية والاندية والمؤتمرات العلمية ايضا ، فقد القى محاضراته الشهيرة «ابن سينا في الآداب السريانية» في المهرجان الالفى للشيخ الرئيس ابن سينا

المنعقد في بغداد من ٢٠ - ٢٨ آذار سنة ١٩٥٢ ، وألقى محاضرة أخرى تحت عنوان «الكيمياء عند علماء الشرق» في الموسم الثقافي لجمعية المعلمين في الموصل لسنة ٩٥٥ - ٩٥٦ وكلتا المحاضرتين نشرتا والمحنأ اليهما لدى الحديث عن كتاب الفلسفة المشائية . ومن سياق حديثه في مقاله «رحلة إلى الغرب»^(٢) ألقى محاضرات عديدة في كو - سويسرا ، ولندن ، وترلي - بريطانيا ، وكما سبق أن قلنا أنه لم يسجل هذه المحاضرات ليعدها للنشر .

أما عن التآبين ، فحدث عن قدرته ولا حرج ، سيما في ثلاثة مواقف تاريخية ، الأول في تشييع جثمان الدكتور عبد الاحد عبد النور^(٣) في ٢٨ شباط ١٩٤٨ ، وتجنيزه في كنيسة الطاهرة الداخلية بالموصل فقد ألقى من منبر تلك الكنيسة كلمة تأبينية ، ضمّنها فلسفته في الحياة ، وحلّق في سماء الفكر ما طاب له أن يحلّق ، والكلمة هذه تعتبر من أروع ما خرج من يراعه ، نشرتها مجلة الوحدة الصادرة في كركوك - لصاحبها جمال عبد النور ضمن عدد ممتاز وهذا بعضها : «ان كبيرا وعظيما قد سقط اليوم من بني يعقوب» اجل ان بطلا من ابطال الحياة ، ورجلا من ابناء الجهاد ، قد سقط اليوم في ساحة المجد والسؤدد ، وان عظيما غادر هذه الحياة وعلى شفّته ابتسامة الظفر والانتصار .

غادر هذه الحياة بعد ان ادى قسطه الوافر للعلی والمفاخر ، وترك صفحات ناصعة ، مليئة بعظائم الامور ، وجلال الاعمال ، وارتفع عن هذه الارض ، وبين يديه ثمرة العمل والجهاد . وهكذا يكون الرجل .

بين رهبة الموت وجلال الحياة ، وقف الرجل الكبير ، ناظرا الى العلاء والرسالة المثلى ، لما تكمل بين يديه ، وقف وقفة الرجل الصنديد ، وفي مقلته دمعة حرة ، وعلى ثغره ابتسامة مشرقة .

(٢) المجلة البطريركية - دمشق مج ٥ السنة ١٩٦٦ العدد ٤٤ ص ٢٠٢ - ٢٠٨

(٣) من الشخصيات البارزة في العراق . تبوأ مراكزهامة في الدولة . خدم الكنيسة بايمان وعزم ، وكان يعتبر «عميد الطائفة السريانية في العراق»

دمعة حرى ، لا على طيب الحياة وهنائها ، لا على نورها وهوائها ، بل على
ربع خلا برحيله ، ونور خبا بانطفائه وروض مجد تصوح بذبوله . وابتسامة مشرقة
لانه جاهد الجهاد الحسن . وقام باعمال عظمى جليلة سطرها له الخلود ، بانصع
صفحاته ، ونسج بردة المجد بعواطف قلبه الكبير ، وعبقرية عقله المنير .

ثم بعد هذا ، اخذ يقارن ما بين الرجل العادي الذي يعمر طويلا وما بين
الرجل العظيم الذي يعيش وقتا يسيرا ، وبعدها يردف قائلا لكم الله يا بني
امي ، فقد ذوت الآن زهرتكم الفواحة ، فلا تجدون لها مثيلا بين رياض الحياة .

لكم الله يا بني امي ، تحطمت الآن بين يديكم كاس سقتكم ماء الحياة بين
الفيافي القاحلة ، وانطفأ السراج المضيء الذي انار لكم طريق الحياة تحت جناح
الليالي الداجية . . .

والموقف الثاني ، في تشييع وتجنيز الاستاذ روفائيل بطي^(٤) عام ١٩٥٦ في
كنيسة العذراء للسريان الأرثوذكس في بغداد - حيث ألقى كلمة تأبينية كأنها محمولة
على أجنحة الشعر ارتفع فيها إلى ذروة البيان والبلاغة قال فيها :

لقد مات روفائيل ،
لقد انطفأ ذلك السراج الوهاج ، وفيه زيت كثير ، وتصوّح الاقحوان وهو
مليء بالشذى والعبير . بلى . بلى لقد جفّ اليراع . ولا زال يندفع منه ذياك
الصرير ، وصمت البلبل الغريد ، وفي قلبه الف قافية والف نشيد . . اجل . .
اجل لقد مات روفائيل ، واحسرتاه

ثم ينطلق في خطابه متوغلا اعمق اعماق فلسفة الحياة الى ان يقول :
فخشوعا ايها الاحياء امام هيبة الموت .

(٤) من ادباء العرب ، ومن الشخصيات العراقية المرموقة ، كان وزيرا للارشاد ورئيس تحرير جريدة البلاد في
بغداد ، لقبه «شيخ الصحافة العراقية»



يؤين البطيرك أفرام الأول برصوم

وهدوءاً ايتها العواصف الهوج امام هيبة السكون ، الجهاد صفة من صفات
الابطال ، ولا يكون الجهاد موفقاً إلا اذا ارتكز على ثلاث دعائم كبرى ، الايمان
والشجاعة والاخلاص ، وبعد ان يستعرض هذه الامور الثلاثة ، ويشير الى موقف
روفاثيل منها يختم كلامه ومما جاء في الختام

في ذمة الملائكة الاعلى يا روفائيل المخلص ، ورحمات الله عليك ، يا من كنت
ايماناً وشجاعة واخلاصاً في انسان كامل . رحمات الله عليك ، ولك منا الدموع
يا من لم تبك في اعظم ضيقاتك ، ولك منا الحب الخالد ، يا من كنت حبا خالداً ،
لوطنك وبلادك .

واما الموقف الثالث فكان في مدينة حمص وفي كنيسة السيدة ام الزنار ،
وبتاريخ ٢٧ حزيران ١٩٥٧ ، وعندما اعتلى المنبر وأبّن المثلث الرحمات البطريك
افرام الاول في تجنيزه ، اذ تعتبر تلك الكلمة التأبينية من طرف ابيه الحي : قال

انى لي حجاك لأصوغ لك الرثاء بلاغة وبيانا
او اصوغ لك قلائد المجد لؤلؤا وعقيانا
او اضفر لك الاكاليل وردا وزنبقا وريحانا
او اذرف الدمع امام عرشك الابدي لواعج واشجانا
قداسة فقيدنا الغالي :

يا سيدي ؛ يا من اقف الآن الى جانبه كما يقف الظمآن امام جدول جفّ
ماؤه .

انها الفاجعة العمياء تحل بالبيعة السريانية الارثوذكسية
اننا الآن امام فاجعة المجد
فاجعة ممجّدة ، ومجد مفجوع

مجد الخلود الذي ينجاب على محياك ايها البطريك الراحل ، يا من قمت في
هذه الحياة كما يقوم النور في عيون البشر .

اجل . . . ان مجدا مفجوعا ينضم الى مواكب الاجيال في هذه اللحظات
الرهيبه . مجد انطاكية الخالد بميزاته الروحية السامية ومثله العليا .

يرقد الآن بين يديك ايها البطريك العظيم ، ذلك المجد الذي خدمته
نصف قرن كامل وعملت على رفع شأنه الى الذروة العليا .

اين نحن الآن يا ترى ؟

وكيف يعيد التاريخ نفسه في هذه اللحظات الالهيه .

هل نحن في احد منافي بيزنطيه نشهد يوحنا ابن عبدون يرقد رقدته
الاخيره ؟

ام نحن في مدينة الرها نسمع انينا يتعالى برقاد افرام السرياني العظيم ، او
في دير مار برصوم حيث يرقد ميخائيل العظيم بطريك انطاكية الكبير ، وهو يلفظ
انفاسه الاخيره ؟

اين نحن الآن ايها التاريخ ؟

هل نحن في دير قنسرين نشهد مواكب المجد والجلال تشيع الى مثواها
الخير ؟

لا . لا ايها التاريخ

انا الآن في مدينة حمص

واننا نضم حلقة جديدة الى سلسلة الامجاد السابقة فضم اسما كريما الى
صفحتك الناصعة ايها التاريخ فسجل ، واحن رأسك له اجلالا وخشوعا ووقارا
هذا افرام العظيم ينضم الى الامجاد السابقة
فرحب به ايها التاريخ ، واجعله شعله وضاءة من شعلاتك السامقة

حياة القوي

يكتب القوي سيرة حياته ، ويملؤها بآيات التبجيل والثناء ولكن مدادها
دموع الاشقياء ودماء الابرياء . وينشئ القوي صرح مجده ، ويرفع ذرى عظمته
لكن اساسه جماجم المظلومين وعظام الشهداء . ويملا القوي خزائنه بالذهب ،
ولكن دراهمها قد جمعت من ايدي اليتامى وافواه الفقراء .

المطران بولس

القسم الثالث

المطران بولس بهنام

في رحاب الخالدين

«وما الحياة إلا «لحظات خاطفة» يمرّ بها الانسان مرور السهم في الفضاء فلا يترك فيها إلا أزيزاً خافتاً ، أو أنيناً مؤلماً ، لا يلبث أن يتلاشى في آفاق العدم البعيد .»

المطران بولس

في أوائل كانون الثاني عام ١٩٦٩ ، وفي أحد الأيام وبينما كان يقوم بزيارة بيوت أبناء الطائفة مباركاً ومهنئاً بمناسبة عيد الميلاد المجيد ، بحسب العادة التقليدية المألوفة ، والتي تستغرق أكثر من شهرين نظراً لكثرة أبناء الأبرشية ، وإذا بنوبة قلبية حادة تهجم عليه نتيجة تعب وإجهاد ، وهو مصاب بمرض القلب منذ سنين ، فنقل فوراً إلى مستشفى سانت رفايل للراهبات في بغداد ، محاطاً برعاية الراهبات وعناية الأطباء . ومكث في المستشفى أكثر من شهر وفيه لبي نداء ربه .

وفي صباح يوم الأربعاء المصادف ١٩ شباط كانت شمس حياته تلملم آخر أشعتها ، وكان نهار عمره أوشك أن يغيب لكي يدخل إلى عالم النور حيث يتحكم فيه القائل «أنا هو نور العالم».

في تلك اللحظات كانت سفينة حياته قد دنت أن تجتاز خضم بحر هذه الحياة بعد أن عانت من قهقهة الأمواج ، لترسو على شواطئ بحر الحياة الأبدية في السماء . وكانت رياح الموت العاتية على وشك أن تهب لتطفئ ذلك المصباح الوهاج ، ليشع ثانية في عالم الأنوار . أجل في ذلك الصباح كانت تلك الزهرة الجميلة التي عطّرت أرجاء الكنيسة السريانية من أقصاها إلى أقصاها تذوي وتذبل ، لتغرس من جديد في فردوس عدن . وقاربت صفحة حياته أن تطوى على هذه الأرض لتفتح صفحة خالدة أنظر وأحلى .

في الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم الأربعاء ١٩ شباط ١٩٦٩ أقبل شبح الموت يقرع باب غرفته في المستشفى ، فرحب به ترحيباً بالغاً ، وقدم له كأس حياته المحتوم . فعاد الموت حاملاً أثمن ما يمكن أن يحمله ويظفر به من هذه الانسانية .

غير أن الايمان كان يهمس في أذنه قائلاً : لا تخف لقد انتقلت من الموت إلى الحياة .

لقد وضع رأسه على وسادة الموت لينام نوماً عميقاً هادئاً بعد أن سلبت الأيام طعم الكرى من عينيه ، ينام ولا يستيقظ إلا على صوت البوق الأخير الذي يعلن من السماء .

أجل في تلك اللحظات مدّ الموت يده الأثيمة وأسدل الستار الأخير عن عيني
هذا العبقرى ، فغادرته الحياة بصمت وهدوء ، تلك الحياة الحافلة بجليل الأعمال
وعظيم الخدمات .

أغمض عينيه اللتين أداها النظر إلى الطبيعة ، والكتاب ، والإنسان ،
لتسرح في أجواء أخرى طالما تغنى بها في كتاباته الفلسفية والفكرية ، وحتماً ستكون
أكثر جمالاً وفتنة من هنا « ما لم تر عين ، ولم تسمع بها أذن ، ولم يخطر على قلب
بشر » .

الموت خسارة في معجم غير المؤمنين ، غير أن هذه الخسارة تحال إلى مغنم
عند الرسول بولس القائل « لأن لي الحياة هي المسيح والموت ربح » .
شاءت إرادة الله أن تنقله إلى الخدور العلوية ، وبذلك خسرت الكنيسة
السريانية علماً من أعلامها قلماً يجود الزمان بمثله . وصمت ذلك البوق الذي أذاع
أعجاد الكنيسة السريانية ، وهو لا يزال في الخامسة والخمسين من عمره . طار خبر
نعيه إلى كل مكان ، ونعي إلى قداسة البطريك هاتفيّاً وكان لمنعاه في سائر أرجاء
الكنيسة السريانية وفي الوطن العربي رنة أسمى وحسرة ، وأثار موجة من الألم في
نفوس الكثيرين من مقدري أدبه وعلمه ، وبكته المجامع والمحافل العلمية والأدبية
مكبّرة فيه ما قدم للعلم من خدمات . وذكره الجميع بالرحمة . وعزّى بعضهم
بعضاً على فقد رجل السريان وحبر الكنيسة العظيم ، كما شمل الحزن الطبقات
المفكرة والمستويات المثقفة .

إن معظم نوابغ كنيستنا هم من صنف الاكليروس المتبتل ، بموته لا يترك
وراءه زوجة تدمع عينيها عليه ، أو ولداً يبكيه غير أن عيون السريان بكته كأسرة
واحدة .

أخذ من المستشفى إلى «منسكه» في البتاوين إلى دار المطرانية ووضع جثمانه
الطاهر في الكنيسة مستويّاً على كرسيه المطراني وهو موشح بحلته الحبرية القدسية ،
وفي قبضة يمينه الصليب المقدس ، وبقي هكذا لمدة يومين ، وكان الناس يتوافدون
أفواجاً أفواجاً ، وفي قلوبهم الحسرات والغصات ، وفي عيونهم الدموع والعبرات
متأسفين على ما فقدوا - أقبلوا ليقبلوا يمينه القابضة على الصليب ، مودعين إياه
الوداع الأخير .

كان المرحوم البطريك يعقوب قد وصل إلى بغداد في اليوم التالي لوفاته لترؤس مراسيم جنازته ، فتوجه من المطار فوراً إلى حيث الجثمان الطاهر ، فذرف دمعته على صديقه القديم ، وقبل الصليب الذي في قبضة يمينه ، وكان برفقة البطريك نيافة مار اثناسيوس أفرام برصوم مطران بيروت ، والسكرتير البطريكي الأب صليبا شمعون (مطران الموصل حالياً) . وتقاطر إلى بغداد وفود من الحسكة وسائر مدن أبرشية الجزيرة ، وعلى رأسهم نيافة مار أوسطاواوس قرياقس مطران الأبرشية وبرفقته بعض الآباء الكهنة . قدموا جميعاً للاشتراك بتشييع جنازته على ما يجب من التوقير والإجلال .

في الساعة العاشرة من يوم الجمعة صباحاً ، الموافق ٢١ - ٢ - ١٩٦٩ كان المطران بولس يودّع «صومعته المتواضعة» وكنيسة العذراء ، يودّع منسكه مظلماً مقفراً ليأخذ له منزلاً آخر في السماء غير مصنوع بأيدي بشرية . متوجهاً إلى كنيسة الرسولين بطرس وبولس . أجل خرجت الجنازة من هناك (في موكب لم تشهد له بغداد نظيراً قدمت فيه عشرات الأكاليل والزهور ، تتقدمه دراجات بخارية رسمية ، فسيارة قوى الأمن ، فسيارة أصحاب النيافة والسيادة المطارنة الأجلاء ، وسار وراء السيارة التي أقلت الجثمان رتل كبير من السيارات حتى إذا وصل الموكب إلى الشارع المؤدي إلى كنيسة مار بطرس ومار بولس وعلى بعد كيلو متر واحد منها ترجّل المشيعون وحمل الجثمان على الأكتاف ، يتقدمه الأحبار والاكليروس السرياني وإلى جانبهم أحبار وأكليروس سائر الطوائف الشقيقة في بغداد ، وأخذت جوقات المرتلين ترفع الصلوات ، وقد تجنّد عشرات من الشبان إلى جانب رجال الأمن للحفاظ على النظام ، وإشاعة الهدوء والسكينة^(١) وكانت الموجات البشرية المشيعة في تدافع واسع رغم كل شيء ، تلقي نظرة الوداع الأخيرة على الرجل العظيم وهي تتهامس وتردد متحسرة «يالللخسارة» يا«لفداحة المصاب» كانوا يمشون جميعاً الهوينى بوقار عظيم ، بادية عليهم آثار الحزن والخشوع وهم يتمتمون «لقد بكر بالرحيل ، وجدول أعماله لم ينته بعد» ، كان المشهد فوق ما يمكن من الوصف شأن ذوي الفضل وأهل العلم والورع ممن سبقوه إلى دار النعيم .

(١) المجلة البطريكية - دمشق - المجلد ٧ السنة ١٩٦٩ العدد ٦٥ ص ٢٧٥ .



↑
أحد مشاهد
الجثمان الطاهر



الجثمان الطاهر
مستو على
الكرسي المطراني

(في تمام الساعة الثانية بعد الظهر احتفل بالقداس الإلهي قداسة البطريك ، وارنجل كلمة تأبينية مؤثرة ، عقبه نيافة مار سويريوس زكا عيواص مطران الموصل (قداسة البطريك الجالس سعيدياً) بكلمة طيبة تحدث فيها عن صفات الراحل وشكر باسم الأبرشية اكليروساً وشعباً قداسة البطريك ، ورؤساء الطوائف الشقيقة ، لمشاركتهم الملة حزنها العميق . وحضورهم التشيع وفي طليعتهم غبطة مار بولس الثاني شيخو بطريك الكلدان ، وسيادة السفير البابوي في بغداد .

أديت مراسيم التجنيز بحسب طقس الكنيسة السريانية ، والمتضمن ست قومات للأساقفة ، وهذا الطقس بحد ذاته لون أدبي جميل في التراث السرياني ، فأحياناً نسمع (المطران المتنيح) يخاطب ربه بمثل هذه الأقوال :

رباه ، حنانيك ، قدمت إليك بيدين فارغتين ، لا عمل صالح لي البتة ، فاشفق عليّ وارحمني واغفر خطاياي .

سيدي : في نور الموت سترأى لي عالمك الثاني بما يحويه من نفائس الأمور .

يايسوع : عالمك عالم حقيقي وخالد ، وفي بيت أبيك منازل عديدة فاهلني
«أحل في أحد تلك المنازل»

وأحياناً يخاطب الجموع والكنيسة قائلاً :

أحبائي : دعوني أتعلق بالخيرات الحقة الدائمة فإن خيرات هذه الدنيا زائلة تمنوا لي رحلة سعيدة لقد تخلّيت عن كل شيء في هذه الحياة ، وودّعوني بكلمات الرب الحلوة .

إن صوت الرب يدعوني ، فإني أتهيأ للرحيل : وداعاً وداعاً أيتها الكنيسة ، والكهنة والشمامسة ، والشعب .

وإني أترككم أيها الجموع في هذه الحياة بعد لقاء عابر ، ليتاح لي لقاء أبدي مع القديسين والملائكة .

وبعد أداء مراسيم الجنازة حمل الكهنة الجثمان إلى مقره الأخير فأودع هناك في الجهة الغربية/من كنيسة الرسولين بين العبرات السخية والحسرات المؤلمة . وفي

اليوم التالي الذي هو السبت احتفل بالقداس الإلهي نيافة مار اثناسيوس أفرام لراحة نفس الفقيد ويوم الأحد قدم قداسة البطريك الذبيحة الإلهية ، وصلاة اليوم الثالث^(٢) .

وعاد بعد ذلك الكل إلى بلدتهم ودورهم آسفين محزونين . وأقيمت كنائس الأبرشيات السريانية قدايس وصلوات لراحة نفسه ، وبمناسبة الأربعين أقامت أيضاً حفلات تأبين ، تسابق فيها الخطباء إلى تأبينه وذكر خاصته فضائله ، وإظهار أثر الفجيعة فيه ، والمصاب به ، كاشفين عن مكانته ، منزله . توضح عظم الخسارة بفقده .

لقد أبّن المطران بولس بعض الشخصيات الدينية ، والفكرية ، والاجتماعية كما أسلفنا ، وقد خلّدهم بسحر بيانه وبلاغته ، أما هو فلم يظهر من هو أمه لراثه وتأبينه . ويستحضرني ما افتتح به أحمد شوقي قصيدته في رثاء حافظ ابراهيم حيث قال :

قد كنت أؤثر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء

مهما يكن من الأمر : فقد توفي المطران بولس ، وبموته انطوت صفحة مشرقة من صفحات العلم ولم يبق لنا منه إلا الذكرى المؤلمة ، والأسف المتواصل

وعزاؤنا أن مثله وأمثاله لا يموتون فهم أحياء بمنهجهم وأثرهم ولا يمكن أن يغمره النسيان بل تذكره الأجيال بعد الأجيال ، وينعم السريان والمفكره خلفه من تراث .

أجل : إن ذكرى المفكرين لا تموت ، بل تظل حية ، باقية ، ذكرى المطران بولس جزء من الخلود ، لأنه كتب وعمل ليبقى خالداً . ليس بالخبر وحده الإنسان بل بالكلمة . . . فالمطران بولس آمن بالكلمة ، واتخذ من الكلمة رسالة ، وقال وبشر بالكلمة ليخلد .

كم رجل يعد بألف رجل وكم ألفا تمر بسلا

(٢) المجلة البطريركية - دمشق - المجلد ٧ السنة ١٩٦٩ العدد ٦٥ ص ٣٧٥

سباحة العلامة الشيخ

محمد حسن الطالقاني

يؤرخ وفاة المطران بولس

أثكلت الفصحى وناح الهدى	والعلم ينعى شيخه الكاملاً
وأحزن السريان فقد امرء	كان لطلاب العلا كافلاً
(بولص بهنام) خبا نوره	وفلّ سيف هزم الباطلاً
وجفّ نبع مايزال الشذى	من خصبه في أفقنا سائلاً
ودّع دنياه وفي ثغره	بشر يناغي حبه العادلاً
وغاب عنا كوكب نير	رفقاً بنا يانجمه الآفلاً
عرا الأسى بغداد أرخت بل	قد فقدت مطرانها الفاضلاً
٣٢	١٠٤ ٥٨٤ ٣٠٦ ٩٤٣

١٩٦٩

محمد حسن الطالقاني

النجف الأشرف

فهرس

ص

- ٧ - الاهداء
- ٩ - مقدمة دار الرها
- ١٣ - المقدمة

□ القسم الأول :

- ١٩ - حياة المطران بولس بهنام
- ٢٠ - قره قوش (باخديدا) مسقط رأسه
- ٢٤ - نشأته وحياته الأولى
- ٢٧ - دير مار متى ، الطالب سركييس
- ٣٦ - زحلة - لبنان - الأب بولس بهنام
- ٣٩ - في أبرشية الموصل - مدير مدرسة مار افرام الاكليريكية
- ٥٠ - في أبرشية الموصل - غريغوريوس بولس بهنام مطران الموصل
- ٥٦ - السنوات العشر الأخيرة - المطران المنتدب في القدس ١٩٦٠-١٩٦٢

□ القسم الثاني :

- ٨٥ - المطران بولس بهنام على ساحة الفكر
- ٨٨ - الفكر رسالة
- ٩٧ - آفاقه العلمية والثقافية
- ١٠٠ - مجلتا المشرق ولسان المشرق
- ١٠٥ - الأبحاث الدينية
- ١١٢ - الدراسات السريانية

ص

- ١١٤ - اللغة السريانية
- ١١٥ - تاريخ الأدب السرياني
- ١١٦ - بحوث لغوية
- ١٢٠ - الفكر السرياني - أدب ، فلسفة
- ١٢٥ - نقد الأدب السرياني (دراسة وتحليل)
- ١٣٦ - الفلسفة السريانية (دراسة وتحليل)
- ١٤٤ - أبحاث في العلوم الطبيعية
- ١٤٦ - ملحق عام بالدراسات السريانية
- ١٤٧ - الكلمة الأخيرة حول الدراسات السريانية
- ١٤٨ - البحوث التاريخية
- ١٥١ - الأدب العربي (الشعر)
- ١٦٣ - الأدب العربي (النثر)

□ القسم الثالث :

- ١٧١ - المطران بولس بهنام في رحاب الخالدين

★ ★ ★

مطابع الفؤاد - الأديب
دمشق

من ۱۵۷۱ تا ۱۵۷۲

الترجمة لسترومان



3

صَوْت

نیںوی و آرام

أو

المطران بولس بن كهنه نام

تأليف

المطران اسحق ساكا

ମନିଷୀମାନଙ୍କୁ ଶୁଣାଉଅଛୁ ।

مصدق: في لحها منذ ~~جنيبه~~ و معه في كل من حرم

